

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي اليابس - سيدي بلعباس

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة والأدب العربي



دلالات التّساكُل في الخطاب النّقدي العربي الجدي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد المعاصر

إشراف:

أ. د صبار نور الدين

إعداد الطالب:

دييح محمد

أعضاء لجنة المناقشة:

أ. د كاملي بلحاج	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئيساً
أ. د صبار نور الدين	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفاً ومقرراً
أ. د بوخاتم مولاي علي	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي عين تموشنت	عضواً مناقشاً
أ. د بن سعيد محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	عضواً مناقشاً
أ. د بلحيا الطاهر	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	عضواً مناقشاً
د. فرعون بخالد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سيدي بلعباس	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 2014 م/2015م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة شكر

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، و
بشكره تسبغ النعم ظاهرة و باطنة.

أتقدم بالشكر الجزيل الوافر إلى الأستاذ
الدكتور صبار نور الدين الذي أسرنا
بكرمه و وثق فيّ أيما ثقة، و ما بخل علينا
بشيء. ونصرح له بمحبتنا له محبة
نتمناها خالصة لوجه الله الكريم.

كما أتوجه أيضا بكامل الشكر و التقدير
أيضا للأستاذ الدكتور عقاق قادة الذي
رافقنا طيلة سنوات البحث بالمتابعة
و التوجيه و النصائح القيمة.
مع تمنياتنا لهما بكل الخير.

إهداء

إلى من كانت لي سندا و عضدا.
إلى التي سكنت إليها روحي واطمأن إليها قلبي.
إلى من ملأ قلبي بهجة و سرورا: أسماء و صلاح الدين
إلى ذوي القربى و إخواننا في الله.
إلى الأساتذة الذين علموني و أناروا دربي فما تعلمت
لصروف الدهر و نالتني كبوة الجهل.
إلى كل من يد لي يد العون في إنجاز هذا البحث
و إتمامه .

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل.

(إِنِّي رَأَيْتُهُ أَنَّهُ لَا يَكْتُبُهُ أَحَدٌ كِتَابًا فِي يَوْمِهِ
إِلَّا قَالَ فِي نَحْوِهِ: لَوْ خَيْرَ هَذَا لَكَانَ يُسْتَمْسَنُ
وَلَوْ قُدِّمَ هَذَا لَكَانَ أَفْضَلَ، وَ لَوْ تَرَكَ هَذَا
لَكَانَ أَجْمَلَ. وَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ ، وَ هُوَ
دَلِيلٌ عَلَى اسْتِبْلَاءِ النَّحْصِ عَلَى جُمْلَةِ الْبَشَرِ .)

العماد الأصفهاني*

* نقلا عن كتاب: المعجم المفصل في علوم اللغة، محمد التنوحي و راجي الأسمر، ج 9 ، دار الكتب العلمية، لبنان، ص: 3

مقدمة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

أما بعد، فلقد انفتح النقد العربي على ثقافات الأمم الأخرى، واستفاد من البحوث والنظريات المستجدة في ميدان الأدب والنقد. فتغيرت القوالب التعبيرية، وتحدت المفاهيم و الإجراءات النقدية، بما يناسب الإشكالات المعاصرة التي تفرض نفسها على واقع الأدب والنقد العربيين. ولقد استهوت نقادنا العرب المحدثين الأدوات والمقاربات النقدية الجديدة التي غازلت الخطاب الأدبي، وراودته عن لغته ودلالاته. ولعل أبرز هذه المقاربات ما جاءت به منظومة التشاكل التي ما فتئت تشغل بال الباحثين و الدارسين في مختلف المجالات، نظرا لما يوفّره هذا المفهوم من إجراءات تحليلية تشمل كافة أنواع الخطاب الإنساني. ورغم ذلك فإنّ النسق التشاكلي لما تتضح بعد معالمة وحدوده في النقد العربي الجديد، ما عدا بعض المحاولات الجادة لبعض النقاد العرب و بخاصة المغاربة منهم، أمثال عبد الملك مرتاض من الجزائر، ومحمد مفتاح و عبد المجيد نوسبي و محمد الدايمي من المغرب، وهو الأمر الذي يفسّر عدم إفراد الكثير من المشتغلين في حقل النقد بحوثا خاصة تشتغل على هذه الفرعية السيميائية التي لا تكاد تشغل إلا مساحات قليلة في متابعتهم النقدية. و هو ما حاولنا إبرازه في هذا البحث الموسوم بـ"دلالات التشاكل في الخطاب النقديّ العربيّ الجديد"، و قد تتبّعنا من خلاله ظهور هذا المفهوم و تطوره في بيئته الأصلية، أي في الثقافة النقديّة الغربية، و مدى تأثير هذه التراكمات النقدية على النقد العربيّ الجديد، و هو ما يتجلّى في تلقي باحثينا العرب المعاصرين لمصطلح التشاكل و الأنساق النظرية المرتبطة به، إن على مستوى التنظير، و إن على مستوى العملية الإجرائية في الخطابين الشعريّ و الحكائيّ، من خلال اطلاعنا على بعض النماذج في هذا المجال.

أما بخصوص لفظ (الجديد) الذي وصفنا به النقد العربيّ فإننا نقول مع يوسف و غليسي أنّ الخطاب النقديّ الحديث أو الخطاب النقديّ المعاصر " مصطلحان لا يميّزان إلا على دلالة زمنيّة بحتة هي قاصرة عن الاستجابة للمحمولات النوعية لمناهج النقد الحداثيّ و ما بعده، لأنّها

مقدمة

لا تمتلك سلطة تردع بوساطتها ناقدا تقليدياً (في فعله النقديّ) معاصرا (في انتمائه الزمنيّ) يرى أنّ من حقّه أن يمارس نقدا قديما في عصرنا الحديث، بينما تبدو عبارة (الخطاب النقديّ الجديد) قادرة على فعل ذلك، لأنّها لا تبيح لمثل ذلك الناقد أن ينضوي تحتها"¹.

على الرغم من جدة الموضوع واتّساع مشاربه و قنواته المعرفيّة، واضطراب مصطلحاته ومفاهيمه، وعدم ارتسام معاملة آثرنا خوض هذا البحث متبنين إشكاليّة مطاردة دلالات التشاكل في الثقافتين الغربيّة و العربيّة، وكيفيّة تفعيلهما في حقل السيميائيات، وذلك من خلال الأسئلة الآتية:

- ما هي الأصول المعرفيّة و الفلسفيّة لمفهوم التشاكل؟ و ما هي حدوده وعلاقته و أنساقه المرتبطة به؟ هل يقتصر التشاكل في دلالاته على قضية الانسجام و الاتساق أم أنّ هناك دلالات أخرى يضطلع بها هذا المفهوم؟

- كيف تلقى نقادنا العرب هذا المفهوم؟ و هل كانوا أوفياء للحدود و التصورات التي أسّسها غريماس؟ و هل ما يوجد من تنظير في هذا الإطار البحثيّ يوازيه تطبيق و تفعيل إجرائي؟

إنّ تنوع هذه الإشكالات وتضارفا و جّها الدراسة توجيهها يعتمد على منهجين: المنهج التاريخيّ الوصفيّ الذي يرصد أصول منظومة التشاكل والتباين ومنابعها، ويتتبع تطوّرها وتحوّلها وثاقفها، و كذلك المنهج المقارن الذي يوازن بين النماذج النظرية و التطبيقية من خلال الوقوف على ملامح التوافق و التمايز.

وبغية تتبّع خفايا وخبايا الموضوع ارتأينا إقامة خطّة البحث على مقدمة و مدخل وأربعة فصول و خاتمة.

¹ - يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر،

مقدمة

فلمدخل يهبي الأذهان لولوج عالم التشاكل والتباين، ويضعهما في إطارهما المعرفي العام، ضمن التفكير النقدي الشامل الذي تحرر من الانطباعية و انفتح على مختلف العلوم العقلية والتجريبية. و النقد الأدبي باعتباره جزءا من هذا الفكر النقدي العام لم يتخلف عن ركب التطور العلمي و التكنولوجي، ومافتى يمتح من مختلف العلوم مجددا في أدواته و مناهجه و أسئلته و مصطلحاته، و يؤسس مقولاته على قواعد علمية و منطقيّة، و قد جاء الدرس التشاكلي ضمن هذه الحركة العلمية التأسيسية.

يلي المدخل الفصل الأول، وهو فصل تأيلي تعريفّي يتبع حفريات مصطلحي التشاكل والتباين في الثقافة الغربية مهتديا بأشهر المعاجم اللسانية والعلمية والفلسفية، مقتنيا أثر الدرس التشاكلي في المدارس النقدية الغربية، و ينضوي تحت هذا الفصل مبحثان رئيسان يتفرعان إلى عناصر جزئية تفصيلية. يتناول المبحث الأول الدلالة التأيلية و العلمية لمصطلحي التشاكل و التباين، و فيه بحثنا عن الجذور المعجمية و اللسانية و العلمية للمصطلحين محاولة منا ربط هذه الجذور الأصولية بالدلالات الجديدة الناشئة في الحقل السيميائي متسائلين عن مدى تحمل المصطلحين لهذه الدلالات السيميائية الناتجة، و هو ما يدفعنا إلى فحص منظومة التشاكل في الخطاب السيميائي الغربي في المبحث الثاني من خلال العديد من المحطات، انطلاقا من سيميوطيقا السرد و مرورا بجماعة (M) وصولا عند توسيعات فرانسوا راستي و أمبرتو إيكو.

أما الفصل الثاني فخصصناه لقضية تلقي نقادنا العرب لمنظومة التشاكل من خلال مبحثين هامّين، الأوّل عام و الثاني خاصّ، يبحث الأوّل في وضعيّة المصطلح اللساني في الثقافة العربية المعاصرة، و فيه لاحظنا تباين الباحثين العرب في كيفية مقابلة المصطلحات الوافدة بلسان عربيّ مبین، و هو ما يبرز جليا في طرق نقل مصطلحي التشاكل و التباين إلى الدرس النقدي العربيّ الجديد، و هي طرق تراوحت بين الترجمة و التعريب. و لمعرفة الأسس التي اعتمد عليها باحثونا العرب في ترجمة مصطلح التشاكل ارتددنا إلى التراث العربيّ في المبحث الثاني معتمدين التّصوّر

مقدمة

الإمبريقي القائم على الدراسة الكميّة الإحصائيّة، حيث رصدنا تردد المصطلحات العربيّة المقابلة لمصطلحي التّشاكل و التّباین في المعاجم العربيّة و الدراسات النقديّة و البلاغيّة القديمة و فحصنا دلالات هذه المصطلحات و قارناها بالتصوّرات النظريّة الغربيّة لمعرفة أي مصطلح من تلك المصطلحات المقترحة يمكنه أن يركب هذا المدلول السّيميائيّ الجديد.

يرتبط الفصلان الباقيان (الثالث و الرابع) بالفصل الثّاني، حيث اعتمدنا فيهما على دراسة نماذج نظريّة و تطبيقيّة عربيّة لمفهوم التّشاكل في الخطابين الشعري و السردّي، يعالج الفصل الثالث الدراسات النظريّة و التطبيقيّة التي أعدّها نقاد العرب حول هذا المفهوم، و لكن لضيق المساحة البحثيّة اقتصرنا فقط على نموذجين بارزين في السّاحة النقديّة العربيّة المعاصرة، نموذج محمد مفتاح و نموذج عبد الملك مرتاض في مبحثين، أما المبحث الثالث فخصصناه للمقارنة بين هذين النموذجين.

إنّ الحديث عن التّشاكل في الخطاب الشعريّ يقودنا أيضا إلى التّساؤل في الفصل الرابع عن طبيعة النّماذج التّشاكلية في الخطاب السردّي و مدى تمثّلها للتصوّرات النظريّة الغربيّة. أمّا الخاتمة فقد حوت نتائج الدراسة و الموازنة، وفيها وقف البحث على أهمّ المعالم التي ميّزت الخطاب النقديّ العربيّ الجديد من حول الخطاب الشعريّ و الخطاب السردّي من خلال ممارسة إجراءي التّشاكل و التّباین، و كذلك مختلف الدّلالات التي تشرّبها هذان المصطلحان.

إنّ طبيعة التّشعب لعناصر الموضوع جعلت من عملية تناوله سبيلا اعترته صعوبات كثيرة أبرزها قلة توافر المراجع الأجنبيّة المتعلّقة بالبحث، نذكر منها على سبيل المثال: كتاب ((بلاغة الشعر)) لجماعة LL، و ((معجم اللسانيات و علوم اللغة)) لجان ديبوا و أصحابه ولكن التوق إلى ملامستهما دفعنا إلى اقتنائهما من دول مجاورة، والأمر كذلك بالنّسبة لبعض الكتب التّراثيّة، هذا من جهة، و من جهة أخرى، فإنّ عدم اتفاق نقادنا العرب على منظومة مصطلحيّة موحّدة شكّل حجر عثر في ممارسة الوصف و المتابعة، و رغم ذلك حاولنا الاهتداء بأكثرها ترددا و تراكما.

مقدمة

وبعد كل هذا لا يسعني إلا الاعتراف بأنّ ما قمت به من بحث ما هو إلا محاولة جادة - قد يعترّيبها النقص - لإضاءة بعض جوانب الدرس التشاكلي وتثمين الجهود التي يقدمها نقادنا العرب المحدثون في سبيل إرساء قواعد نظرية نقدية عربية معاصرة. وهو بحث لا أدعي فيه الكمال والتّمَام والتّمَيّز، وإّما هو مجهود بسيط أساهم به في مجمل المساهمات البحثية.

و في ختام هذه المقدمة نسجّل عظيم الشكر وعميق التقدير للأستاذ المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور صبار نور الدين، على الثقة التي وضعها فينا، وعلى توجيهه و إرشاده ورعايته العلمية إذ أفاد البحث بملاحظاته الجادة، ولمساته الفنية والمنهجية حرصا منه على الجدّة والإتقان. كما نتقدّم بجزيل الشكر والعرفان لكل من مدّ لنا يد العون والنّصيحة، و ساعدنا علميا و إدرايا و قدّم لنا كل التسهيلات الممكنة من أجل المضي قدما في البحث.

والله من وراء القصد.

دييح محمد

تبارت 2014/11/19

المدخل

أولاً: الدراسات النقدية الغربية من الانطبائية إلى التأسيس العلمي و المنهجي

ثانياً: الروافد العلمية للنقد الأدبي في الثقافة الغربية

1-العلوم الإنسانية و الاجتماعية

1.1-الدراسات التاريخية

2.1-الدراسات الاجتماعية

3.1-التحليل النفسي

4.1-علم النفس التجريبي

5.1-علم النفس الإكلينيكي

6.1-علم النفس الاجتماعي

7.1-الأنثروبولوجيا

2- العلوم العقلية و التجريبية

1.2-قضايا منطقية و رياضية

2.2-قضايا تتعلق بالملاحظة و التجريب

توطئة:

قبل خوض هذه المغامرة في قلب الفكر النقديّ الغربيّ، بحثا و تنقيا و اكتشافا لتأيلية مصطلح التّشاكل و أنساقه و دلالاته النّاتجة عن التّراكمات المتتابعة لبحوث العلماء و النّقاد الغربيين و المحدثين العرب، يجدر بنا أن نرتد كرونولوجيا و إبستيمولوجيا متطلّعين إلى الطّروف و التّحوّلات المعرفيّة التي أحاطت بهذه المنظومة النّقديّة، و التي من خلالها هاجر مفهوم التّشاكل من الميادين العلميّة و التّجريبية إلى ميدان الأدب و النّقد، و كذا البحث في المبرّرات التي سوّغت للباحثين اللغويين و النّقاد التّهافت على أدوات و مصطلحات المنهج العلميّ و التّجريبية. فمن أين كانت بدايات هذا التّحوّل؟ و ما هي مساراته و نماذجه؟

أولا: الدّراسات النّقديّة الغربيّة من الانطباعيّة إلى التأسيس العلميّ و المنهجيّ:

سيطرت الانطباعيّة *Impressionnisme* ردحا من الزّمن على المشهد النّقديّ في أوروبا و قامت في مواجهة الواقعيّة، و هي مدرسة فنيّة شاملة، برزت بوجه عام ما بين عامي 1874م و 1886م في فن التّصوير، ثم شملت كل فنون التّعبير الإنسانيّ، " و الغرض من هذه الحركة التي ظهرت أول ما ظهرت في فرنسا أن تثور ضد نواميس المذهب الطّبيعيّ من ناحية و الرّمزيّ من ناحية أخرى"¹ ثم سرعان ما تلقّفها المبدعون و نقاد الأدب، لينقلوا عبرها الأثر الذي يحدثه النّصّ الإبداعيّ الأدبيّ في نفوسهم، دون معرفة مؤسّسة أو منهج علمي متكامل - بأسئلته و أدواته و إجراءاته - و في حقيقة الأمر، و بنظرة موسعة لم تكن هذه المدرسة الفنيّة مجالا لممارسة النّقد فقط، و إنّما كانت فرصة لهم لتفجير طاقاتهم الإبداعيّة حول النّتاج الفنيّ و الأدبيّ، و يمكن اعتبار الأخوين جونكور *Goncourt*²

¹ - مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص 65

² - جونكور (جول و إدmond) كانا يكتبان الروايات معا، ثم خصّصا جائزة تحمل اسميهما تمنح لأفضل رواية أدبية في فرنسا، إدmond (1822- 1896)، جول (1830-1870)، (فيليب أوزو، قاموس أوزو الموسوعي، دار أوزو للنشر، باريس، 2010، ص861)

مبدعيها، من خلال يومياتهما المشهورة: تسعة مجلدات من 1886م إلى 1899م، و فيها مثلا لا يصفان حيّا من أحياء باريس وصفا واقعيّا، كما كان يفعل بلزاك *Balzak*¹ و إنّما يصفان جنبا إلى جنب مجموعة من الانطباعات النفسية التي أثارها في نفسيهما رؤية ذلك الحيّ، مثله في ذلك مثل المصوّر الانطباعي الذي لا يقصد رسم الشّيء، بل تسجيل انطباعاته عنه².

لقد كانت تلك المحاولات بدايات تثبت للنقد سذاجته الأولى، فلم يتعدّ كونه تسجيلا لأنحاء متفرقة، كما يفعل تماما المصوّر، يسجّل بريشته ما تقع عليه حواسه من جوانب متعدّدة، و تراه كل يوم يضيف لتلك اللوحة ما خطر على باله من انطباعات جديدة.

و لرسم حدود هذا الاتجاه و تبيان حقيقته و موضعه النقدي قدّم كثير من الباحثين تعريفات و تصوّرات حول الانطباعية و علاقتها بالأثر الإبداعيّ، و من هؤلاء الناقد الفرنسيّ فرديناند برونتيير³ *Ferdinand Bruntiere* في مؤلفه (الرواية الطبيعية) (*Le Roman Naturaliste*) سنة 1896م، حيث لم يأل أن جعلها منهجا تصويريّا، إذ هي حسبه نقل منهجيّ لوسائل التعبير في فنّ ما، أي من فنّ التصوير إلى حيّز فنّ آخر و هو فنّ الكتابة، و هو تعريف يثبت للانطباعية شموليتها و منهجيتها رغم أنّ هذه المنهجية لا ترقى للمستوى العلميّ الذي جانبه الانطباعيون في معظم أعمالهم الأدبيّة و النقديّة، فقد كانت قراءتهم حرّة شاملة ذاتيّة، خاضعة للمزاجية، إذ يصلح أن نصف هذا الاتجاه النقديّ بالاتجاه الجماليّ المزاجيّ.

و دون تصنيف علميّ واضح يحصي برونتيير رواد الانطباعية في العالم الغربيّ، و يذكر منهم:

¹ - بلزاك: أنوري دي بلزاك، (1799م-1850م) روائي فرنسي.

² - مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، ص 65.

³ - فرديناند برونتيير: (1849-1906) كاتب و ناقد فرنسي، تبّى نظرية داروين في التحليل التاريخي للأدب (قاموس أوزو الموسوعي، ص 270)

- في فرنسا: ألفونس دودي *Alphonse Daudet* (1840-1897) كاتب و صحفي،
ستيفان مالارمي *Stéphane Mallarmé* (1842-1898) شاعر، مارسيل بروس
Marcel Proust (1871-1922) روائي و ناقد.

- في إيطاليا: غابريال دانيزيو *Gabriele D'annunzio* (1863-1938) كاتب

- في بلجيكا: موريس ميتزلنك *Maurice Maeterlinck* (1862-1949)، شاعر
و كاتب له محاولات و متابعات في الأدب و التقد و السياسة و الفلسفة، متحصّل على جائزة
نوبل في الأدب سنة 1911م.

- في ألمانيا: ريني ريلك *Rainer Rilke* (1875-1926) كاتب.

- في إنجلترا: جورج مور *George Moore* (1852-1933) شاعر و ناقد، فرجينيا وولف
Virginia Woolfe (1882-1941) كاتبة.

و هذا الإحصاء لا يخلو من انطباع عام، إن كان يصدق على بعض آثارهم الأدبية لا ينسحب على
كل ما أنتجه هؤلاء¹.

و يبدو جليا اهتمام الأدباء و النقاد الفرنسيين بهذا الاتجاه من خلال إبداعاتهم و نظيراتهم، إذ اعتبروه
مجرد اعترافات ذاتية، و تعبير عن أفكار خاصة، و هو النهج الذي سلكه الكاتب الفرنسي أندري جيد
*André Gide*² في متابعاته النقدية التي كان يصف فيها شعوره بالكآبة، و طموحاته المستقبلية، مما
حدا بكثير من ناقديه إلى تصنيف آثاره الأدبية ضمن جنس القصة و الخواطر العابرة اللتين لا تتمان بأيّ
صلة إلى الممارسة النقدية.

¹ - ينظر: مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، ص 65

² - أندري جيد : (1869-1951) ناقد فرنسي، حاز على جائزة نوبل في الأدب سنة 1947م. (قاموس أوزو الموسوعي، ص 849)

و يمكن اعتبار غستاف لانسون¹ *Gustave Lanson* مؤسس النقد التاريخي ناقدا انطباعيا، لأنه كان كثيرا ما يصرّح في بدايات مقالاته و كتبه أنه سيورد آراء و انطباعات أملاها عليه، و حدّدها في نفسه اتصاله المباشر بالآثار الأدبية.

لقد عرفت هذه الفترة التاريخية مشهدا نقديا يتسم بالحرب الكلامية و المجادلات النقدية بين النقاد المؤمنين بعلمنة النقد الأدبي و النقاد الانطباعيين، و في الفئة الأولى رفع برونشير عقيرته و راح يحكم على الأعمال الأدبية باسم قيم مقدّسة لا يمكن مسّتها، حيث جعل موضوع النقد هو الحكم على الآثار الأدبية و تصنيفها و شرحها، و هو ما جعل الكثير من الانطباعيين يعارضونه في ذلك، و منهم جول لوميتر² *Jules Lemaitre* الذي عارض ما اعتبر مقدّسا، و إصدار القرارات النهائية القطعية على الأثر الأدبي التي تتده في مهده، و استبدل ذلك بالقراءة الهاوية التي تعوّل على المتعة الخاصة، ثم نقلها في شكل انطباعات إلى بقية القراء.

و خصوم لوميتر يلومون الناقد الانطباعي على تعطيله التفكير العلمي و العقلي و تدريبه على النمطية و الاطمئنان لهذه الانطباعات التي قد تكون في الغالب مزاجية متهاوية، و في ذلك سير ضد فطرة العقل التي تبحث دوما عن تبريرات عما يقع بين يديها³.

و عموما فإنّ وصف الانطباعية الأدبية لا يطلق على الأثر المبدع إلا إذا وسم بالخصائص الآتية:

- رفض العلمية، و الانتصار للقراءة الحرّة و الدّوق الفرديّ.

- جعل الحالات المزاجية معيارا نقديا متقلّبا.

- احتواء النّصوص و الخطابات و تجاوزها إلى إبداع ثان.

¹ - غستاف لانسون: ناقد و مؤرخ فرنسي (1857-1934)

² - جول لوميتر: ناقد و حكواتي و كاتب مسرحي (1853-1914)

³ - ينظر: نهاد التكرلي: اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر، دار الحرية للطباعة، 1979، ص15

- التّركيز على اللّغة الإنشائيّة الشّاعريّة¹، و الميل أحيانا إلى التّلميح.

إنّ الناظر المتفحص لهذه الخصائص يدرك مدى افتقار الانطباعيّة إلى منهجية علميّة، و معرفة مؤسّسة ذات أدوات و جهاز مفاهيميّ ومصطلحيّ متكامل، مما يجعلها تقع في الارتجال و الدّاتيّة المفرطة و السّطحيّة العائمة، و هي حالات نقديّة لم تعد كافية و فعّالة في مواجهة تحدي النّص الأدبيّ و خطابه العائمة المتجدّدة، بتجدّد السياقات التي يتلقّى فيها، و الأسئلة التي يلقي بها في كل مواجهة زمانيّة و مكانيّة و إنسانيّة، إذ لم تعد بعد ذلك الانطباعات كافية للكشف و الاختبار و التّمدجة و لم يعد النقد فناً بحثاً، بل أصبح حرباً بالنّاقد أن يتسلّح بما توصلت إليه العلوم الإنسانيّة و العقليّة و التّجربيّة في عالم أضحى و أمسى يضحّ بالنّظريات العلميّة، و يصرخ بالتكنولوجيا في كل مكان، و في وجه كل إنسان يلزمه بأن يقول شيئاً مبنياً على معرفة، و هو ما يؤكّده الناقد المغربي سعيد يقطين بقوله: " فمنذ الشكلايين الروس بات تأسيس الممارسة الأدبيّة على أساس علمي هاجسا ملحاً، و لم يتحقّق ذلك إلّا في المرحلة البنيويّة حيث ظهرت علوم أدبيّة متعدّدة"².

إنّ أهم نظرية معاصرة حاولت أن تتبّى هذه الرّؤية العلميّة الموسّعة هي النظرية العامة للأنساق، فقد حاولت أن تصوغ مبادئ عامّة تجلّت في ثلاثة مفاهيم أساسيّة، هي التفاعل و الغائية و الانتظام مستمدة من قوانين الفيزياء و البيولوجيا و الاقتصاد و الاجتماع و القانون³، غير أنّ الاهتمام بهذا التوجّه المنهجيّ قد شكّله و بلورته تجارب نقديّة سابقة، ارتبطت في عصر النّهضة الأوروبيّة بتطوّر مختلف العلوم و بظهور بعض الاكتشافات العلميّة التي غيرت نظرتنا لأنفسنا، و لكل ما ما يحيط بنا، أي منذ القرن 17 م على أيدي أنصار المنهج التّجربيّ بزعامة فرنسيس بيكون⁴ *Francis Bacon* الذي اشتهر

¹ - ينظر: يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر و التوزيع، الجزائر، ط3، 2010، ص 14.

² - سعيد يقطين: حوار مع الناقد المغربي سعيد يقطين، جريدة الثورة، (كتابات)، العدد 16084، 2008/11/24، ص14

³ - ينظر: محمد مفتاح: التشابه و الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996، ص: 10

⁴ - فرنسيس بيكون: باحث و فيلسوف بريطاني (1561-1626) (قاموس أوزو الموسوعي، ص170)

بقيادته للثورة العلميّة التي أسّسها على فلسفة جديدة قائمة على الملاحظة و التّجريب، بغرض مراودة الطبيعة و تسخير مواردها لصالح الإنسان، و قد نقض بذلك أسس الفلسفة اليونانيّة القائمة على المنطق الصوريّ النظريّ، و التي أرسى دعائمها أرسطو، و تمّ توجيه الأنظار فيما بعد إلى ما يسمى بالاستقراء العمليّ، غير أنّ الكثير من الباحثين الموضوعيين المنصفين ينسبون هذا النوع من الاستقراء الذي أخذت به أوربا، و عرفته من خلال بيكون إلى المنطق الإسلاميّ، فقد " رفض علماء المسلميين المنطق الأرسطيّ كلية، و نقدوه، و عملوا على هدمه، بل و استطاعوا هدمه، و أقاموا بدلا منه منطلقا آخر أفضل، هو المنطق الاستقراءيّ الإسلاميّ التّجريبيّ، الذي أخذ به العلماء التّجريبيون (في الطبيعة و الكيمياء و الطبّ و غيره) و على أكتاف هذا المنطق الإسلاميّ التّجريبيّ قامت التّهضة الأوربية، بعد أن طلقوا تماما المنطق الأرسطيّ، لأنّه منطق صوريّ تجريديّ عقيم لا يأتي بجديد"¹.

و قد بيّن ابن تيمية² في هذا المقام أنّ اعتقاد الفلاسفة بأنّ النفس البشريّة تصل إلى الكمال بمجرد العلم النظريّ اعتقاد باطل، و قد برّر ذلك بأنّ النفس البشريّة لها قوتان: قوّة علميّة يتوجّه بها الفكر إلى كل ما هو نظريّ، و قوّة جزئيّة تركيبية تتوجّه نحو الفعل و التحقيق العمليّ³، و هو سبق واضح لابن تيمية لما توصل إليه فرنسيس بيكون و مل في ترسيمهما الاستقراء أساس المعرفة، و قد أكّد على هذا السبق الشّيخ علي سامي النّشار⁴ في كتابه مناهج البحث عند مفكري الإسلام حيث نوّه بعظم هذه الفكرة التي وضعها ابن تيمية، و أخرجها للإنسانية في ميدان التجربة و الاستقراء العملي⁵.

¹ -علي لين: الغزو الفكري في المناهج الدراسيّة، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، ص 48

² - ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم تقي الدين أبو العباس النميري، لقب بشيخ الإسلام (1263م-1330م)

³ - ينظر المرجع نفسه: ص 52

⁴ - علي سامي النشار: عرف بالأشعري الشافعي، مفكر مصري (1917م-1980م)

⁵ - ينظر علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام و اكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1984، من ص 228 إلى ص 279

فالبحث العلميّ - حسب ابن تيمية- لا يقوم على ما في الأذهان فقط، و ما ينبغي له، بل هو يشمل ما في العقول، و ما في الأعيان. فالعلم النظريّ الصوريّ لا يكتمل و لا يقوى إلاّ بالتجربة التركيبية الحسية، أي بالقوة العمليّة، و هذا هو أساس المنطق الاستقرائيّ الإسلاميّ.

و إن كان سيكون قد أرسى القواعد فإن روني ديكارت ¹ René Descartes قد أكمل البناء النظري من بعده من خلال مذهب الشكّ المنهجيّ، و قد سيطر هذا التفكير النقديّ على المشهد العلميّ و النقديّ الأوربيّ، و أصبح له تأثير واسع امتدّ للثقافة العربيّة الإسلاميّة، و تبّى بعض المجدّدين المنتسبين إليه الاتجاه العقليّ في الأدب و التقدّم، و هو الاتجاه الذي تلقاه طه حسين بشراهة عجيبة، و جعله معول هدم لكل ما تمّ تأليفه عن الأدب الجاهلي، من خلال الشكّ في أدب الجاهليين و شعرهم و لغتهم، برغم ما أثبتته القرآن الكريم عن حياتهم، و قد أثار موجة من الغضب النقديّ حول ذلك.

يتأسس منهج ديكارت انطلاقاً من الشكّ للوصول إلى المؤكّدات و اليقينيّات، و ذلك - حسبه - يؤدي إلى فائدتين أساسيتين: الأولى يمثّل فيها الشكّ درعاً واقياً للفلسفة من الأخطاء، و الثانية تكون فعلاً تحفيزياً للاعتراف من المصادر المتنوّعة للمعرفة، و تأسيس تفكير عقليّ عمليّ جديد². و الشكّ عنده ليس شكّاً معرفياً و نفسياً كما عرف عند الغزالي³، و إنّما هو شكّ منهجيّ كما قرّره المتبعون، أي من خلاله تهدم كل الأوهام و الشوائب حتى تقوم الحقيقة على أساس واضح لا يخالجه أدنى ارتياب، و يفضلّ باحثون آخرون أن يثبتوا أنّ ديكارت قد أخذ عن الغزالي منهجه الشكّيّ هذا، و خاصّة فيما يتعلّق بالحديث عن إثبات الرّوح، و علاقتها المفارقة للجسد، و في كثير من المسائل الأخرى⁴.

يقوم الشكّ المنهجيّ عند ديكارت على أربعة أسس هامة:

¹ - روني ديكارت: رياضي و فيزيائي و فيلسوف فرنسي (1596-1650)

² - حسام الألوسي: مدخل إلى الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت لبنان، ط1، 2005، ص34

³ - الغزالي: أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري (1058م-1111م)

⁴ - ينظر ابن بدر عبده عبد الله،: الشكّ بين الغزالي و ديكارت، مركز عبادي للدراسات و النشر، 2005، ص25

1- التّخلّص من المعتقدات الفكرية الموروثة التي تقادم عهدها: و هو في هذا لا يترك من هذا الموروث إلا ما بقي واضحا تماما في الذّهن، و كلّما كان العلم واضحا في النّفس وضوحا شديدا كان معلوما، و هو رفض صريح للأفكار التراثية التي تخالف العلم، و مع كلّ هذا يتوجّب على الباحث ألاّ يتسرّع في الحكم على فكرة ما، و ألاّ يطلق العنان لأهوائه الدّاخلية تملي عليه أحكاما مسبقة بل يجعل وجدانه حكما فيصلا على موضوع البحث.

2- تحليل الحقيقة إلى جزئيات بسيطة: الجزئيات تكون أشدّ وضوحا في نفس الإنسان من التركيبات و وفقا لذلك يمكن للباحث أن يقسّم أي مشكلة تصادفه إلى أقسام صغرى حتى تتضح أجزاءها و يمكن حلّها جزئيا.

3- التدرّج في التّركيب: و فيه يسير الباحث بأفكاره بنظام تدريجيّ، و يبدأ بأبسط الموضوعات

4- و أوضحها معرفة في النفس، ثم يرتقي بها تدريجيّا إلى معرفة أعقد حتى يركّبها تركيبا نهائيا واضحا¹ و هذه القاعدة كما رأينا تقوم على فكرتين أساسيتين هما: التدرّج و النّظام، و قد سبقه في ذلك ابن خلدون حينما انتقد طريقة اكتساب العلم و المعرفة في عصره، و دعا إلى التدرّج بطالب العلم في تعليمه، و الانتقال به من المحسوسات إلى المجرّدات، و تجزيء المعرفة العلميّة له قليلا قليلا حتى يستعين بها على الفهم و الإدراك.

5- الاستقراء: و يستعين هنا بالإحصاء و المراجعة الشّاملة لكلّ مسألة حتى يحيط بكلّ أطراف المسألة في ثقة تامة².

و يبرّر ديكارت مسوّغات الشكّ في تحصيل المفاهيم الحسيّة و التّقديّة الحقيقية و التي في بداية معرفتنا بها قد تكون خداعة. فالشكّ عنده "يثور حين يبدو للمرء أنّ المعارف الحسيّة تخدع، فالعطشان يرى

¹ - ينظر زهير الخوالدي: شذرات فلسفية، العولمة و حالة الفكر في حضارة أقرأ، دار أي كتب، 2012، ص 198-199

² - ينظر زهير الخوالدي: شذرات فلسفية، العولمة و حالة الفكر في حضارة أقرأ، ص 198-199

السَّراب ماء، المحموم لا يحسّ بطعم الماء (...) كما يبدو للمرء أنّ العقل البشريّ يقع في تناقضات، كما يدلّ على ذلك اختلاف الآراء و الأحكام و المذاهب، بل و الحكم بأحكام مختلفة من كثيرين على الشّيء الواحد، كذلك يبدو للإنسان أنّ ما كسبه المرء من معارف عن طريق التّقليد يعتمد على التّسليم و ربما ليس له أساس، حينئذ يثور الشكّ في نفسه محاولاً البحث عن معارف يقينية¹

لقد شقّ الشكّ المنهجيّ طريق البحث لكثير من فلاسفة و نقّاد الغرب، و منهم العالم الرياضيّ بيرتراند راسل² *Bertrand Arthur William Russell* الذي استخدم منهج الشكّ الديكارتيّ في قياس درجة اليقين على مجمل القضايا، بحيث يجعلنا بسهولة نرتّبها و فق تنظيم تتكوّن مقدماته من القضايا التي يدخلها الشكّ، ثمّ تعقبها باقي القضايا. هذا القياس الذي اعتمده راسل قاده إلى تمييز نوعين من القضايا لا يمكن أن يطالها الشكّ، و يتعلّق الأمر بالقضايا المنطقية الرياضية، و القضايا الأساسية فيما يدرك بالحواس مباشرة. أما مجال العلوم الإنسانيّة فهو الحقل الخصب لممارسة هذا الشكّ.

فكلّما ازدادت درجة اليقين التي تمتلكها هذه القضايا كانت من الأسس اليقينية للمعرفة، و القضايا التي تفتقر إلى قدرة يقينية كافية تعتبر -حسبه- تجزئاً للقضايا الأساسية³.

فالمعارف الرياضية و المنطقية و الحدسية معارف أساسية ذات درجة عالية من اليقين، لا يمكن أن يدخلها الارتباب بنسبة كبيرة، و ماعدا ذلك معارف تحتاج لتدليل أكثر على سلّم الحقيقة.

و قد نادى هؤلاء بالتحرّر من قبضة المنطق الأرسطيّ الصّوريّ، و دعوا إلى تجديد مجموعة من النظريات التّقديّة و الأدبية بمنطلقات فلسفية و ابتسيمولوجية و علميّة، قائمة على فرضيات و معطيات، ثمّ تأكيد هذه التّصورات التّظرية عن طريق التّطبيق الإجرائي الذي يفضي إلى استخلاص التّائج و القوانين التّركيبية.

¹ - ينظر ابن بدر عبده عبد الله،: الشكّ بين الغزالي و ديكارت، ص 26

² - بيرتراند راسل: عالم رياضي و منطقي و فيلسوف و ناقد بريطاني (1872م-1970م)

³ - ينظر: عماد الجبوري: التناقضات دراسة تحليلية للفكرين الديني و الفلسفي، مؤسسة الكتاب، ص 120

و النظرية الأدبية بما أنها جزء من الفكر النقدي العام تأثرت هي الأخرى بالتوجهات الديكارتيّة و مابعدها، و حدثت فيها اختراقات و تعديلات منهجية و مصطلحية، بطرق الاستعارة من الحقول المعرفية المختلفة، و خاصة المتاخمة لها، و قد حدث ذلك من قبل حينما شكّلت المبادئ الفلسفية رافدا أساسيا لنظرية الأدب، حيث قامت على أسس التجريد العقلانيّ الأرسطيّ الذي نهلته منه الكلاسيكية متبينة تحت تأثيره فكرة المحاكاة، و من بعدها غيرت الرومانسية ثوبها و اتجاهها في القرنين 17 و 18 الميلاديين مديرة ظهرها للقياس الصوريّ الذي أثبت الاستقراء التجريبي محدوديته، و مع هذا الأخير تعدّلت الكثير من المفاهيم و التّصوّرات التي كانت تحيط بالإنسان و التاريخ و الزمان و المكان حتى مطلع القرن العشرين، و مع تباشيره أدار النقد ظهره لهذه الحركة و اشتغل بالثورة المنهجية العلمية التي أرسى دعائمها دي سوسير حينما وجّه الأنظار إلى الدراسة العلمية للغة و تأسيس المنهج اللسانيّ الذي تعيّر معه نسق المعرفة العلمية، و تربّعت فيه اللغة على عرش الدّراسات النقدية.

هذا التوجّه العلميّ الجديد- و يقصد به المنهج التجريبيّ الاستقرايّي- أثر على كل حقول العلم و المعرفة بما فيها الحقل الفنيّ و الأدبيّ و التقديّ.

و قد كانت بدايات هذا التوجّه النظريّ الجديد في فرنسا، أين تكوّنت مدرسة أدبية حاول فيها الأديب أن يحاكي عالم الطبيعة في اهتمامه بمظاهرها و ظواهرها، مثلما يهتم الباحث العلمي تماما بالظواهر العلمية المرتبطة بحوادث الكون و الطبيعة، و لعلّ أبرز من نزعوا لذلك إيميل زولا¹ *Emile Zola* الذي كان متأثرا إلى حدّ كبير بالمنهج العلميّ التجريبيّ عند كلود برنار² *Claude Bernard* من خلال كتابه: "مقدّمة في الطّبّ التجريبيّ"، و الذي كان بمثابة منهج سارت عليه جماعة زولا، عنوانا و فروضا و تجارب،

¹- إيميل زولا: كاتب و صحافي فرنسي (1840م-1902م)

²- كلود برنار: عالم فرنسي، رائد في علوم الأحياء، اكتشف وظيفة الكبد في تكوين السكر الكبدي (1813م-1878م)

و خير دليل على ذلك كتاب " الرواية التجريبية"، و فيه رسم زولا خططا للعملية الإنتاجية الروائية، يجب على المبدع أن يتمسك بها، يمكن أن نلخصها في التدرجات الآتية:

- الانطلاق من حدث اجتماعي أو فردي مثير للانتباه، و هو ما يمثل الوضعية الأولية للصوغ السردية.

- إحاطة حدث المنطلق بموقف شعوري، يمكن اعتباره فرضا لقضية ما، و هو أمر يسوق المبدع إلى تمطيط الوضعية الانطلاقية، بما يجعلها قابلة للصيرورة التصاعديّة.

- تحريك الأحداث الجزئية المشكّلة لذلك الموقف إلى غاية نهاية الحكمة الروائية، و هو موقف يكشف - التجارب الحقيقية للإنسان¹.

غير أنّ هذا المنهج التجريبيّ الذي ألزم به زولا نفسه لم يكن إلاّ بالاسم فقط، فلم يكن يشبه المنهج العلميّ في مقدّمة الطّبّ التجريبيّ إلاّ في المصطلحات و التّسميات التي أدخلها زولا قصرا في دراسته الأدبيّة حول الرواية.

و رغم كلّ ما قيل عن هذه التجربة، فلقد أصبح منذ ذلك الحين التّفكيّر في الإبداع الأدبيّ و الدّراسات الواصفة له محكومة بمنطق منهجيّ يلحّ على ضرورة الانتقال بالبحث و مقارباته إلى مستوى المنهج العلميّ، من خلال صياغة مشاريع معرفيّة واضحة قائمة على إشكاليّة محدّدة، تنطلق من فرضيّات حدسيّة خاضعة للملاحظة و التّجريب.

إنّ هذا الاطمئنان إلى ما توصّلت إليه المناهج العلميّة كان له مبرراته في مواجهة كل ما هو ذاتيّ ارتجاليّ. " فالعلم كمدونة للمعرفة موجودة و منتهية، هو أكثر موضوعيّة و أقلّ شيء ذاتيّة تعرفه الكائنات البشريّة"¹.

¹ - ينظر مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، ص: 408

و لعلّ أكثر العلوم نفعا للنقد الأدبيّ في هذا المجال - حسب رأي ستانلي إدغار هايمان² *Stanley Edgar Hyman* - هي العلوم الإنسانيّة و الاجتماعيّة التي تتناول قضايا الفرد و علاقته بالمجتمع، و قد أفادته و أمدّته إمدادا أكثر من العلوم الطّبيعيّة و العقليّة، لأنّ الأدب ليس عاملا من أعمال البنية الإنسانيّة كما هي الحال في المشي و الأكل، بل هو جزء من النّموا الاجتماعيّ و الحضاريّ³.

ثانيا: الروافد العلميّة للنقد الأدبيّ في الثّقافة الغربيّة:

1-العلوم الإنسانيّة و الاجتماعيّة:

1.1:الدراسات التاريخيّة:

يمكننا تتبّع التطوّر الكرونولوجيّ للتصوّر التاريخيّ في الدّراسات الأدبيّة و النّقديّة عبر المذاهب و الاتجاهات الآتية:

أ- الرّومانسيّة:

نبذت التّصورات الكلاسيكيّة حول التاريخ و الزّمن و الفرد و المجتمع، و بلوّرت وعي الإنسان بالتاريخ و فكرة التّسلسل و التطوّر و الارتقاء. " و الرّومانسيّة في الفكر النّقديّ هي التي بدأت التوجّه إلى التمثيل المنظّم للتاريخ، باعتباره حلقة من حلقات التطوّر الدّائم، يتمّ فيها تصوّر الأديب باعتباره تعبيرا عن الفرد و المجتمع"⁴

¹- عبد القاهر الفاسي الفهري: اللسانيات و اللغة العربيّة، منشورات عويدات، بيروت لبنان، ط1، 1986، ص 15

² - ستانلي إدغار هايمان: صحافي و ناقد أمريكيّ (1919م)

³ - ينظر: ستانلي هايمان: النقد الأدبي و مدارسه الحديثّة، تر: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط1، 1958، ص 10

⁴ - صلاح فضل: في النقد الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، 2007 ص 17

لقد كان ذلك إذا دعوة واضحة منها إلى ربط الإبداع بالارتداد التاريخي، و بالحياة الاجتماعية والثقافية، و ضرورة اضطلاع الناقد بالممارسة التقديرية لهذا الواقع من خلال:

- رصد أكبر عدد من البيانات عن العصور السابقة.

- الاهتمام بالتوثيق و جعل المادة الأدبية وثيقة تاريخية خاضعة للتدقيق و التحليل و الكشف.

- ربط هذه الوثائق الأدبية التاريخية بأصحابها.

- الالتفات إلى المصادر المشكّلة للعمل الإبداعي، و ملاحظة مدى فعاليتها و تفاعلها.

- رصد التواريخ و الأمكنة في العمل الإبداعي، باعتبارهما إطارين هامّين تتحرّك فيهما العملية الإبداعية.

و يبدو جليا أنّ التّصوّر التاريخي يدير ظهره للأثر الأدبي، و لا يحتفي إلا بالتاريخ و توثيق حياة المبدع و إبداعاته. و مع ذلك ما كان أن يقوم المحلّل الاجتماعي بدوره هذا لولا الكشوفات العلمية التي ميّزت تلك الفترة، و خاصة نشأة الطباعة، و الإمكانيات المادية التي ساهمت بها في الدراسات التاريخية.

ب- الماركسيّة:

استفادت الماركسيّة من المفاهيم القائمة في مجال الهندسة العمرانية، و حاولت أن تهندس بها المجتمع حيث جعلته مركبا من طبقتين، طبقة سفلى و طبقة عليا، و هو تقسيم هندسيّ مكانيّ لا قيميّ معرفيّ.

فالبناء السفليّ يتّصل بحقائق الحياة المادية، أي الوجود الفعليّ الخارجي للنظم الاجتماعية، و يقصد به أنماط المعيشة و التفاعل الإنتاجيّ و العلاقات الإنسانيّة، أمّا البنية العلوية فتقتصر على القوانين

و التّشريعات التّنظيمية و التّنفيذية¹. و هي تصوّرات خاضعة - حسب الماركسيّة- للحميّة التاريخيّة " ذلك أنّ التاريخ البشريّ باعتباره مراحل لا بد و أن تتوالى على التّمط الذي وضعته"²

و في فرنسا بعد الحرب العالميّة الثانيّة اشتهر الناقد لوسيان جولدمان³ *Goldmann Lucien*

الذي اقتفى أثر الناقد جورج لوكاتش⁴ *Georg Lukács* ، و قد أقرّ الأوّل بتاريخيّة الرواية " فكلّ رواية لا بد أن تكون تاريخيّة"⁵، مما يجتم على المبدع و الناقد على السواء أن يتحركا في هذا المجال التاريخيّ فقط و هو مجال لازم و ضروريّ.

ج- الواقعيّة النقديّة:

كانت أكثر مرونة من الفلسفة الماركسيّة، لأنّها وسّعت المجال الإبداعيّ و البحثيّ، و صاغت مبادئها العامة فيما يسمّى بالالتزام الوجوديّ الذي يجبر المبدع على تناول القضايا الأساسيّة التي تواجه المجتمع في صراعاته الداخليّة و الخارجيّة.

و بعيدا عن الإيديولوجية الماركسيّة و الوجوديّة لمعت أسماء نقديّة أخرى ساهمت بتصوراتها في تشكيل الاتجاه التاريخيّ في النقد الأدبيّ، من أبرزهم:

- ش.أ. سانت بيّف⁶: *CHarl Augustin Saint-beuve* جسّد هذا الناقد المبادئ

التاريخيّة من خلال تفصّي الحياة الشخصيّة للكاتب، و تتبّع تشكّلاتها و ملامحها في العمل

¹ - ينظر صلاح فضل: في النقد الأدبي، ص18

² - المرجع نفسه: ص 19

³ - لوسيان جولدمان: فيلسوف و ناقد و اجتماعيّ (1913م-1970م)

⁴ - جورج لوكاتش: فيلسوف و كاتب و ناقد أدبيّ مجري ماركسيّ (1885م-1971م)

⁵ - ينظر صلاح فضل: في النقد الأدبي، ص20

⁶ - سانت بيّف: كاتب و ناقد فرنسيّ (1804م-1869م)

الإنتاجي، وكذا علاقاتها وارتباطاتها التاريخية، و يعدّ كل ذلك مدخلا لتفسير ما يكتبه المبدع و ما يصدر عنه.

فالأثر الأدبي - حسبه- انعكاس لشخصية الكاتب، و الانطلاق من سيرته الذاتية يمكن من اكتشاف الواقع الذي اتخذته الكاتب نموذجا له، و اكتشاف عملية إعادة تكوين هذا الواقع التي مارسها الكاتب¹، و لعلّ تكوينه العلمي في مجال الطب و الطبيعيات ساهم بدرجة كبيرة في رسم ملامح التوجّه العلمي في بحوثه النقدية، إذ جعله يعتقد أنّ الدراسة الأخلاقية للسجاياء في حالتها الراهنة تماثل حالة علم النبات، و أنّ النقد مثل هذا العلم الذي يدرس بنفس الأهمية شجرة البرتقال مرّة و شجرة الصنوبر مرّة أخرى². و يشير هنا بيف إلى تمثّل المنهج نفسه الذي نتبعه في دراسة النبات، و الذي يعتمد على الملاحظة و الفحص و المقارنة، و هي مقايسة تريد أن تجعل من النقد الأدبي علما أدبيا يستمد مشروعيته من التاريخ الطبيعي للفكر.

هذه الأفكار التي حاول اختبار مدى فعاليتها على أدب فكتور هوغو³ *Victor Marie Hugo* و شاتوبريان⁴ *Chateaubriand* جعلت الكثير من متبّعيه يصفونها بالمتسرّعة و المجحفة.

- هيبوليت تين⁵ *H. Taine*: هو أكثر النقاد استعمالا للمنهج التاريخي في الدراسات الأدبية معتمدا على مبدأين أساسيين:

¹ - ينظر نهاد التكرلي: اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر ، ص 16

² - ينظر نهاد التكرلي: اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر ، ص 13

³ - فكتور هوغو : أديب و شاعر فرنسي، من أبرز أدباء فرنسا في الحقبة الرومانسية (1802م-1885م)

⁴ - فرانسوا أليكونت دو شاتوبريان: كاتب فرنسي و أحد رواد التيار الرومانسي (1768م-1848م)

⁵ - هيبوليت تين أدولف: مفكّر و ناقد فرنسي (1828م-1893م)

- حتمية تأثير البحوث العلمية في الأدب و التقد.

- التأثير المتبادل بين العوامل الطبيعية و الظروف النفسية.

قاده هذان المبدآن إلى تأسيس مقارباته النقدية على ثلاثة عوامل، هي في الأصل مستوحاة من علم

الأحياء النباتي، و قد سبقه إليها أستاذه سانت بيف نقلا عن ثلاثية هيغل¹ *Georg Wilhelm*

Friedrich Hege

l بدوره عن هيردر² *Johann Gottfried Herder*:

- العرق أو الجنس (*Race*): الخصائص الفطرية و الوراثة المشتركة بين أفراد المجتمع المنحدرة من سلالة واحدة.

- البيئة أو الوسط أو المكان (*Milieu*): الفضاء الجغرافي و انعكاساته الاجتماعية في العمل الإبداعي.

- الزمان أو العصر (*Temps*): مجموع الظروف السياسية والثقافية والدينية التي من شأنها أن تمارس تأثيرا على النص.

و تصوّر تين يعتبر " ترجمة معتدلة للنظريات الحديثة في ربط الأدب بالحياة، و التي تتحكّم فيها العوا

مل الزمانية و المكانيّة المؤثرة فيه و التي تصبغ أدبه".³ غير أنّ المبدع ككل مرة لا يجد له مكانا في هذه

الدراسات التاريخية التي تغلب الظروف الخارجية المحيطة بالإبداع عليه، و من هذا المنطلق نقده معاصره

¹ - جورج ويلهلم فريدريش هيغل: فيلسوف ألماني (1770م-1831 م)

² - يوهان جوتفريد هردر: كاتب و شاعر و فيلسوف و ناقد ألماني (1744م-1803 م).

³ - صلاح فضل: في النقد الأدبي، ص 22

فلوبير¹ *Gustave Flaubert* قائلا: " في الفن شيء آخر إلى جانب البيئة التي نما في——ها، و الموروث الفيزيولوجي عند الفنان، فعلى هذه القاعدة تستطيع أن تفسّر مظاهر التسلسل و المشاركة، و لكنك لا تستطيع تفسير الفردية، أي الحقيقة التي تجعل من الفنان هذا الشخص لا ذاك، فهذه الطريقة إذاً تسقط الموهبة من اعتبارها، و لا محالة، و يصبح أروع ما ينتجه الفنان لا معنى له إلا من حيث هو وثيقة تاريخية"² ، و مع ذلك، و في دراسته لشكسبير³ *William Shakespeare* اضطر تين إلى الاعتراف بدور العبقريّة الشّخصيّة في تشكيل العمل الإبداعي⁴.

- غستاف لانسون⁵ *Gustave Lonson* :

على يديه أخذت ملامح المنهج التاريخي تتضح شيئا فشيئا في بداية القرن العشرين، و إليه تنسب اللانسونيّة *Lonsonnisme* ، التي كان لها تأثير بارز في الدّراسات النّقديّة الغربيّة و العربيّة على السواء، لسببين رئيسين:

- تحديد ملامح منهجه التاريخي بإيجاز و دقّة و اعتدال.

- تأثيره المباشر في الدّراسات النّقديّة العربيّة الجديدة.

تنحو اللانسونيّة في مقاربتها للأثر الأدبيّ الخطوات الآتية:

- "إعداد النّصّ الأصليّ.

¹ - جوستاف فلوبير: روائي و ناقد فرنسيّ (1821م-1880م)

² - ستانلي هايمان: النقد الأدبي و مدارسه الحديثة، ج1، ص27

³ - ويليام شكسبير: شاعر أنجليزيّ (1564م-1616م)

⁴ - ينظر صلاح فضل: في النقد الأدبيّ، ص 22

⁵ - غستاف لانسون: ناقد و أكاديمي فرنسيّ (1857م-1934م)

- تأريخ النّصّ كاملا، و تأريخ مختلف أجزائه.
- مقابلة النّسخ و تحليل المتغيّرات.
- البحث عن الدّلالة الأولى (المعنى الحرّي للنّصّ)، و كذا الدّلالات المتناحرة عنه (المعنى الأدبيّ للنّصّ).
- تحليل الخلفيّة الفلسفيّة التّاريخيّة للنّصّ في علاقته مع مؤلفه و عصره.
- دراسة المراجع و المصادر .
- نجاح العمل الأدبي و تأثيره.
- تجميع المؤلفات التي يمكن أن تكون متقاربة بشكلها أو محتواها.
- دراسة الأعمال الضّعيفة و المنسيّة حتى يتسنى تقويم الأعمال العظيمة.
- التّفاعل بين الأدب و المجتمع¹

كان لهذا التوجّه النقدي للتّاريخ أثر ملحوظ في الدّراسات التّقديّة العربيّة، و خاصة في أعمال محمد مندور الذي أرسى معالم التّحليل التّاريخي للأدب من الوجهة اللانسونيّة، و قد ضمّ كتابه " النّقد المنهجي عند العرب " مباحث مترجمة عن مقالات لانسون حول منهج البحث في الأدب و اللّغة². أمّا مؤلفه " في الميزان الجديد " ففيه احتفاء واضح بهذا المنهج، إذ يعدّه مندور تمهيدا لازما للنّقد الأدبيّ، يمدّ النّقد بما يحتاجه من المحطّات التّاريخيّة و معالمها البارزة التي تحيط بالمبدع و ثقافته و مجتمعه و مصادره و تفاعلاته التّفافيّة³.

¹ - يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، 2002م، ص 20

² - ينظر: محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر للطباعة و النشر، 1996م، ص (409-411)

³ - ينظر محمد مندور: في الميزان الجديد، نهضة مصر للطباعة و النشر، دت، ص 129

و في المشهد النقديّ الجزائريّ ملامح واضحة و حضور أكيد لهذا النوع من التحليل في مدونات نقادنا، و خاصّة في فترة الستينيات التي عجت بالمؤلفات النقديّة في هذا المجال، و لعلّ من بواكيرها كتاب أبي القاسم سعد الله عن الشاعر محمد العيد آل خليفة، و كتاب عبد الله الركيبي عن القصّة الجزائريّة القصيرة، و كذا مؤلفات صالح خرفي حول " شعر المقاومة الجزائرية" و " الشعر الجزائري الحديث"، و من بعدهما برز عبد المالك مرتاض و شغل الساحة النقديّة بكتبه " فنون النثر الأدبيّ في الجزائر" و " فنّ المقامات في الأدب العربيّ" و " نهضة الأدب العربيّ المعاصر في الجزائر". و هو ما يدلّ على مواكبة نقادنا لكلّ المستجدات النقديّة، و تأثرهم بثقافات غيرهم عن طريق المثاقفة و البعثات العلميّة المستمرة، حتى و لو كانت محاولاتهم بسيطة ساذجة إلّا أنّها لبنة هامة من اللبّات التي تؤسّس لمنظومة نقدية متميّزة تاريخيًّا و إقليميًّا و ثقافيًّا، يتعمّد الكثير من المتابعين العرب للنقد العربيّ تجاهلها و إلغاء دورها من المشهد الثقافيّ العربيّ ككلّ.

2.1- الدّراسات الاجتماعيّة:

تطوّر النقد التاريخيّ و انزلق إلى نوع آخر من النقد يطلق عليه النقد الاجتماعيّ، حيث تطفو للسطح علاقة أساسيّة متينة بين المنهجين تجعلهما يتداخلان تداخلًا كبيرًا، يصعب أحيانًا الفصل بينهما، و هو الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى اعتبارهما منهجًا واحدًا يستظلّان بمظلة واحدة، هي مظلة المنهج التّاريخيّ أو المنهج الماديّ، و سبب ذلك راجع إلى ارتباطهما بالتصوّرات الإيديولوجيّة للنظرية الماركسيّة الماديّة¹، و لكن مع ذلك يمكن الفصل بينهما، و يقترح علينا صلاح فضل مقولة لوكاتش في هذا المقام فالبحث إذا توجّه إلى التّاريخ القديم كان تاريخيًّا، و إذا توجّه إلى العصر الحديث يسمّى اجتماعيًّا².

¹ - ينظر: صلاح فضل: في النقد الأدبي، ص 16

² - ينظر المرجع نفسه، ص 23

و يمكننا في بحثنا هذا أن نخصّص حديثنا عن المنهج الاجتماعي من خلال السؤال الآتي: ما هي التّصوّرات التي يبني عليها النّقد الاجتماعيّ تحليلاته؟

يرتبط هذا المنهج بفكرة تمثيل الأدب للحياة و البيئة في تمظهراتهما الجماعيّة، و على أساسها تصبح الأعمال الأدبيّة تعبيرا عن الواقع الخارجيّ الذي تتفاعل فيه أبنية المجتمع و نظمه و تحولاته.

و يقوم هذا الاتجاه على التّصورات الآتية:

- تصوّر العصور الطويلة:

إنّ العلاقة بين الأبنية الاجتماعيّة و الأبنية الثقافيّة و الإبداعية ليست علاقة فوريّة مباشرة، و إنّما هي علاقة مبنية على تفاعل متباعد غير مباشر، أي أنّ نتائج هذا التفاعل تثمر بإيقاع بطيء متناقل بعد أن مرّت بمرحلة الإمداد و التخمر، و هو أمر يجعلنا نقيس علاقة الأدب بالمجتمع في فترات زمنيّة متباعدة، بحيث يمكننا تفسير ظواهر ارتباط الأدب بالمجتمع ارتباطا زمنيّا طرديّا و ليس عكسيّا¹

- التّصوّر الإمبريقي:

هذا التّصوّر الكميّ الإحصائيّ يستفيد من الإحصائيات و البيانات و تحليل المعلومات، و انطلاقا من القاعدة المعلوماتيّة تفسّر الظواهر الإبداعية و نتائجها الاجتماعيّة، لأنّ الأدب جزء مكوّن من الحركة الثقافيّة العامّة للمجتمع مثله مثل بقية المظاهر الأخرى المساهمة في تشكيل المشهد الثقافيّ و تحليل الأدب يقتضي جمع أكبر قدر من البيانات اللازمة عن الأعمال الأدبيّة.

ففي دراسة الرواية مثلا ندرس الإنتاج الروائيّ في فترة زمنيّة محدّدة، و نسجّل الإحصائيات الشاملة لها، فنتنتج لدينا مجموعة من المحصّلات المعلوماتيّة عن هذه العمليّة التجريبيّة، و نجد أنّ الإنتاج الروائيّ

¹ - ينظر صلاح فضل: في النقد الأدبيّ، ص 27

جزء من الإنتاج الإبداعي الذي يتمثل في القصة القصيرة و الشعر و المسرح، و لدراسة مدى فعالية هذا الإنتاج الروائي نشرع في التوصيف الكمي له:

- عدد القصص و الروايات التي أنتجت في هذه الفترة و البيئة.

- عدد الطباعات الصادرة و الموزعة.

- عدد القراء الذين تداولوها.

- الاستجابات المتعددة و درجة الانتشار و ردود الفعل.

و بعد جمع البيانات اللازمة ندرس الظاهرة الأدبية و كأنها جزء من الظاهرة الاقتصادية، مستخدمين المصطلحات الاقتصادية نفسها، و لكن بصيغة ثقافية: الإنتاج الثقافي، التسويق الثقافي، التوزيع الثقافي. و بذلك يصبح الأدب ظاهرة إنتاجية ترتبط في آلياتها و قواعدها بقوانين السوق.

هذا الاختراق الاقتصادي للأدب في تصوّره و مصطلحاته يكشف عن حركة الأدب في المجتمع و مدى انتشاره و تقلّصه¹.

و هو تصوّر كمي قاصر يغفل الطابع الجمالي للأثر الأدبي، و يهمل الجانب الداتي فيه، و تتحوّل معه

الدراسات الأدبية إلى أرقام و إحصاءات و بيانات تستوي في منظورها كلّ الأعمال الأدبية.

- التّصوّر الجدلي (نظرية الانعكاس):

¹ - ينظر: عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، دار هوم، الجزائر، 2010، ص 104

وفق هذا التصور لم تعد النظريات الماركسيّة التي أرسى دعائمها كارل ماركس¹ و *Karl Marx* و أنجلس² و *Friedrich Engles* و بليخانوف³ *Plékhanov*، و لينين⁴ *Lénine* قاصرة على علمي الاجتماع و الاقتصاد، بل اجتاحت النقد الأدبيّ بأفكارها و مبادئها المستمدّة من الفلسفة الماديّة و الجدليّة التي تقوم على تحليل " الإنتاج الاجتماعيّ باعتباره أساس الوجود"⁵ بنظرة علميّة ماديّة تاريخيّة تتّصف بالمعالم الآتية:

- البنية التّحتيّة للحياة الاجتماعيّة قاعدة ماديّة تتركّب من الوسائل و العلاقات المرصودة للإنتاج و الخاصّة بالطّبقات الاجتماعيّة.
- صراع الطّبقات الذي يمثّل السيرة الفعلية للتاريخ.
- التركيب السياسيّ و الدّينيّ و الثقافيّ يغلف الهندسة الأساسيّة للمجتمع⁶.

و وفق هذه المعالم يظهر الإبداع الأدبيّ في قبضة البنى الفوقيّة (النظام السياسيّ و الإيديولوجيّ)، بينما العمليّة النقديّة من حوله تقوم على ملاحظة العلاقات الماديّة الجدليّة مع البنى التّحتيّة، و من خلال ذلك

¹ - كارل ماركس: فيلسوف ألماني و اقتصادي و عالم اجتماع و مؤرخ و صحافي اشتراكي (1818م-1883م)

² - أنجلس: فيلسوف و عالم اجتماع و رجل صناعة ألماني (1820م- 1895م)

³ - بليخانوف: مفكر روسي من منظري الماركسية (1856م- 1918م)

⁴ - لينين: ثوري روسي ماركسي (1870م- 1924م)

⁵ - عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، ص 102

⁶ - ينظر ع

بد الملك مرتاض: في نظرية النقد، ص 104

يتموضع المبدع و الإبداع في مجتمع يعجّ بصراع الطبقات¹. و نتيجة له تظهر الأعمال الأدبية في شكل صور فنية تعبّر عن الوعي الطبقي للفئات و المجتمعات المختلفة.

تسلّلت هذه الأفكار المادية الجدلية إلى الآثار الأدبية عبر أعمال كل من بلخانوف و جورج لوكاتش و لوسيان جولدمان، و قد حاول هذا الأخير إخراج التحليل الاجتماعي للأدب من مأزق الفلسفة المادية و إيديولوجيتها المفرطة بمزاجته بأفكار البنيوية مؤسساً بذلك البنيوية التكوينية.

- رؤية العالم:

الأعمال الأدبية تتميز بأبنية دلالية كلية تختلف من عمل لآخر، و نقطة الاتصال بين البنية الدلالية و الوعي الجماعي الطبقي هي أهمّ المرتكزات عند جولدمان، و هو ما يطلق عليه " رؤية العالم"، أي أنّ كل عمل أدبيّ يتضمّن رؤية للعالم، و عن طريقها يمكننا أن نرى بشكل صاف كيفية تبلور العلاقة المثمرة بين الأعمال الأدبية و الوقائع الاجتماعية الخارجية².

حققت هذه التّصورات إذاً انتشاراً واسعاً في بيئتها و البيئة العربية في فترة من فترات المشهد النقديّ السابق، و يرجع مرتاض هذه الشّهرة لاعتدال الرّؤية الفنيّة لهذا المنهج، باستثناء ربط الإبداع بصراع

الطبقات. فالكتابة الفنيّة في جوهرها تعبير عن قضايا اجتماعية معيشة، مرتبطة بتطوّر التاريخ و العلاقات الإنسانية و الاجتماعية، و لولا إهمال هذا الاتجاه الجانب الشكليّ الجماليّ للكتابة الأدبية لكان اتجاهها نقدياً موفقاً³، و هو ما عجلّ بتقويضها على أيدي البنيويين الذين رفضوا التاريخ الاجتماعيّ و معه

¹ - ينظر المرجع نفسه: ص 105

² - ينظر صلاح فضل: في النقد الأدبيّ، ص 35

³ - ينظر عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، ص 108

المضمون، و نادوا بموت المؤلف، و هو ما عكف رولان بارت¹ *Roland Barthes* على إثباته في أعماله المختلفة متّهما الفلسفة الماركسيّة بالعمق و القصور.

و في الخطاب النقديّ العربيّ الجديد تلقى النقاد العرب هذا المنهج بشغف و اهتمام كبيرين، خاصة عند الباحث التّونسي الطّاهر لبيب الذي أشرف عليه جولدمان في رسالة الدكتوراة حول ظاهرة الغزل العذريّ في العصر الأمويّ، و فيها تعبير عن رؤية العالم لفئة اجتماعيّة، و هم الشّعراء العذريون، و حاول الباحث أن يقيم علاقة بين ظاهرة متميزة في تاريخ الشّعريّ العربيّ في الفترة الأموية و طبيعة الأبنية الاجتماعيّة و الاقتصاديّة، و مدى نجاح هؤلاء الشّعراء في تقديم رؤية للعالم تعبّر عن واقعهم الاجتماعيّ كما تناول محمد بنيس قضية الإبداع الشعريّ العربيّ المعاصر و الظواهر السوسولوجية في المغرب العربيّ و في الإطار نفسه برز كل من طه حسين و أحمد أمين و سلامة موسى و محمود أمين العالم و لويس عوض و محمد مندور و محمد برادة و يمى العيد. أمّا نقادنا الجزائريّون فلم يشدّوا عن هذا النهج في فترة الستينيّات و السبعينيّات، و قد بدت ملامح هذا الاتجاه النقديّ تتضح عند واسيني الأعرج في كتابه النقديّ "اتجاهات الرواية العربيّة في الجزائر" و محمد ساري في مؤلفه "السمات الواقعيّة للتجربة الشعريّة في الجزائر"، غير أنّ هذا الاتجاه النقديّ ما لبث أن تراجع في مواجهة المدّ اللسانيّ و البنيويّ.

3.1: التحليل النفسيّ:

لقد مدّ التحليل النفسيّ الدّراسات الأدبيّة بالفروض الأساسيّة عن عمل اللاشعور، و كفيّة التعبير عن الرغبات الكامنة بالتّداعي، و كذلك آلية عمل الأحلام، و ما فيها من تعبير الخلط الكلاميّ و الخلط المكانيّ و الفصم، إذ يعمد الحلم إلى الظواهر المتوارية فيقوم بإسقاط تفاصيلها المتكرّرة، و يكتفّها بكيفية

¹ - رولان بارت: ناقد فرنسي (1915م-1980م)

بالغة ناقلا إياها من مجال حسبي إلى مجال حسبي آخر، باستخدام رموز معينة¹، و هي مراحل أساسية تساهم في التشكيل الإبداعي.

و لا يعزب عن أي باحث المؤسس الأول لهذه المدرسة، و هو النمساوي سيغموند فرويد² *Sigmund Freud*، و قد حاول من خلال بحوثه المختلفة أن يثبت للمتبعين أن كل مظاهر الإبداع تخضع للحظات اللاوعي، و هذا اللاوعي هو الذي يستحضر تلقائيا الضائع في ذاكرة الطفولة، و يجعل الأحداث الماضية الهامة و المتوارية تطفو إلى السطح، و هو تصور يردّ من خلاله على العلمانية الاجتماعية التي تحكمت في مسار النقد الأدبي³.

يقوم الفكر الفرويدي على أربعة أسس مركزية:

- وضع اللاوعي على أساس أنه موضوع يوجّه بعض التصرفات انطلاقا من عناصر دفينة مكبوتة.
- الربط بين إبداع الإنسان و تاريخه الشخصي الذي سيحسد في مجموعة من الأحداث و الخبرات المسجلة في ذاكرته منذ طفولته.
- الكشف عن القوانين الخفية التي تعمل بها الذات الإنسانية، و تجلياتها المختلفة، لتشخيص العلاج المناسب لها.
- التفوق في الإبداع نظير للعبرية، و العبرية لون من ألوان الجنون، لأنّ الإبداع الأدبي في نظر هذه المدرسة دلالة من دلالات ذروة التوتر الذي يدفع المبدع إلى اعتزال جماعته و نزوعه نحو فعل الإبداع⁴.

¹ - صلاح فضل: في النقد الأدبي، ص 39

² - سيغموند فرويد: طبيب نمساوي (1856م-1939م)

³ - ينظر: يوسف و غليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، ص 143

⁴ - ينظر: صلاح فضل: في النقد الأدبي ص 39

إلى جانب هذه الأسس تدعم التحليل النفسي بعدة أفكار من مدارس مختلفة، و يمكننا أن نذكر منها على سبيل المثال:

- فكرة كارل يونج¹ *Carl Gustav Jung* عن " التماذج العليا" أو اللاشعور الجماعي الذي
- تترسب فيه الصور الرمزية ترسباً قاعدياً ترجع إليه كلّ الفنون، " و كلما تدخلت في كيان الفرد زادت الاستجابة له و التأثير به"²، أي أنّ الشخصية الإنسانية لا تقتصر حدودها على التجربة المبدعة الفريدة، و إنما تنسحب على كامل التجربة الإنسانية للجماعة التي يتفاعل معها الإنسان و التي تترسب في ذاكرتها الجماعية الأنماط العليا المتوارثة عبر سلسلة الأجيال المتعاقبة، هذه الأنماط العليا تشكل طريقة التخيّل الإنساني و تصوراتها، و منظومة قيمه تشكيلا لا إراديا، و هي الفكرة
- نفسها التي بلورها الناقد الكندي نورثروب فراي³ *Northrop Frye* في كتابه " تشریح النقد" و الذي ترجمه إلى العربية محي الدين صبحي و جابر عصفور و صدرت الترجماتان في عام واحد سنة 1991.

يؤكد فراي في بعض فصول هذا الكتاب أنّ تفسير بعض مميزات المجتمع (أصل القانون و الطوطم و الطبقات الحاكمة و المؤسسات الحاكمة) لا يمكن أن يضطلع به إلاّ النقد الأسطوري لأنّ الأنماط الأولى ما هي إلاّ أساطير لا بدّ أن تتجلى في الأدب، و على الناقد الأدبي أن يدرس هذه

¹ - كارل يونج: عالم نفس سويسري و مؤسس علم النفس التحليلي، احتفت بأعماله أمريكا و إيطاليا، يلقب في سويسرا النبي المجهول (1875م-1961م)

² - ستانلي هايمن: النقد الأدبي و مدارسه الحديثة، ص 12

³ - نورثروب فراي: ناقد كندي (1912م- 1991م)

الأنماط، و يفسرها، و يكشف عن كيفية اشتغالها (انزياحها، تعديلها، انقطاعها، تغييرها، أساليب التعبير الجديدة التي خضعت لها)¹.

- فكرة الأحلام و الرموز الأدبية عند أدلر² *Alfred Adler*: يرفض أدلر مبدأ الحتمية البيولوجية التي نادى بها فرويد، و كذلك التفسير الجنسي للسلوك البشري، و أنه ليس من السهل اكتشاف الحوادث الماضية، و إن كنا و لا بدّ فاعلين علينا البحث عن كيفية إسهام الماضي في الحاضر.

استبدل أدلر هذا التفسير الجنسي للعمل الإبداعي بتفسير آخر ذي أبعاد ثلاثية، و هو التفسير القائم على فكرة الشعور بالنقص (الجسدي و النفسي و الاجتماعي) و هو ما يدفع بالمبدع إلى إظهار كفاحه المستمر للتغلب على مشاعر العجز ثم من أجل التميّز في جماعته، إذا حافظ على أهدافه الاجتماعية، أما إذا فقد هذه الأهداف فإنّ الدافع سيكون مرضياً³.

- فصل النقد الأدبيّ عن علم النفس: لقد كان ذلك كلّه يمارس في كنف علم النفس إلى أن قام العالم الفرنسيّ شارل مورون⁴ *CHarle Mauron* بفصل النقد الأدبيّ عن علم النفس و جعل التحليل النفسيّ للأدب منهجا قائما بذاته يتناول الأثر الأدبيّ، و بدا هذا التوجّه النفسيّ واضحا في دراساته حول الشاعريّ الفرنسيّ مالارمي، و كتاباته عن راسين⁵ *Jean Racine* في مؤلفه " اللاشعور في آثار راسين و حياته" سنة 1957م، و قد بثّ العديد من أفكاره حول هذا المنهج في كتبه " من الاستعارات الملحّة إلى الأسطورة الشخصية " سنة 1962م، و " النقد النفسيّ

¹ - ينظر: حنا عبّود: النظرية الأدبية الحديثة و النقد الأسطوري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999م.

Northrop frye, littérature et mythe, poetique n8, p489

² - ألفرد أدلر: عالم نفس نمساوي (1870م-1937م)

³ - ينظر: ليين فاليري: التحليل النفسيّ و الفرويدية الجديدة، تر نزار عيون سود، دار الوثيقة، دمشق، دت ص 113 و ما بعدها.

⁴ - شارل مورون: مترجم و ناقد فرنسيّ (1899م-1966م)

⁵ - جان راسين: شاعر و مسرحي فرنسيّ عاصر موليير (1639م-1699م)

للفنّ الهزليّ" سنة 1964م، و " فيدر" سنة 1968م، و هذا الاتجاه التقديّ يتناول الإبداع الأدبيّ من
الوجهات الآتية:

أ- تحليل سيكولوجية الإبداع:

دراسة عمليّة الإبداع الفنيّ ذاتها متبعا خطواتها و آلياتها عند الأديب إلى أن يتمخض عنها تشكّل
العمل الفنيّ، و من الرّواد العرب الذين تأثروا بهذا التّهج مصطفى سويّف¹ في كتابه " الأسس النفسيّة
للإبداع الفنيّ في الشّعْر خاصّة" و "الأسس النفسيّة للتكامل الاجتماعيّ، دراسة ارتقائية تحليليّة" و شاكر
عبد الحميد في مؤلفه " الأسس النفسيّة للإبداع الفنيّ في القصّة القصيرة"

ب- تحليل سيكولوجية المبدع :

يتّم ذلك من خلال البحث في العمل الأدبيّ عن الحالات النفسيّة و المزاجيّة لصاحبه و اعتمادا
على السّياق النفسيّ، و ما يتّصل به من عناصر بيولوجيّة و فيزيولوجيّة، و من النّقاد العرب الذين
اهتموا بهذا الجانب عباس محمود العقّاد² و ما كتبه عن ابن الروميّ و أبي نوّاس، و هو يفضّل هذه المدرسة
على على سائر المدارس الأخرى لأنّها أقرب إلى رأيه و ذوقه معا، تتيح تلمّس الفوارق النفسيّة بين عدة
مبدعين يتعاصرون مع بعضهم في مجتمع واحد، و إبراهيم عبد القادر المازنيّ³، حيث صوّر شخصيّة ابن
الروميّ تصويرا نفسيا، و محمّد النويهي⁴

ت- دراسة سيكولوجية التلقي (العلاقة النفسيّة بين الأثر الأدبيّ و المتلقي):

¹ - مصطفى سويّف: (ت1924) مؤسس مدرسة علم نفس الإبداع في النقد العربيّ.

² - عبّاس محمود العقّاد: كاتب و شاعر و ناقد مصريّ (1889م-1964م)

³ - عبد القادر إبراهيم المازني: ناقد مصريّ، أسّس مع العقّاد و عبد الرحمن شكري جماعة الديوان (1890م-1949م)

⁴ - محمّد النويهي: ناقد مصريّ (1917م-1990م)

العمل الإبداعيّ إذا كان له أثر بالغ لدى مجموعة المتلقّين فذلك مؤشّر على قيمته الإبداعية التي تتجاوز أهميته الذاتية، و في هذه الواجهة يرصد الباحثون مدى تأثير النّصّ الإبداعيّ تأثيراً موضوعياً في متلقّيه في ظروف ثقافية و اجتماعية و اقتصادية و سياسية معيّنة.

ث - دراسة العمل الإبداعي:

تعنى هذه الدّراسة بتحليل الأعمال الإبداعية تحليلاً نفسياً، و قد كتب كثير من باحثينا العرب في هذه الواجهة التحليلية، و لعلّ أبرزهم محمد خلف الله أحمد¹ من خلال كتابه " من الواجهة النفسية في دراسة الأدب و نقده"، و عزّ الدين اسماعيل² و مؤلفه المشهور " التفسير النفسي للأدب" و " الأدب و فنونه"، و كذلك الناقد السوريّ جورج طرايشي³ و كتبه " لعبة الحلم و الواقع: دراسة في أدب توفيق الحكيم" سنة 1972م، و " رمزية المرأة في الرواية العربية" 1981م، و " عقدة أوديب في الرواية العربية" 1982م، و " الروائيّ و بطله: مقارنة اللاشعور في الرواية العربية" 1995م.

لقيت هذه الفروض المنهجية المستوحاة من علم النفس نقداً واسعاً في بيئتها التي نشأت فيها و في البيئة العربية، إذ وصفت بصفة عامة أنّها إجراءات جزئية، فإن كانت تضيء جانباً ذاتياً من النّصّ الإبداعيّ فإنّها تغضّ الطرف عن كثير من المكونات الأخرى للعمل الأدبيّ، و بخاصة قيمته الموضوعية و الجمالية.

¹ - محمد خلف الله: أديب و ناقد مصريّ (1904م-1983م) استطاع بمساعدة أحمد أمين إدخال مادة علم النفس الأدبي في جامعة القاهرة.

² - عزّ الدين اسماعيل: ناقد مصريّ (1929م-2007م)

³ - جورج طرايشي: مفكّر و مترجم و ناقد سوريّ (1939م)

هذه الفروض العلميّة تكتفي بتحليل فترة واحدة من الفترات الزمنيّة التي مرّ بها المبدع، و هي فترة الطفولة، و فيه " مصادرة لعمر كامل من التّحارب و الثّقافة و الوعي"¹ و تهميش للعمل الأدبيّ و اعتباره مظهرا من مظاهر الشّدوذ، و هو ما جعل مرتاض ينعت منهج التحلّفي² بأنّه تحليل مرضيّ متسلّط يبحث عن الأمراض اختيارا أو قسرا " فكلّ أديب- من وجهة نظر هذا التّيّار - مريض، وإذا فكلّ أدب نتيجة لذلك مريض أيضا"³

و محاولة لرأب صدع هذه المدرسة قام بعض النّقاد الغربيين بالربط بين علم النّفس و العمل الأدبيّ من خلال بؤابة اللّغة، حيث ظهرت فيما بعد ما يسمّى بالنّظرية البنيويّة النفسيّة على يدي الطّبيب الفرنسيّ جاك لاكان⁴ *Jacque Lacan* و دراساته هي أكثر الدّراسات منهجية و أشدّها صرامة، إذ كانت تستهدف مجالا أعمق و هو اللّغة⁵، و اللاشعور وفق ذلك مبينّ بطريقة لغويّة، لأنّ البنية التي تتحكّم فيه هي بنية لغويّة في صلبها تعتمد على التّداعي، و مادام الأمر كذلك فإنّ الأدب يعتبر أقرب التّجليات اللّغويّة إلى تمثيل اللاوعي، و يرى صلاح فضل أنّ هذه الفكرة اللغويّة مكنت الدّراسات النّفسيّة من أن تعبر من منطقة الشّدوذ التي كان ينظر بها إلى الأدب إلى منطقة تحلّل البنية الكلّيّة للعمل الأدبيّ⁶

¹ - يوسف و غليسي: مناهج النقد الأدبيّ، دار جسر للنشر و التوزيع، الجزائر، ط3، أكتوبر 2010، ص 28

² - التحلّفي: مطّح نحتة مرتاض من التحليل النفسي، لكيفية التّحت ينظر (عبد المالك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومه، 2010، ص 136-135)

³ - عبد المالك مرتاض: في نظرية النقد، ص 155-160

⁴ - جاك لاكان: طبيب فرنسيّ، ولد بباريس (1901م - 1981م)

⁵ - يوسف و غليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنيّة، ص 144

⁶ - ينظر: صلاح فضل: في النقد الأدبيّ، ص 45

و مع ذلك لم تسلم هذه الفكرة هي الأخرى من التّقد، لأنّ جاك لاكان - في رأي أندري أكون¹ *André Akoun* - قد جعل من فرويد لسانياً، و هو أمر استفزازيّ بعيد، فرويد لم يكن لسانياً، و ما ينبغي له، و اللّغة وحدها هي القادرة على التّعبير عمّا في النّفس من هواجس و مكبوتات و هموم².

رغم كل ما قيل عن هذا التّوع من المقاربات التّقديّة فإنّ هناك فئة أخرى من التّقاد العرب يخفّفون من حدة هذا الانتقاد من حولها، إذ جعلوا لها حدوداً كالجين من جماحها، و في هذا المقام ينوّه سيّد قطب بدائرة الدّراسات التّفنسيّة في الأدب مع احترام طبيعة الأدب و خصائصه الفنيّة³، و يؤكّد عزّ الدين اسماعيل هذه الفكرة. فاستخدام أدوات التّحليل التّفنسيّ في الأدب لا يمكن أن يكون إلاّ لأهداف موضوعيّة و فنيّة.

4.1: علم النّفس التجريبيّ:

و فيه اطّلع الباحثون على العمليّات التّجريبيّة عن سلوك الحيوان و الإنسان، و كذا معالجة الذاكرة و حصر القوانين التي تتحكّم في وظيفتها، و ارتباط ذلك بالمش و الجملة العصبيّة، و قد عرف هذا الاتجاه العلميّ بالذكاء الاصطناعيّ.

5.1: علم النّفس الإكلينيكيّ:

قدّم هذا العلم نظريّات كثيرة عن التّغييرات المرضيّة التي تعترى عقل الإنسان من خلال التّقنيّات الآتية:

" - التّحادث العياديّ

- الملاحظة.

¹ - أندري أكون: ناقد و عالم اجتماع ولد بوهران سنة 1924، و توفي بفرنسا سنة 2010

² - ينظر: عبد المالك مرتاض: في نظرية النقد، ص 156

³ - سيّد قطب: النقد الأدبيّ، أصوله و مناهجه، دار الشروق، بيروت، ط6، 1990م، ص 191

- الروائز السيكمترية (أي وضع الشخص في معيار الجماعة التي ينتمي إليها)
- الاختبارات الإسقاطية¹، و قد حاولوا إسقاط هذه التقنيات على العملية الإبداعية.

6.1: علم النفس الاجتماعي:

أفادت الاكتشافات السلوكية للإنسان في الجماعات التي ينتمي إليها المحترفون بالنقد الأدبي، و هو ما يسمّى في هذا العلم بالصّور الأيديّة، و هي صور يتخيّلها الإنسان، و يرى فيها منعكسا في الخارج، و هي أقرب للتخيّل و الهلوسة².

7.1: الأنثروبولوجيا:

كان لها تأثير كبير في الدّراسات التّقديّة، إذ مدّت نتائجهما التحليلية هذه الدّراسات مقدّمات وافرة عن الفولكلور الذي يعتبر مصدرا هامًا ينبىء عن التقاليد الشعبيّة و الأساطير و المعتقدات التي تتركز إليها نماذج الفنّ الشعبيّ و موضوعاته.

2- العلوم العقلية و التجريبية:

اقتحمت العلوم العقلية و التجريبية بدورها عالم الأدب و النّقد، بل كانت مرتكزات هامة لمناهج الحدّاث و ما بعدها، و قد وجدت طريقها إلى الإبداع الفنيّ و الأدبيّ عبر نمطين من الأقوال و القضايا:

- قضايا منطقيّة و رياضيّة.
- قضايا تتعلّق بالملاحظة و التّجريب.

1.2-القضايا المنطقيّة و الرياضيّة:

¹ - يوسف و غليسي: النقد الجزائريّ المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، ص: 85

² - ينظر: ستانلي هايمان: النقد الأدبيّ الحديث، ج1، ص 13

استجاب الباحثون الغربيون لدعوة أفلاطون حينما رسّم الرياضيات شرطا أساسا لولوج أبواب المعرفة فمن لا يعرف الرياضيات لا يطرق أبواب العلم و المعرفة¹.

و لا عجب في ذلك فالرياضيات هي لغة الكون، و قد اكتشفت المجتمعات حول العالم خلال آلاف السنين أنّ هناك فرعاً واحداً من فروع المعرفة يتميّز عن غيره بمنحه إيانا معرفة لا ريب فيها لحقائق العالم الماديّ المكنونة.

إنّما تصطاد البنى الخفيّة التي تقبع خلف الفوضى و التعقيد المحيطين بالكون من حولنا، من خلال البحث عن النسق و النظام، لأنّ عالمنا المتنوع العنّي يتركّب من أنماط و متواليات، فالنهار - كما ألفنا - يصير ليلاً، و الليل ينسلخ منه النهار، و الحيوانات ترتحل عبر الكرة الأرضية في تشكيلات دائمة التغيّر و الإبداع الإنسانيّ لا يتوقّف و لا يعرف الثبات، في سيرورة و حركيّة تلفت النّظر و المتابعة، و في كلّ هذه المظاهر الحيويّة نحتاج إلى إيجاد طريقة لفهم هذه الأنماط الطّبيعيّة، و المفاهيم الأساسيّة المؤرّطة لها، كالمكان و الكميّة و الأبعاد و الحركة و الأمور الفطريّة التي تنطوي عليها أدمغتنا.

ليس الإنسان وحده فقط هو الذي يشعر بحاجته إلى هذه اللّغة الكونيّة، بل الحيوانات أيضاً تشعر بالأبعاد و العدد، تقدّر إذا ما كانت متفوّقة عددياً أم لا، و إذا ما كان عليها أن تقا تل أو تطير تحسب إذا ما كانت فريستها في مرمى من هجومها أم لا. ففهم الرياضيات عندها إذاً هو الفارق بين الحياة و الموت.

و الإنسان هو من عرف حقيقة هذه المفاهيم، و بدأ يبني على هذه الأسس عوامله الخاصة في الوقت الذي بدأ يلاحظ فيه الأنماط، و يصنع العلاقات، و يعدّ و ينظّم كل ما حوله.

¹ - أفلاطون هو الذي دعا إلى إدخال الرياضيات كبرنامج إعداد حكّام المستقبل، و جعلها شرطا أساسا للدخول إلى أكاديميته الفلسفيّة، و لذلك

كتب على باب مدرسته: "من لم يكن رياضياً فلا يطرق بابنا" فالعلاقة بينهما في اعتقاده و وطيدة و صميّة لتسميّة القدرة التجريديّة و التّصوريّة. (ينظر عبد الله إبراهيم: المطابقة و الاختلاف، بحث في نقد المركزيّات الثقافيّة، المؤسسة العربيّة للدراسات و النشر، بيروت، لبنان 2004م، ص 185)

و تواجد الرياضيات في حياتنا يثير مشكلتين، إحداهما عامة و الأخرى خاصة بالحقل الأدبيّ و التقديّ، فأما المشكلة العامّة فتتلخّص في مدى مقدار الدقّة التي تستطيع القضايا الرياضيّة فيها توصيف العالم المادي و تمثيله.

إنّما تصف عالمنا الماديّ بدقّة عجيبة متفاوتة في كثير من المجالات، و ما يثير الدهشة فعلا هو قدرة هذا العلم التجريديّ على وصف عالمنا الحقيقيّ الذي نحسّ به من حولنا، أي عالمنا الماديّ الملموس، فهي تتغلغل إلى عمق التّركيب الماديّ للمحسوسات فتفكّكها جزءا جزءا حتى تطلّ على أصغر مكوناتها فتصف تركيباتها المعقّدة، و لكن ليس وصفا لسانيا، و إنّما في معادلة رياضيّة، و هذا ما لا نستطيع حقيقة فهم معناه من غير الرياضيات، هي معادلات صغيرة دقيقة تصف أشياء عظيمة لا يمكن وصفها إلّا بها. و هل يمكننا فعل ذلك بنجاح مع العمل الأدبيّ و التقديّ الذي يتميّز عن غيره و يتّصف بالفنيّة و الجماليّة؟ و هل يمكن فعلا القبض على النسخة الأصليّة التي يصدر عنها الإبداع الإنسانيّ؟

لقد كان الشكلائيون الروس من أوائل المحييين الطارقين لهذه الأبواب باستثمار ما توصّلت إليه النماذج الرياضيّة في تدعيم أسس نظرية الأنساق العامّة، لتجعلها ديناميّة، تماما مثل النسق الرّياضيّ القائم على بنية العناصر، و التّراتبيّة المتزايدة أو المتناقصة من جهة، و على الانتظام و التوازي و التشاكل و التّحاكي من جهة أخرى.

و للتّدليل على ما سبق بيانه يمكننا الاقتصار على بعض النماذج التقديّة التي استعانت بالنظريات الرّياضيّة و المنطقيّة، للكشف عن كينيّة التّأثر، و مدى فعاليّة التّفكير الرّياضيّ و المنطقيّ و مساهمته في رسم حدود و معالم علم الأدب و مدّه بالأدوات و الأساليب العلميّة الممكنة.

– توماشفسكي¹ Tomachevski و نظرية ماركوف² Markov:

¹ – بوريس توماشفسكي: ناقد أوكراني ينتمي للمدرسة الشكلائية (1866م-1939م) .

² – أندريه ماركوف: عالم رياضي روسي. (1856م-1922م)

يطلق عليها أيضا نظرية السلاسل (*Théorie des chaines*) ، و هي نظرية قائمة أساسا على القيم التنبؤية في جميع المجالات، تبنى على نماذج رياضية في شكل معادلات و متواليات، تشرح و تبسط و تحلل الأحداث العشوائية، حيث تقودنا لتفسير أكثر الظواهر الطبيعية تعقيدا، و التي يعتمد في تفسيرها على احتمال كل حدث على الحدث السابق له مباشرة، فلا يرتد إلى أحداث ماضية قديمة، لأن الأحداث تتوالى تباعا، و الحدث يتلو الآخر دون الاعتماد على سندات وظيفية سابقة.

فالحالة المباشرة السابقة للأشياء تؤثر فعليا في الحالة المستقبلية (التنبؤ)، و لكنها بالمقابل لا تستطيع

تحديد الوضع المستقبلي النهائي بشكل دقيق¹. و لتوضيح ذلك نسوق الأمثلة الآتية:

- حالة الطقس: الأرصاد الجوية لا تتوقع أن يتغير الطقس بشكل قاطع بين عشية و ضحاها، و لذا فالتوقعات التي ترصدها تعتمد بدرجة كبيرة على طقس البارحة، لأن طقس البارحة يؤثر على طقس اليوم، و هذا لا يعني أن حالة الجو اليوم قد لا تتغير بشكل كامل عن المتوقع له، و لكن احتمال تغييره في لحظة يكون قليلا بالنسبة لاحتمال بقاءه كما كان.

- الأسعار: تسلك السلوك نفسه، فعادة ما يكون لأسعار سابقة تأثير قوي على أسعار اليوم.

إذًا: هذا التنبؤ الاستشراي يقوم على عزل آخر حالة أو وضعية، و التي تنعكس تدريجيا على الحالة التي تليها، و الهدف من ذلك اكتشاف الحالة قيد البحث قبل وقوعها.

هذا النسق الرياضي المجرد يمكن تطبيقه على الخطاب الأدبي الذي يتألف بدوره من متتالية من الوحدات، و الوحدة السابقة منها تؤثر إيقاعيا و نحويًا و دلاليًا على التي تليها، بل تعطينا إمكانات تنبؤية عن الوحدات الأخرى التي تنتظم معها تراتبيا في النسق تركيبيا و استبداليا. و بهذا النمط التفكيرى أظهر

¹ - Voir: Pierre Brémard: Initiation aux probabilités et aux chaines de markov, 2éditions, springer, berlin, P203-247

توماشفسكي بمناهج إحصائية أنّ بدايات الجمل و نهاياتها تميل إلى مقدار أكبر من الانتظام الإيقاعيّ و الموسيقيّ، منها في ثنايا الجمل، مستمرا تقني الاسترجاع و الاستباق، أي أنّ الاستباق يحدث عندما يعلن المبدع مسبقا عما سيقع، أو قد يلجأ للاسترجاع لدواع سرديّة و خطائيّة، و من ذلك قصة تولستوي¹ *Léon Tolstoi* (موت إيفان إيليتش) التي تتضمن استباقا في عنونها، بالإشارة إلى ما ستؤول إليه العقدة في نهاية القصة². و إضافة إلى ذلك قام توماشفسكي بإنجاز بحث حول النثر مدافعا عن دور الرياضيات الكميّة في إحصاء الوقائع المدروسة و تحديد طبيعتها، و عبّر هذا عن حاجة النقد المعاصر الملحة للتفكير الرياضيّ و المنطقيّ، و خاصّة فيما قدّمه لنا المنهج الرياضيّ من علامات و رموز و أرقام و صيغ مجرّدة " فهذه الرموز لا تقرّر شيئا، لأنّها مجرد طريقة لوصف الظواهر و إعداد الوقائع، و إذا كانت هناك مبالغة و شطط في استخدام الرموز الرياضيّة و لغة الأرقام، فإنّ العيب ليس في الطريفة و لكن العيب فيمن يسيء استعمالها"³، فمكمن النقص إذاً لا يتجلى في الصرامة العلميّة و المنهجية للرياضيات، و إنّما المشكل الأساس ينتج من صنيع الباحث نفسه الذي لا يعرف كيف ينزاح بالنماذج الرياضيّة من عالمها الأصلي إلى ذلك العالم الجديد الذي تهاجر إليه، فالكلمات ما هي إلا علامات تنقل بوساطتها المعاني، و يتمّ بها الوصف العلميّ و المنهجية لكل ما ينتجه الإنسان، بعيدا عن الإنشائية و التخندق الدّاتي و الإيديولوجيّ.

تشومسكي⁴ و التّجريد الرياضيّ:

¹ - ليو تولستوي: روائي روسي (1828م-1910م)

² - ينظر: أحمد حمد النعيمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الأردن، ط1، 2004، ص45

³ - أحمد يوسف: القراءة النسقية سلطة البنية و وهم المحايثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2007، ص 56

⁴ - نعوم شومسكي: مؤسس النحو التوليدي، أمريكي الجنسية، ولد سنة 1928.

برؤية أكثر عمقا و عقلانية يصرّ تشومسكي على التحوّل إلى العناية في البحث اللغويّ - من خلال نظريته التوليدية و التحويلية - بالأسس التجريدية القائمة على المبادئ التفسيرية التي تنفذ إلى عمق الظواهر و الوقائع اللغوية، بالاعتماد على ثلاث آليات مستوحاة من نظرية ستيفن واينبرج ¹ **Steven Weinberg** :

- الصّورنة: اختيار نماذج مجرّدة، يمكن من خلالها أمثلة الواقع اللغويّ، و قد تكون هذه الأمثلات ضاربة في العمق، أو جوهرية، أو راديكالية، و ضمنها نجد :

أمثلة المتكلم، المستمع المثاليّ، أمثلة اكتساب اللّغة في الحين، أمثلة المجموعة اللسانية المتجانسة تمام التّجانس.

- الطّبيعة الرياضيّة: النّماذج المختارة تكون ذات طبيعة رياضية، فنحو اللّغة بصفته نسق قواعد - في نظر تشومسكي - يولّد توليدا ضعيفا جمل اللّغة، و يولّد توليدا قويًا بناها.

- المرونة الاستيمولوجية: النّماذج الرياضية المتولّدة تكون أكثر واقعية.²

هذه الآليات بمثابة أدوات و وسائل تقنية لا يستغني عنها أي باحث لساني، مادام يتوق إلى بناء

عقليّ و علميّ للسانيات، يربط أكبر عدد من الظواهر الملاحظة بقوانين خاصة، تمثل في شكل مجموعة متّسقة يحكمها مبدأ عام، هو مبدأ التفسير. و تلك المجموعة تتجلى في مفاهيم أساسية و مسلّمات

تستنتج منها التّائج التفسيرية للنّظرية.³

¹ - ستيفن واينبرج: عالم فيزيائي أمريكي، ولد سنة 1933، حاز على جائزة نوبل للفيزياء سنة 1979.

² - ينظر عبد القاهر الفاسي الفهري: اللسانيات و اللغة العربية، ص 24-26.

³ - ينظر المرجع نفسه، ص 13.

من هذا المنطلق حاول تشومسكي مدّ جسور الاتصال بين اللسانيات و المنطق الرياضي، لاستخلاص قيم ابستمولوجية جديدة، " فكان أول عمل متكامل يصوّر نتائج هذا الالتقاء بين علمين متميزين (الرياضيات و اللسانيات) في مشروع مشترك بين تشومسكي و ميلر¹ *George A. Miller* في:

***Hand book of mathematical psychology.introduction to the formal
"analysis of natural languages"***².

و هو عمل يبرز بوضوح أنّ " اللسانيات الحديثة شديدة الاتصال بالرياضيات و الإحصاء و المنطق و علم النفس و علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا و الإثنولوجيا و التاريخ و الأدب و السياسة"³، كما أنّ " لها من القوّة أن تعبّر عن كثير من المفاهيم و الحقائق التي هي أقرب إلى الثبات منها إلى التحوّل كالنظر إلى بنية اللسان في حدّ ذاته و في وظيفته التّواصلية و المعرفية"⁴

- تودوروف⁵ *Todorov* و التّجريد السّردّي:

يقترح روبرت شولز⁶ *Robert E. Scholes* على المشتغلين بتحليل السرد القصصي منهج تودوروف كأداة استكشافية، و طريقة في تكثيف التّأويل على بعض خصائص القصّة المعاصرة، و من ذلك إجراء فرز الفعل الأساسي في العمل الإبداعي القصصي، و استعمال نظام تدوينه الرّمزيّ للبحث

¹ - جورج أرميتاج ميلر: من مؤسسي علم النفس المعرفي، بدأ تعليمه بالتركيز على الكلام واللغة ونشر دراسات بشأن هذه الموضوعات، مع التركيز على الجوانب الرياضية والحسابية والنفسية لمجال علم النفس.

² - امحمد الملاح، ابيستمولوجيا اللسانيات، نماذج النظريات، مجلة فكر و نقد www.aljabriabed.net

³ - عبد الحميد عبد الواحد: اللسان العربي، الحاضر و الآفاق، ضمن كتاب اللسان العربي و إشكالية التلقي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2007، ص 66

⁴ - المرجع نفسه: ص 66

⁵ - تودوروف: فيلسوف فرنسي من أصول بلغارية، اهتم بالنظرية الأدبية و تاريخ الفكر (و. 1939)

⁶ - روبرت شولز: كاتب و ناقد أمريكي، (و. 1929م)

عن المقومات الأصلية داخل الأشكال الفنية للقصص، أي ما يجعل الشكل الإبداعي قصة فنية متميزة.

هذا المنهج في طريقته المتدرجة يستعين بالمعادلات الرياضية و المتتاليات الحسابية في اختصار النموذج المجرد المتشكل في النسخ القصصية المتعددة. هذا العمل التجريدي يكون بالغ التعميم، بحيث يكشف عن بنية القصة البسيطة التي يمكن أن تظهر في قصص و حكايات ذات مواضيع متعددة، و هو يقود للهدف نفسه الذي سعى إليه بروب¹ *Vladimir Propp* من قبل في نموذجه الوظيفي.

و وفقا لذلك يمكن لأي مبدع أو هاو أن يقدم قصة بسيطة على النحو الآتي:

$$X-A+(XA)OPtX \longrightarrow Xa \longrightarrow XA$$

بحيث:

$$X = \text{صبي}$$

$$A = \text{يحب، أو يحبه شخص آخر}$$

$$a = \text{البحث عن الحب}$$

$$OPtX = \text{الصبي (X) يرغب في (OPt)}$$

علامة السلب تعني نفي الصفة، أي أنّ : $-A$ هو الافتقار للحب، أو كون المرء غير محبوب².

المتتالية السابقة تختصر لنا التسريد الآتي:

¹ - فلاديمير بروب: من رواد الشكلانية الروسية (1895م-1970م)

² - ينظر:

روبرت شولز: السيمياء و التأويل، تر سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 1994، ص 152

هناك صبيّ يفترق إلى الحبّ، و يريد أن يكون محبوبا، فيحاول البحث عن ذلك بكيفيات مختلفة، و في آخر المطاف يحقق مبتغاه، يحب، أو يصبح محبوبا.

التجريد الرياضيّ للسرد يكشف لنا أنّ القصة ما هي إلا قضية أولية يطلب تحقيقها في نهاية العملية السردية، و قد تتحقّق هذه القضية الأولية وفق الفروض المعطاة، أو يحدث العكس، و عليه " فإنّ ما يجعل من المتواليّة حكاية هو العودة إلى القضية الافتتاحيّة في النهاية. فالقصص تدور حول التحويل الناجح أو الفاشل للصفات"¹

هذا المنهج الرياضيّ مهّد السبيل فيما بعد للكثير من الباحثين للكشف عن البنية المجردة للقصة موضوع التحليل، و هو ما يسميه تودوروف بالحكاية الأصلية التي سرعان ما تطفو على سطح التحليل بعد فرز متواليّة الأفعال الأساسية، و تحديد مركّب الخصائص الذي يقترن بالشخصيات - و هو ما يسميه بارت الشفرة الإيحائية - إنّه سهل فيما بعد العملية التأويلية و ينفذ للنسخة المجردة.

للتأكيد على نجاعة هذه الطريقة يجرد روبرت شولز قصة " إيفيلين"² رياضيا وفق المعادلة الآتية:

$$XA^1 + XB^2 \rightarrow X^3 - C + yaX^4 + (X - A + X^5 - B \rightarrow XC) \text{Pred} X \rightarrow (X \text{by}) \text{Pred} X^6 +$$

$$XA^7 \rightarrow X \text{notby}^8 \rightarrow (XB + X - C)^9 \text{IMP}$$

بحيث:

$$X = \text{إيفيلين، } Y = \text{فرانك، } A = \text{دبلني، } B = \text{عزب، } C = \text{سعيد، محترم، آمن } A$$

$$= \text{الفرار من بيت الأهل، } b = \text{القبول بالفرار، } - = \text{نفي الصفة، } \text{not} = \text{نفي الفعل}$$

¹ - ينظر: روبرت شولز: السيمياء و التأويل، ص 152

² - قصة إيفيلين لجيمس جويس *James Joyce* (كاتب و شاعر إيرلندي 1882م-1941م) موجودة كاملة في كتاب السيمياء و التأويل لروبرت شولز، ص 211

Pred = يتنبأ أو يتوقع، imp = متضمن في الخطاب¹، بينما تشير الأسس إلى رقم القضية.

المعادلة السابقة تؤسس من القضايا الآتية:

- القضية الاولى: إيفلين دبلنيّة و تعني حرفيا مقيمة في دبلن، أما مجازا فتعني الكثير، فهذه الصفة أساسية قائمة على متواليّة السرد كله، و هي في الحقيقة ما تدور حوله القصة إجمالاً، و فيه تظهر نموذجاً عاماً تتجلى داخله معظم القصص الأخرى التي تتركب من مضامين أساسية من قبيل العزلة و الحرمان و الكبت، و العجز عن القيام بفعل لتغيير ظروف الحياة.
- القضية الثانية: إيفلين بتول، و هي صفة سلبية توحى بالنقصان و التعاسة.
- القضية الثالثة: إيفلين تعيّسة في حياتها.
- القضية الرابعة: فعل القصة، يبدأ باقتراح فرانك عليها الفرار معه.
- القضية الخامسة: إيفلين تتخيّل أن وضعها سيتحسن بعد ذلك.
- القضية السادسة: يتحدد تنبؤها بالفرار.
- القضية السابعة: إيفلين دبلنية.
- القضية التاسعة: و لهذا ترفض الفرار مع فرانك من البيت.
- القضية التاسعة: مشروع إيفلين يتعطلّ و يستمرّ وضعها الحاليّ، و فرانك يغادر².

¹ - ينظر روبرت شولز: السيمياء و التأويل، ص 154

² - ينظر المرجع نفسه: ص 155

هذه القصة البسيطة تشبه في قضاياها إحدى حكايات الجنّيات الروسية التي حلّ لها بروب، و فيها يأتي الأمير لإنقاذ الأميرة من زنانة الوغد، و بعد أخذ و ردّ تقرّر الأميرة أخيرا البقاء في الزنانة لأنّ في البقاء أخفّ الضّررين من فكرة الرّحيل، فيخيب أمل البطل، و يعود لوطنه خالي الوفاض.

لقد لقي هذا التحليل التجريدي نقدا واسعا عند كثير من المتتبعين الذين لمسوا فيه صرامة رياضية تختصر العوالم الدلالية و الجمالية في رموز جافة، و في تمثيل ميكانيكي حادّ. و كيف يمكن بعد ذلك تحويل الروح الجمالية المنبعثة عبر اللّغة إلى مجرد تمثيلات رمزية جامدة؟

– غريماس¹ *Algirdas Julien Greimas* و الشكّنة المنطقية و الرياضية:

التّجريد المنطقيّ و الرّياضيّ يفرضان وجودهما بقوة في النّظام العامليّ الذي قدّمه غريماس و حاول من خلاله "شكّنة المثل الوظيفيّ ليصبح قابلا للتطبيق على كلّ الأنماط القصصية"²، و من أبرز المتصورات الرّياضية و المنطقية التي استعارها شيخ السيميائيين مقولة التّقابلات و منطق الجهات و مقولة الاتّصال و الانفصال و الحدود التي عرفت عند أرسطو و من بعده.

القضايا المتقابلة هي القضايا التي تتفق في الموضوع و المحمول و في الزمان و المكان، مع إمكانية اختلافهما في الكمية أو الكيفية، أو فيهما معا، و قد تجسّدت هذه القضايا فيما عرف من قبل بالمرجع المنطقيّ الأرسطيّ، ثم عدل السيميائيون فيما بعد عن هذه التسمية إلى المربع السيميائيّ (*Carré Sémiotique*)

(*e*)، بسبب المفارقة التي كانت تسم المربع، و التي تتضح من خلال الجمع بين التّجريد و التّجسيم في آن واحد³.

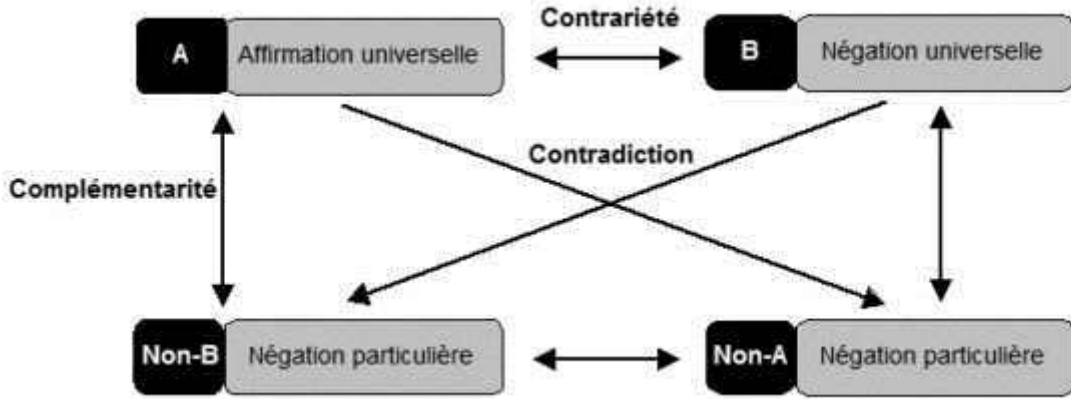
¹ – غريماس: لساني و سيميائي فرنسي من أصول ليتوانية (1917م-1992م)

² – سمير المرزوقي، جميل شاكر: مدخل إلى نظرية القصة تحليلا و تطبيقا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ص 65

³ – ينظر: محمد مفتاح: أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، مجلة عالم الفكر، م 35، الكويت، مارس 2007، ص 156

المربع المنطقي يتكوّن من فضاء قائم الذات كشكل للمعنى مبني على ثلاث علاقات منطقية¹: التّضادّ، التّناقض، التّداخل (العموم و الخصوص إثباتا و نفيًا).

و المخطّط الآتي يوضّح علاقات هذا المربع:



"المربع يقوم على متصوّرين اثنين هما أساس العلاقة الهيكلية: فكرة الاتّصال و فكرة الانفصال (أو الاقتران). يحتوي المربع على نمطين للانفصال: الانفصال بالتّضادّ و الانفصال بالتّناقض و أمّا العلاقة الاستتباعية (التّداخل) فهي علاقة تناسقية"²، و الفكرتان السابقتان جوهريتنا في مقولة التقابل تعملان كموجّهين كاشفيين لتوليد العلاقات المنطقية و تناسلها بين القضايا، و هو ما يؤكده محمد مفتاح قائلاً: "المربع السيمائي لم يصبح وسيلة عيان تساعد على الفهم و حسب، و إنّما صار شكلا هندسيا يصحّ توليد مفاهيم منه، لصياغة نظرية تعتمد على الطوبولوجيا و العلاقة و الاختلاف و الائتلاف"³. و هو ما اعتبرته المدرسة السيمائية الباريسية ثورة فكرية و منهجية، لأنّها من خلاله

¹ - ينظر سمير المرزوقي، جميل شاكر: مدخل إلى نظرية القصة تحليلا و تطبيقا، ص 120

² - محمد مفتاح: أوليات منطقية رياضية في النظرية السيمائية، ص 120.

تجاوزت الثنائية اللسانية السوسيرية، و الثنائية العددية البولية (0,1)، وكذلك الثلاثية القديمة التي كانت ركنا أساسيا في تفكير أرسطو و غيره¹.

2.2- النقد الأدبي و القضايا التجريبية:

حاول الكثير من الباحثين و النقاد صياغة إشكالاتهم و فروضهم، و إعداد أدواتهم و مفاهيمهم بطريقة علمية تخضع للمنهج التجريبي، حتى يتسنى لهم إقامة مقارباتهم النقدية و الوصفية على قواعد موضوعية و كذا تأسيس علم يضطلع بهذه المهمة الجديدة- في نظرهم- غير أنّ محاولاتهم هذه لم تأخذ بعين الاعتبار طبيعة العمل الأدبي الذي يختلف عن القضايا العلمية و المنطقية، و هو الأمر الملاحظ في الإسقاط القسري و التعسفي للمفاهيم و المصطلحات العلمية على الظاهرة الأدبية، و لعلّ أبرز المحاولات في هذا المجال ما قام به كل من " هيبوليت تين" و " برونثير" حينما تبنا النتائج التي توصل إليها العلماء في ميدان علم الأحياء، و نتيجة لذلك أخضعا الحكم النقدي لمقاييس موضوعية، و قد أشرنا إلى ذلك سابقا.

- النقد الأدبي في عصر العضويات:

عرف القرن التاسع عشر بعصر العضويات و تطوّر الأنواع البيولوجية، و فيه ساهمت الدراسات العلمية في تأسيس مذهب التطوّر عند الكائنات الحية الذي بدوره غزا مجال العلوم الإنسانية، و بخاصة الأدب و النقد، حتى غدا التحليل و التفسير هما سمتا ذلك العصر، و هما كل النقد. و انخرطا في هذه الثورة العلمية هب العلماء و الباحثون و النقاد يمتحون من معين هذا التوجّه الجديد و يستعينون بأدواته و نظرياته و نتائجه في تفسير العمل الإبداعي، و قد تعدّى ذلك إلى وصف بعض العلوم بالبيولوجية بإدراج السابقة " *Bio*" في بدايتها، و نشأ بذلك علم النفس البيولوجي، و علم اللسان البيولوجي، و علم

³ - محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط2، 1990م، ص 12

¹ - ينظر محمد مفتاح: دينامية النص، ص 159.

الاجتماع البيولوجي، و علم النَّص البيولوجي¹، و قد انخرطت البنيوية بدورها في هذه التحوّلات العلميّة الجديدة بأنساقها و تصوّراتها. و كمثال على هذه التوجّهات نسوق المحاولات الآتية:

● فردينان برونتيير *F. Brunetiere* :

اقتفى هذا الباحث الفرنسيّ خطى داروين² *Ch. R. Darwin*، و تبّى نظريته التطوريّة المشهورة، و حاول إجرائها في النّقد الأدبيّ على سبيل المقايسة، في كتبه "تطوّر النّقد *L'Evolution de la critique*" سنة 1890م، و "دراسات نقديّة حول تاريخ الأدب الفرنسيّ *Etudes critiques sur l'histoire de la littérature française*" الذي نشره في ستة أجزاء، بين سنتي (1880م و 1892م)، و "دراسات جديدة حول الأدب المعاصر *Essais et Nouveaux Essais sur la littérature contemporain*" بين سنتي

(1892م-1895م) و في هذه المؤلفات تحيّل الأنواع الأدبيّة كائنات حيويّة عضويّة خاضعة للتطوّر، بعضها عندما يصل إلى فترة النّضج يفنى جزئياً، و يقوم على أنقاضه نوع آخر، و بعضها تتحوّل ملامحه، و تتغيّر إلى نوع جديد يحمل في رحمه مورثات الأول، و لكن بروح توافق روح العصر التي ساهمت في تشكيله.

و مادام الأدب كائناً حيويّاً فإنّه حتماً- في تقديره- قد تطوّر فاستحال فنّ من فنونه إلى فنّ آخر جديد بفعل عوامل و ظروف بيولوجيّة نصيّة متداخلة، و دليله على ذلك المأساة الفرنسيّة التي ولدت مع جوديل³ *Etienne Jodelle* و نضجت مع كورني⁴ *Pierre Corneille* و شاخت مع فولتير¹

¹ - ينظر : محمد مفتاح: دينامية النص، ص8

² - تشارلز روبرت داروين: عالم تاريخ طبيعي بريطانيّ (1809م-1882م)

³ - جوديل: شاعر فرنسيّ (1532-1573)

⁴ - كورني: تراجيدي و مسرحي فرنسيّ (1606-1684)

Voltaire ثم ماتت قبل فكتور هوغو² *Victor Hugo*³. فالملمحة الشعريّة تضمّنت بعض العناصر و المقوّمات التي تدخل في التكوين العضويّ للقصة، كعنصر السرد و الحكاية و الشّخص، ثم تحوّلت هذه المقوّمات العرضيّة إلى مقوّمات أساسيّة، و ألغت كل ما يشير للملمحة، معلنة ميلاد نوع فنيّ جديد. إنّ هذه النظريّة في اعتقاد برونيتير لا تهدف إلى استرجاع الماضي استرجاعاً مرآوياً، و إنّما تتبع ميلاد و نشوء ثم تحوّل الأجناس الأدبيّة، مما يسهّل فهمها و استنباط قانونها الداخليّ التكوينيّ، و نتيجة لذلك تصبح غاية النّقد عنده تتمثّل في الحكم على الأعمال الأدبيّة و تصنيفها و شرحها و تفسيرها، لأنّ ذلك يعمل على تحديد العلاقات الرّابطة بين العمل الأدبيّ و البيئته التي ظهر فيها من جهة، و العمل الأدبيّ في علاقته مع مبدعه من جهة أخرى.

غير أنّ تصوّره التطوّريّ البيولوجيّ هذا لم يسلم من النّقد و الرّفص، لأنّ الأساس النظريّ الداروينيّ الذي تبنّاه قد قوبل من قبل بالرّفص في مجاله العلميّ، فكيف يمكن أن يصلح لتفسير العمل الأدبيّ؟ كما أنّ هذا التفسير العلميّ الذي تبنّاه يغفل الجوانب التكوينيّة الأخرى التي تدخل في تركيب العمل الإبداعيّ، و منها الجانب النفسيّ، مثل العامل النفسيّ للشعراء و صلاتهم بعصورهم، و هو ما اضطرّ الكثير من النّقاد بعده إلى تعديل هذا التّصوّر، بجعله يلتفت إلى المنشئين للأشكال الإبداعيّة، و المؤرخين الذين يرسمون لنا الحدود الزّمنيّة و المفاهيميّة لها⁴.

¹ - فولتير: كاتب و مؤرخ و فيلسوف فرنسي (1778-1694)

² - فكتور هوغو: أديب و شاعر فرنسي (1802م- 1885م)

³ - ينظر: شوقي ضيف: البحث الأدبي، طبعته، مناهجه، أصوله، مصادره، دار المعارف، مصر، ط6، ص 94-95

⁴ - ينظر: زين أحمد: حركة التجديد في نقد الشعر العربي، ج2، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 2004، ص 323

و من وجهة أخرى هاجم كروتشه¹ *Benedetto Croce* نظرية تطوّر الجنس الأدبيّ مؤكّداً على التّفرد النوعيّ لكلّ عمل أدبيّ، و انفصاله عمّا سواه، لسببين أساسيين:

- معرفة الظواهر الفرديّة و إنتاج الصّور قائمان على العامل الحدسيّ و المتمثّل في الخيال.
- معرفة الظواهر العامّة الشاملة و إنتاج المفاهيم قائمان على العامل المنطقيّ.

و من ذلك فإنّ الأخذ بمبدأ مقولات الأجناس الأدبيّة يؤثّر سلبيا في استجابة المحلّل و المفسّر للعمل الأدبيّ، لأنّه حينما يحاول أن ينتقل من الاستجابة الحدسيّة إلى الاستجابة المنطقيّة لذلك العمل يجد صعوبة و بونا شاسعا في الجمع بين الاستجابتين السابقتين. و قد سار في هذا المسعى النقديّ من بعد كروتشه كثير من نقّاد القرن العشرين، حيث نادوا بعدم تحديديّة النّصّ، و على رأس هؤلاء جاك دريدا² *Jacques Derrida* و رولان بارت الذي أبرز في الكثير من أعماله استحالة تفسير العمل الإبداعيّ بدقّة علميّة و بموضوعيّة، ذلك أنّ النّاقّد حينما يدخل في مغامرة لولوج خبايا النّصّ يواجه سلسلة متراكبة من الإشارات و نظم التّرميز المتصارعة المضلّلة.

و من بعدهما رفع النّقاد العرب أقلامهم رافضين التّفسير العلميّ للأدب، و لعلّ أبرزهم محمد مندور الذي أخذ يرّد في أكثر من مرّة أنّ " كلّ العلوم في الدّنيا لا تستطيع أن تفسّر ذاك الشّيء الخبيء الذي يجعل نفسي غير نفوس الآخرين"³، و رأيه هذا يتفق مع ما ذهب إليه لانسون من أنّ مفسّر العمل الأدبيّ قد يستعمل كلّ الطرق العلميّة من أجل إخضاعه، و لكنّه دوما يصطدم بالكثير من

¹ - كروتشه: ناقد و فيلسوف إيطالي (1866 - 1952)

² - جاك دريدا: فيلسوف فرنسي من مواليد الجزائر، صاحب نظرية التفكيك، (1930م - 2004م)

³ - محمود السمرّة: محمد مندور شيخ النقاد في الأدب الحديث، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت لبنان، ط1، 2006، ص 62

العلامات المشفرة في النظام التي لا يستطيع علمه تفسيرها، و هذا الشيء هو من صميم خصوصية المبدع التي لا يمكن ولوجها إلا عن طريق الانطباعات الشخصية¹. و في قوله هذا تأكيد على الدور الأولي للانطباعية الذاتية التي تراعي الجانب الإنساني في الأدب.

-بروب و علم المورفولوجيا:

يستمد بروب شرعية نظريته العلمية التأسيسية القائمة على الوظائف الحكائية مما توصل إليه غوته² يكون موضوعه الأساسي ما أتت عليه بقية العلوم عرضا و مرّت عليه مرور الكرام (...). علما يكون الشتات الذي تبعث في هذه العلوم مؤسسا بذلك نظرة جديدة تسمح بمعاينة سهلة و مريحة لأشياء الطبيعة³، و هذا العلم له موضوعه الخاص الذي ينفذ إلى التعظي الداخلي للبنية، فيصف ظواهر عالية الدلالة، " و أمّا العمليات التي تستخدمها في المقارنة بين الظواهر فهي مطابقة للطبيعة البشرية و مستساغة منها، مما يجعل من أية محاولة من هذا النوع- و إن أجهضت- معانقة بين الفائدة و الجمال"⁴.

فالمورفولوجيا المستمدة من علم النبات تهتمّ بالبناء الشكليّ و أجزائه المكوّنة له، و علاقة هذه الأجزاء ببعضها بعض لا يكون إلا في إطار المجموع، و هو أمر ممكن - حسب بروب- في ميدان الحكاية الشعبية و الفولكلورية، و بالدقة نفسها التي تضاهي مورفولوجيا التشكيلات العضوية.

¹ - ينظر محمود السمرة: محمد مندور شيخ النقاد في الأدب الحديث، ص 63

² - غوته: من أشهر أدباء ألمانيا (1749م-1832م)

³ - فلاديمير بروب: مورفولوجيا القصة، تر: عبد الكريم حسن و سميرة بن عمو، شراع للدراسات و النشر و التوزيع، دمشق، ط1، 1996، ص15

⁴ - المرجع نفسه: ص 15

لم يقتصر بروب في مشروعه العلميّ على نقل مصطلح المورفولوجيا فقط إلى مجال الدراسات السردية، وإنما استفاد من جميع الأنساق المرتبطة به و المنظمة لعناصره، و التي تتمثل في:

- موضوع الدراسة و الظواهر و الأشياء التي تحيط بنا و التحوّلات الطارئة عليها.
- الاهتمام بالبناء الداخلي و البحث عن النسخة المجردة المتحققة في كل نموذج و تمظهراتها في القصص العجيبة.
- الاعتماد على العمليات الذهنية التي يتمتع بها هذا العلم من ملاحظة و علاقات و اختبار و نتائج.

هذه العناصر المشكّلة لهذا المشروع الجديد فرضت نفسها في مواجهة العجز و المأزق الذي وقع فيه علم السرد حينما وجد نفسه في طريق مسدود، بسبب تعدّد ألوان المادة التي تقدّمها النصوص الحكائية، مما جعل بلوغ الدقة و الوضوح أمرا عسيراً في ملامسة طرح المشكل و البحث عن حلول له¹.

إنّ المشكلة الحقيقية - في نظر بروب - تكمن في مناهج الدراسة، و حتى يتخلّص علم السرد من الفراغ المنهجيّ و يجب إزاحة الحدود الفاصلة بين ما هو أدبيّ و ما هو علميّ، حيث أنّ الأوان للاستفادة مما توصلت إليه العلوم الفيزيائية و الرياضية و الطبيعيّة على صعيد المنهج و المادّة و المصطلح، و نتيجة لهذا التلاحح أقام بروب إجراءه العلميّ على الأسس الآتية:

- المعاينة التمهيدية المعمّقة للقصص (الملاحظة و الفحص).
- الوصف العلميّ للمتون.
- التصنيف الدقيق المعتمد على الخطوتين السابقتين².

¹ - ينظر فلاديمير بروب: مورفولوجيا القصة، ص 19-20

² - المرجع نفسه: ص 20

• بنوية جان بياجي¹ *Jean Piaget* و البيولوجيا:

إنّ الصرامة العلميّة و المنهجية التي اتّسمت بها البنيويّة تعود أساسا إلى ارتباطها العضويّ بالعلوم البيولوجيّة و الفيزيولوجيّة من جهة و بالعلوم النظريّة من جهة أخرى، مما حدا ببعض الباحثين و النقاد إلى اعتبار هذه العلوم مفاتيح البنيوية، و من هؤلاء جان بياجي الذي حاول إزالة الحدود الفارقة بين هذه العلوم و البنيوية، فما توصلت إليه من فتوح علميّة يمكن تطبيقه بنجاح على الخطاب اللغويّ، ففي مجال البيولوجيا يرى البنيويون من مريدي البيولوجيا أنّ هناك تشابها بين البنية الغويّة و البنية الدماغيّة تصل إلى حدّ الحميميّة، فإذا كان الأمر كذلك فالعلاقة وثيقة بين اللّغة و الفكر و الواقع، مما يسهّل معه المزج بين البيولوجيا و اللسانيات، " و هكذا نجد تناولا للبنية البيولوجيّة و الدماغيّة العصبيّة، كما نعر - في نفس الوقت - على آراء مثبتة للعلاقة بين اللّغة و الدماغ، و مبيّنة لكيفية نموها، بمعية، في محيط، هو فضاء التفاعل و تعميق الصّلات بين كل أنواع نشاط الشخصية، و خصوصا التفاعل بين المخزون اللغويّ و بين أدوار نمو العضو المركزي"².

لم تترك البيولوجيا في عصر العضويّات مجالا إلا واقتمته، لقد اعتبرها بياجي الهيئة المنظّمة و الملهمّة التي جدّدت علوم الإنسان " فمن المهمّ هنا الإشارة إلى التجربة الأولى للبنيويّة التفسيرية في البيولوجيا، و هي عضوانية برتلانفي³ *Luding Von Bertalanffy* المستوحاة من أعمال السيكلوجيّة التجريبيّة في ميدان الصّيغات أو البنيات المحرّكة و المدركة، و إذا كانت أعمال هذا المنظر في علم البيولوجيا ذات قيمة لا تناقش نظرا لمجهودها المبذول في تأسيس (نظرية عامة للأنظمة) فإنّ التّحسينات الدّاخلة في الفيزيولوجيا المقارنة في علم الأجنّة السببيّة و في علم الوراثة و في نظرية التطور و في

¹ - جان بياجي: عالم نفس و فيلسوف سويسري (1896م-1980م)

² - محمد مفتاح: دينامية النص، ص 19

³ - برتلانفي: عالم أحياء ألماني استخدم مفهوم النظام كوسيلة للفهم الأفضل للظواهر (1901م-1972م)

علم الأخلاق... كانت ذات دلالة بالغة فيما يتعلّق بالتّوجيه البنيويّ الحالي للبيولوجيا¹. فالإنجازات البيولوجية المعاصرة تعتبر مصدرا أساسيا للبيويّة التي تمتلك تراثا طويلا في تاريخ الفكر العلميّ، و مع ذلك فإنّ تكوينها حديث نسبيا بالنسبة إلى تاريخ الربط بين التّجربة و الملاحظة و الاستنتاج، و هذا الربط هو الذي جرّدها من الغطاء الإيديولوجيّ و الفلسفيّ، و دفع بها نحو كل ما هو علميّ تجريبيّ، و ما فتئت بعد ذلك تنهل من البيولوجيا الإنسانيّة، و تعكف على مقولاتها العلميّة، من خلال المفاهيم الآتية:

● الكليّة (*La Totalité*):

أخذت البنيوية من البيولوجيا الإنسانيّة مفهوم الجملة الكلية، أي أنّ البنية تتشكّل من عناصر تخضع لقوانين تميّز المجموعة كمجموعة، و هذه القوانين المسماة تركيبية لا تقتصر على كونها روابط متوالية تراكميّة، بل تضفي على الكلّ ككلّ خصائص المجموعة المتباينة لخصائص العناصر².

● التّحويلات (*Transformations*):

لا يمكن لأي نشاط بنائيّ أن يقوم إلا على مجموعة من التّحويلات حتى لا تفقد البنية أي فائدة توليديّة و تفسيريّة.

● الضّبط الذاتيّ (*Autoréglage*):

البنية اللّغويّة مثل البنية الدّاخلية للكائن الحيّ تستطيع أن تضبط نفسها، مما يؤدّي إلى الحفاظ على عناصرها و الانغلاق، بحيث لا تولّد إلا عناصر تنتمي دائما للبنية و تحافظ على قوانينها³.

¹ - جان بياحي: البنيوية، تر: عارف منيمنة و بشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط4، 1985

² - ينظر المرجع نفسه: ص 8

³ - ينظر المرجع نفسه: ص 13

و من خلال ما سبق نتلمس بوضوح حماسة بياحي و اجتهاده في إضفاء التداخل المنهجيّ و العلميّ بين الظاهرة اللغويّة و الظاهرة البيولوجيّة، و هو إذ يدعو إلى ذلك يدعوه عن معرفة و يقين، حيث نتبيّن خبرته و اطلاعه على مباحث العلوم التجريبيّة و النظريّة، و بخاصّة بيولوجيا الإنسان في كتابه البنيويّة، و مع ذلك يبقى لكلّ مجال صفاته و خصائصه المميزة التي تجعل منه مغايرا للآخر ولكن دون انغلاق أو تعدّد.

-تركيب تقييمي:

لقد كانت المباحث السابقة غيضا من فيض، لا يمكننا بأي حال تتبّع كلّ التفاصيل حول حركة علمنة النّقد و الأدب، و لكن قدّمنا أمثلة نبرز فيها أهم الجهود التي حامت من حول هذه الحركة البحثيّة و النّقدية. و أهمّ ما نخلص إليه من عرضنا السابق أنّ النّقد الأدبيّ قد استفاد كثيرا من العلوم الإنسانيّة و التجريبيّة و النظرية، ساعدته على إثراء منظومته و إغنائها على صعيد كل من:

1- الفروض:

هي الفروض الأوليّة التي تعدّ منطلقا للبحث و التفسير، و التي قام بإعدادها - حسب ستانلي - علماء كبار في القرن التاسع عشر، و أوائل القرن العشرين، و منهم:

- داروين: قامت فروضه على فكرة أنّ الإنسان جزء من النّظام الطّبيعيّ، و أنّ الحضارة تطوريّة
- و منها استمدت فكرة تطوّر الأجناس الأديبّة التي لقيت نقدا و رفضا كبيرين.
- ماركس: رأى أنّ الأدب يعكس العلاقات الاجتماعيّة و الإنتاجيّة لمختلف العصور، و فكرته هذه لم تسلم من النّقد أيضا.
- فرويد: الأدب في تصوّره تعبير مقنّع، و تحقيق لرغبات مكبوتة قياسا على الأحلام، و قد بيّن كثير من النّقاد ضعف هذا التّصوّر.

- فريزر¹ *James George Frazer*: تقوم نظريته على السحر البدائي و الأسطورة و الشعائر الشعبية، غير أنّها أحبطت في مهدها.

- ديوي² *John Dewey*: عرفت نظريته بنظرية الاستمرار، أي أنّ الإبداع الأدبي و التقدي يجسّدان صورا مختلفة لفعاليّة إنسانيّة يمكن أن تقايس باقي الفعاليّات الديناميّة، و هذه الفعاليّة خاضعة للقوانين نفسها و نتيجة لذلك يمكن مقاربتها مقارنة موضوعيّة³.

و إذا اختصرنا أكثر فالمخطط الآتي هو دليلنا:

السلوكيّون ← الأدب ليس إلا رجلا يكتب و يقرأ، و لا شيء غير ذلك

العقليّون ← الأدب هو العقل الذي يفكر و يكتب و ينقد.

الاجتماعيون ← الأدب هو المجتمع الذي يمدّ بالأفكار فيؤثر و ينظّم و يضبط.

التجريبيّون ← الأدب كائن حي يولد و ينشأ و يتناسل و يتطوّر وفق بنية خاصّة ملاحظة.

2- المنهج:

تخلّص النقد الأدبي من انطباعيته و تدعّم بالمنهج، فأصبح أكثر تنظيما و تنسيقا عمّا كان عليه من قبل، و هذا لا يعني أنّ التقد القديم لم يعرف التّنظيم، و لكن كان يستعمله بطريقة عفوية و عارضة و لم تكن العلوم قد بلغت درجة من التّطور لتضبط بحوثها منهجيّا، و لا كانت زاخرة بالمعرفة الكافية التي

¹ - فريزر: عالم أنثروبولوجيا أسكتلندي (1854-1941)

² - جون ديوي: فيلسوف و عالم نفس أمريكي (1859م-1952م)

³ - ينظر: ستانلي هايمن: النقد الأدبي الحديث، ص 16

تساعدها على ذلك، و لأنّ عصرها يختلف عن عصر العلمنة الذي فرض تطوّراً مستمرا متسارعا على مختلف حقول المعرفة¹.

لقد جدّد التّقد في هذا العصر أدواته و إجراءاته ومصطلحاته التي تدعمت بالاستقصاء والإحصاء و التجربة و الملاحظة و الاختبار و غيرها من تقنيات البحث الجديدة، و قد اخترنا كمثال على هذا التّجديد مصطلح التّشاكل الذي وفد من الميادين العلميّة إلى الميدان اللّسانيّ و السّيميائيّ، و هو ما سنبحثه في الفصول القادمة.

3- الأسئلة:

اكتسب التّقد الجديد منظومة جديدة من الأسئلة، أصبحت هي المنطلق الذي يحدّد مسار البحث و منهجه، و معظمها يدور حول:

- ما هي أهمية العمل الفنّي من حيث علاقته بحياة الأديب و سيرته و رغباته؟
- ما علاقته بالجماعة، و بطبقته و مجتمعه و حياته الاقتصاديّة؟
- بم يعود هذا العمل على صاحبه و كيف؟ و بم يعود على القارئ و كيف؟
- ما الصّلة بين العمل الأدبيّ و النّماذج البدائيّة الشعبيّة، و بينه و بين المادّة الأدبيّة التّراثيّة، و بينه و بين الأفكار الفلسفيّة المعاصرة له و غير المعاصرة؟
- ماذا تخفي عوامله المحتجبة؟ و إلى أي مدى يضطلع محتواه بما هو برهانيّ ذو معنى؟
- كيف قيل ما أراد النصّ قوله؟ و ما هي العلامات الكليّة التي تشفّره؟²

¹ - ينظر: ستانلي هايمن: النقد الأدبي الحديث، ص 10

² - ينظر المرجع نفسه: ص 16

و نتيجة لما سبق لا يمكن أن يمارس النقد الأدبيّ - حسب ستانلي هايمن - إلا من توافرت فيه الصفات الآتية:

- الذكاء: ليكيّفه بما يلائم بحوثه و أعماله التّقديّة.
- المعرفة: شرط ضروريّ، سواء أكانت أدبيّة أم غير أدبيّة، و ذلك ليكون على وعي واطّلاع بما يتطلّبه عمله.
- المهارة: حتى لا يزيغ به المنهج أو ينحرف به نحو تحليل أجوف.
- الحساسيّة: حتى يظلمّ منتبها دوما للقيم الخاصة المبتوثة في العمل الذي ينتقده، و هنا يشير ستانلي إلى الدّوق، بحيث تصبح له أهمية كبيرة في تحديد أصالة النّاقد و كفاءته " ففي مجال الطّبيعيّات يستطيع الأحمق و الجلف إذا توفرت لديه الكفاءة الأوليّة أن يصل إلى النتائج التي توصل إليها أي عالم إذا هو أعاد تجارب هذا العالم، بينما النّاقد في طريقة التّحليل التّقديّ مهما تبلغ درجة هذه
- التّجارب الموضوعيّة سيظلّ داخلا في المجال الدّاتيّ مادامت هناك مصطلحات مثل (تقويم، تذوق)¹
- المقدرة: أي مقدرة الكتابة الأدبيّة و النّقديّة ليحسن البحث و التّنظيم و التّعبير عما يريد تجليلته².

¹ - ستانلي هايمن: النقد الأدبي الحديث، ص 20

² - ينظر المرجع نفسه: ص 20

و بعد كلّ هذا التّلاقح اختلف الباحثون و النّقاد بين مؤيّد لعلمنة النّقد و رافض له و متوجّس منه:

- موقف النّقاد و الباحثين من علمنة الأدب:

أ- الرّافضون لعلمنة الأدب و النقد:

لعلّ من أبرز هؤلاء الرافضين آلان تيت¹ *Allen Tate* الذي انتقد في كتابه (العقل في جنون) طريقة النّقد العلميّ مهاجماً العلوم الاجتماعيّة باعتبارها خطراً أساسياً على النّقد، و كذلك جون كرو رانسوم² *John Crowe Ransom* الذي دعا إلى إبعاد العلم عن دائرة النّقد حتى لا يفسده بنظرياته، و جول لوميتز و غيرهم، و تبرير هذا الرّفض عند هؤلاء أنّ " سحر الكتب التي خلفها المبدعون تتحدّى كل تحليل (...). إنّ العبقرية لتحيا في خفاء غامض و تلد كنوزاً خالدة على وجه الأرض لا يمكن تفسيرها"³.

أمّا في نقدنا العربيّ فيترجم هذا الاتجاه الرافض النّاقدا المصريّ محمد مندور.

ب- الدّاعون إلى علمنة النّقد:

كنا قد أشرنا في بحوث سابقة إلى بعض النّقاد الذين تحمّسوا للنّقد القائم على العلم، منهم تيين و بروننير و سانت بيف ستانلي هايمن ، و ماكس إيستمان الذي نشر بياناً في كتابه (العقل الأدبيّ) يبيّن فيه أنّ دائرة من دوائر العلم ستّخذ من الأدب موضوعاً لدراساتها⁴.

و هذا التوجّه العلميّ نلاحظه أيضاً عند البنيويين و السيميائيين و بكثافة لدى مدرسة باري—س و جماعة ل...م.

¹ - آلان تيت :شاعر و روائي أمريكيّ (1899م- 1979م)

² - جون كرو رانسوم: شاعر و ناقد أمريكيّ (1888م- 1974م)

³ - ستانلي هايمن: النقد الأدبي الحديث، ج1، ص 34

⁴ - ينظر المرجع نفسه، ص 33

و في نقدنا العربي الجديد يتبني محمد مفتاح و سعيد بنكراد و سعيد يقطين و بعض السيميائيين الجزائريين و التونسيين المشتغلين على السرد.

ت- أصحاب الموقف الوسط:

يقف لانسون بين الرافضين و المرادين موقف وسط، فالاصطلاح العلمي- من وجهة نظره- حينما يستخدم في الأدب لا يلقي غير ضوء كاذب، بل قد يلقي ظلمة، و لذلك فإنّ ما يجب أن نفكر في أخذه من العلم هو روحه التي تكمن في النزوع نحو المعرفة و الأمانة العقلية القاسية و الصبر الدؤوب¹.

و هذا ما يبرز لكلّ مجال طبيعته الخاصة المميزة التي تختلف عن الآخر، و مع هذا الاختلاف يمكن أن تكون بؤر التقاء بين الأدب و العلم في الروح النظرية و المعرفية التي تتصف بها العلوم التجريبية و العقلية و كيفية تناولها للمادة بأمانة و موضوعية و صبر.

غير أنّ الاستخدام المفرط لبعض الخصائص الجوهرية للعلوم كالمعادلات في الرياضيات و الفيزياء - حسب لانسون- ينقص من قيمتها، فتلك المعادلات ليست في الحقيقة إلا سرايا باطلا عندما تعبر عن دقة حاسمة عن معارف ذاتية بطبيعتها².

مهما يكن إذا فإننا لا نستطيع أن نضع حدودا فاصلة بين العلم و الأدب، إذ يحتاج كلاهما للآخر، كما أنّ الحاجة للعلم في عصرنا هذا أصبحت ضرورة ملحة، لما قدّمته لنا النظريات العلمية من أساليب و مناهج و تقنيات تساعدنا على الوصف و الإحصاء و التصنيف و الاختبار، بمراعاة الخصوصية الذاتية للعمل الأدبي الذي قد يتأبى و يستعصي على التحليل و التفسير.

¹ - ينظر: غوستاف لانسون : منهج البحث في تاريخ الأدب، تر محمد مندرو ضمن كتابه : النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر للطبع و النشر، القاهرة، ص 406-408.

² -المرجع نفسه: ص 408

فالتّقد إذا ليس مهمّة سهلة، إنّهُ إدراك معرّيّ و موضوعيّ مّنهج يستند إلى أصول علميّة ذات معطيات تقوم أساسا و كمبدإ أوليّ على التّدوّق، ثمّ تسلك بعدها منهجا اختياريا حسب طبيعة النّصّ، إذ لا ينبغي على ناقد الشّعْر أن يحلّل الشّعْر و هو يجهل فنونه و عناصره التّنظيميّة و التّكوينيّة، من أصوات و إيقاع داخليّ و خارجيّ و خيال شعريّ، و لا يجدر بالمشغل بالسّرد أن يجهل مكّونات القصّة أو الرّواية و عناصر بنائها و تكوينها من حبكة و شخوص و إيقاع سرديّ... حتى لا يتحوّل الناقد إلى ماضغ أقوال يهرف بما لا يعرف.

الفصل الأول

تطور مفهوم التشاكل من الميادين العلمية إلى الميدان اللساني و السيميائي

أولاً: الدلالة التأليلية و العلمية لمصطلحي (*Isotopie ,Allotopie*)

- 1- تأثيل المصطلحين
- 2- الدلالة العلمية للتشاكل

ثانياً: تأسيس منظومة التشاكل في الخطاب السيميائي الغربي

- 1- سيميوطيقا السرد و تصوورها النظري للتشاكل
- 2- تطور مفهوم التشاكل وتطبيقاته عند جماعة (II)
- 3- توسيع مفهوم التشاكل عند فرانسوا راستي *Francios Rastier*
- 4- التشاكل و المحور الدلالي عند أمبرتو إيكو *Umberto Eco*

توطئة:

التشاكل والتّباين مفهومان سيميائيان وفدا إلى الخطاب النّقديّ العربيّ الجديد مع غيرهما من المفاهيم الأخرى، كالتفاعل، و التماسك، والتّوازي. حيث استعمل المفهوم كآليتين جديدتين في استبطان النّصّ، ومعرفة آلية اشتغاله، وعوامل انسجامه وتماسكه. ويجمع كثير من النقاد والباحثين على أنّ المفهومين فرنسيان اكتشافا وتأصيلا، استعارهما غريماس من حقول علمية، كالفيزياء والكيمياء و الطّب. وبه ارتبط المصطلح الأول حتى أصبح يدعى بالتشاكل الغريمائي، مميزا الدّرس النّقديّ الفرنسيّ المعاصر بالإجرائيّة والفعاليّة، بعد أن فشلت بعض المفاهيم الانجلوسكسونية في تقديم إطار نظريّ ووصفيّ صالح لأن يتلمّس قعر النّصّ الدّلاليّ ويكتشف أسراره وخبائاه المعوّم¹.

أولا: الدّلالة التّأثيليّة و العلميّة لمصطلحي (*Isotopie, Allotopie*):

1- تأثيل المصطلحين:

بادئ ذي بدء لا بدّ من الحفر في الثقافة التي أنتجت المصطلحين (*Isotopie, Allotopie*) المقابلين للفظين العربيين (التشاكل و التّباين)، وتتبع امتداداتهما، ثمّ البحث والمقارنة في علاقات التّأثير والتّأثر في الثقافة التي تبنتهما واحتضنتهما بمناسبة تحديد آلياتها النّقديّة وتحريك عمليات الإبداع نحو سيرورة مستمرة.

إنّ المتبّع للجدور الأولى للمصطلحين يجد أنّ جلّ المعاجم اللسانية تؤكّد على أنّ (*Isotopie, Allotopie*) منحدران من أصل يونانيّ، وكلاهما مركب من جزئين:

- « *Isotopie* » مركب من: - « *Isos* » التي تعني التساوي (*Meme*)

- « *Topos* » التي تدل على المكان (*Endroit*)².

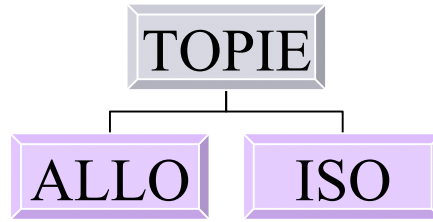
و يغدو الجزءان في تركيبهما يدلّان على المكان المتساوي أو المتشابه.

- « *Allotopie* » مركبة من: - « *Allo* » التي تعني آخر أو مختلف (*Autre*)

¹ محمد مفتاح: التلقي والتأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، بيروت-لبنان، ط2، 2001، ص: 158-159
- 2 Bussman Hadumod : Rutledge dictionary of language and linguistics, translated by: Gregory truth and Kerstin kazzari, London and new York p:601

- «Topos» تدل على المكان أيضا (Lieu)

فيقابل بذلك المصطلح معنى العبارة الآتية « Un autre lieu »¹
فالمصطلحان كما تبين يختلفان في السابقة ويتوافقان في اللاحقة (Topos). غير أنّهما لا يحيلان
إلى المعنى نفسه. فالأول يدلّ على التّساوي والتّشابه، والثّاني يحيل على الاختلاف و التّمايز.



هذا وقد لابس المصطلحين في الدّلالة مصطلحات أخرى في مجال البحث اللّسانيّ و تشابكا
و تضافرا مع مصطلحات بيّنت القيمة العلميّة و الدّور الدّلاليّ لكل من التّشاكل و التّباين، نذكر
منها:

• مصطلح : (Isomorphism)

واجه السّيميائيّون العرب هذا المصطلح الأجنبيّ بعدّة مقابلات عربيّة، منها: "تشاكل
مورفيميّ" و "تماثل"²، "تشاكلية"³، "وحدة الصيغة"⁴، بحيث لا تقوم لنا معرفة مصطلحيّة
و مفهوميّة واضحة لبلورة حقيقة كلّ مصطلح على حدة، إلّا بالعودة إلى أصله الغربيّة
و خاصّة في القاموس السّيميائيّ المعقّل المشترك بين غريماس و كورتيس، و كذلك قاموس
اللّسانيّات و علوم اللغة لجان دييوا و آخرين، و المعاجم العلميّة و الرّياضيّة، و فيها نقف على
الاختلاف الظاهر بين مصطلح (Isotopie) و مصطلح (Isomorphism)، و باقي
المصطلحات الأخرى.

¹-Ocean Delleaux:Le multiple d'artiste:Histoire d'une mutationartistique,
L'harmattan, paris, 2010, P139

²- مبارك مبارك: معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، ط1، 1995، ص155

³- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط1، 1985، ص251

⁴- عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيّات و اللغة العربيّة، ص429

ينحدر (*Isomorphism*) من ميادين تجرّيبية و رياضية، و يحيل على التشابه و التّوافق و التّجانس، و لكن من الجانب الشّكلي فقط. و الدّلالات الّتي يحملها تظهر ذلك، وفق ما يلي:

- الدّلالة التّائيلية:

(*Isomorphism*) لفظ إغريقيّ مرّكب من كلمتين:

- « *Isos* » التي تعني التّساوي (*Meme*)

- « *Morphisme* » أو « *Morphe* »، و في اللّاتينية تدلّ على

« *Forme* »¹ أي الشّكل، و بذلك تمثّل الكلمة المركّبة الشّكل المتساوي

أو التّساوي في الشّكل .

- الدّلالة الرّياضية:

يترجم معجم الرّياضيات الصادر عن مجمع اللّغة العربيّة هذا المصطلح بـ " تطارز"²، أي من الطّراز نفسه، ليضيف لنا اختلافاً آخر بعيداً كلّ البعد عن التّرجمات العربيّة الأخرى، و لكن أثناء شرح هذا المصطلح يعود ليختار مقابلاً عربيّاً آخر، و هو " التناظر":

" تناظر أحادي بين بنيتين A و B يحافظ على التّراكيب الجبريّة أو التّحليليّة أو غيرها، مثال ذلك التّطارز $Y=e^x$ ينقل زمرة الأعداد الحقيقيّة الموجبة مع عمليّة الضّرب، أي أنّ:

X_1+X_2 إلى Y_1+Y_2 ، حيث Y_1 هي صورة X_1 ، و Y_2 هي صورة X_2 "³

أمّا من النّاحية الجبريّة فإنّه يعني تساوي الشّكل، أي أشكال الإسقاطات الرّياضية بين الأجسام الّتي تظهر علاقة بين خاصّيتين أو عمليتين. إذا وجد تساوي شكلي بين بنيتين رياضيتين فإنّهما متساويتين شكلاً، و يسمى حينئذ التشاكل تشاكلاً تقابلياً.

تكون البنى الرّياضية متساوية الشّكل عادة، متشابهة بدرجة معيّنة من التّجريد مع تجاهل الماهية الخاصّة للعناصر في المجموعات الّتي تنتمي هذه الأشكال إليها، و التّركيز على البنى بحد ذاتها فتكون هذه الأخيرة متماثلة.

¹- Voir : J.J.Jourdan : Dictionnaire des termes usités dans les sciences naturelles, tome 1, paris, 1834, p666

²-مجمع اللغة العربية: معجم الرياضيات، ج3، القاهرة، 2001، ص94

³- المصدر نفسه: ص 94

يستخدم مفهوم تساوي الشّكل من قبل الرّياضيّين لنقل القواعد المبرهنات من جزء معرّف و مدروس جيّدًا في الرياضيات، لتطبيقها على جزء آخر من الرّياضيّات مجهول، و غير مدروس فيكون إيجاد خاصيّة تساوي الشّكل بمثابة إنفاذ للرّياضيّين، لحلّ مسائل غير محلولة.

$$F : A \longrightarrow B$$

$$G : B \longrightarrow A$$

هذا نموذج تشاكلي مجرّد بسيط، بحيث تصبح F معاكسة G¹.

- الدلالة اللّسانية:

نقول أنّ هناك (*Isomorphism*) إذا لاحظنا تجانسا بين بنيتين من ترتيبين مختلفين للوقائع و الأحداث، بحيث تظهر البنيتان الرّوابط التركيبيّة و التّنظيمية نفسها، أي أنّ القوانين التركيبيّة و التّنظيميّة للمورفيّات تكون ماثلة للقوانين التركيبيّة و التّنظيميّة للمقوّمات:

$$Isomorphism \longrightarrow Syntax = Sémantique$$

و انطلاقا من هذا فإنّ المشكل الذي يطرح بشدّة في اللّسانيّات هو مدى حضور هذا المفهوم و غيابه بين الوقائع الاجتماعيّة².

و بشكل أوسع طرح كل من بنيامين لي وورف³ *Benjamin Lee Whorf*، و إدوارد ساير *E. Sapair* في فرضياتهما تناظر اللّسان و الثقافة مفترضين على أساس ذلك أنّ لسان شعب ما منظمّ بحسب خبرته و رؤيته للعالم⁵، غير أنّ ليفي شتروس *c.levi strauss* يضيف للمعادلة السّابقة (تجانس اللّسان و الثقافة) عنصر الحضارة، ليصبح التّجانس بين اللّغة و التّقافة و الحضارة، و هي مصادرة بطريقة أخرى على حضور مصطلح (*Isomorphism*) في اللّسانيّات ضمن ارتباطها بالجانب السّوسيوولوجيّ و الثقافيّ، كما يدخل هذا المصطلح أيضا في

¹ - Voir : Christopher Clapham, and James Nicholson : oxford, concise dictionary of mathematical , 2 edition , newyork, p435, 436.

² - Voir :Jean Dubois et autres: dictionnaire de linguistique et sciences du langage, Larousse, Paris, 1999 p: 259

³ - بنيامين لي وورف: لساني و أنثروبولوجي أمريكي (1897م- 1941م)

⁴ - إدوارد ساير: لساني و أنثروبولوجي أمريكي (1884م- 1939م)

⁵ - Voir : Jean Dubois et Autres: Dictionnaire de linguistique et sciences du langage, p: 259

العلاقة التّوافقية بين بنية دلاليّة للّسان ما، و بنية دلاليّة للّسان آخر (مصطلح مع مصطلح) و تختلف درجة التّوافق حسب زوج اللّسان و درجة توازيهما¹.

–الدلالة السّيميائيّة:

يُعرّف هذا المصطلح في قاموس غريماس و كورتيس بالتطابق الشكلي بين بنيتين أو أكثر مأخوذتين من مستويين سيميائيين مختلفين معروفتين بفعل الموافقة الممكن في الشّبكة العلائقيّة الّتي تؤسسها، و الّتي تظهر تمفصلات المستوى التّعبري و المستوى المضموني، حيث نجد تناظرا بين:

– صوتيّم : مقوّم

– صوتم : معنم

– مقطع صوتيّ : ملفوظ دلاليّ².

* مصطلح (Isosémie):

يميّز برنار بوتّي³ B.Pottie بين (Isosémie) و (Anisosémie)، أي التّشاكل المتعلق بالمقوّمات العامّة و التّباين الذي يقطع التّجانس و التّوافق بينها في محور دلاليّ واحد، و قد نقل عنه الباحثون الغربيّون الكثير من المصطلحات و المفاهيم الخاصة بالمجال الدلاليّ الأوسط، و لعلّ أبرزهم فرانسوا راستي الذي أخذ عنه مفهوم المقوّم العامّ و المقوّم الخاصّ.

و يوضّح أصحاب قاموس اللسانيات دلالة مصطلح التّشاكل المقوّم العامّ بسطر من قصيدة " الرّسالة " للشّاعر الفرنسيّ جاك بريفار⁴ Jacques pervert :

« *Le fruit que quelqu'un a mordue* »

يتحقّق في المقطع الشعريّ السّابق انسجام واضح بين وحداته المعجميّة المتتالية، مما يؤسّس تشاكلا مقوّميا عامّا (Isosémie) يبرز في المعنمين (*Le fruit*) و (*mordue*)، بينما

¹ - Voir : Jean Dubois et Autres: Dictionnaire de linguistique et sciences du langage, p: 259

² -Greimas et Courtes : semiotique,p197

³ – برنار بوتّي: لسانيّ فرنسي (1924م)

⁴ – جاك بريفار : شاعر فرنسي (1900م-1977م)

التركيّب الاستبداليّ الآتي نسجّل فيه انقطاعا دلالياّ مما ينبئ بتباين وحداته أي
(Anisosémie):

¹ « *Les portes qui mordent* »

و التّباين يظهر جلياّ هنا بين الوحدتين المعجميتين (*Les portes*) و (*mordent*)، و كلاهما
يحيلان على حقلين دلالين مختلفين ساهمت في تشكيله الاستعارة.

• مصطلح (*Isosyllabique*) :

يترجمه بعض الباحثين العرب إلى تماثل مقطعيّ².

نقول أنّ وحدتين أو أكثر متشاكلتين مقطعيّا عندما يتوازنان مقطعيّا، أي يتكوّنان من المقاطع
الصّوتية نفسها³. غير أنّ أصحاب القاموس اللّسانيّ لم يفصحوا عمّا إذا كان هذا التّوازن عدديّا
أو نوعيّا أو ترتيبيّا.

• مصطلح (*Isoglosse*) :

تُترجم إلى لهجويّة أو تشاكل لهجويّ، غير أنّ أحمد مختار عمر لا يقف عند هذا الحدّ
الاقتصاديّ للتّرجمة بل يقابل هذا المصطلح بجملة تعريفية تقوم بتحديد هذا المصطلح لسائيا، فهو
إذا " الخطوط الفاصلة بين الصّور الكلاميّة المتنوعة"⁴، أمّا مبارك مبارك في معجمه الألسنيّ فيقابله
بـ " خطّ التّماتل اللّغويّ، متشابه اللّغات"⁵ ليرفع المصطلح على الصّعيد اللّغويّ و ليس
اللّهجويّ، و هو تحديد منه غير دقيق إذا راعينا الفرق بين اللّغة و اللّهجة.

و في علم اللّهجات يعتبر الحدّ اللّهجويّ حدّا محيطا بجهة جغرافية تميّز بتجلّ موافق للفعل
اللّسانيّ (صوتيّ، نحويّ، دلاليّ) حيث تتمّ المقارنة بين أحداث كثيرة من هذا التّوع، و مما يلاحظ
في ذلك أنّ المناطق المتاخمة لحدود الانتشار الجغرافيّ ليست هي نفسها دائما، و لكن تتكوّن من
حزمة لهجويّة يمكنها أن تقيّد بطريقة تقريبية المجال اللّهجويّ.

1 - Voir : jean dubois et Autres : Dictionnaire de linguistique, P259

² - مبارك مبارك: معجم المصطلحات الألسنية، ص 156

3 -Référence Précédente : p 259

⁴ - ماريو باي: أسس علم اللّغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، 1989، ص 278

⁵ - مبارك مبارك: معجم المصطلحات الألسنية، ص 155

يرى غريماس أنّ الإجراء السّابق تضطلع به مؤسّسة المجال السيميوثقافيّ، و خاصة سيميائيات الآداب الأجناسيّة (*Ethnolittéraire*) أين يلاحظ انعدام الموافقة بين الحدود الجغرافيّة و مناطق انتشار الأشكال السردية¹.

أمّا مصطلح التّباين فيإلى جانب (*Allotopie*) نجد مصطلحات أخرى اختارها بعض اللسانيين الغربيين و العرب لتتشارك مع المصطلح الأجنبيّ السّابق في الإحالة إلى كلّ ما هو مختلف و متباين، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

• مصطلح (*Hétérotopie*) :

يبدو أنّ السابقة (*Hétero*) هي التي أغرت الكثير من المتابعين للدّرس التّشاكليّ بأن يجعلوها نقيضا للتّشاكل مهما كانت دلالة المصطلح الذي يركبه، بحيث يترجمها عبد القادر الفاسيّ الفهريّ و سعيد حسن بحري إلى (غير متجانس)²، أمّا محمد مفتاح فقد اختار لها مصطلح (التّباين) في مواجهة (التّشاكل)، و التّباين عنده مقابل للمصطلحين الأجنبيين (*Hétérotopie*) و (*Allotopie*)³، و على الرّغم من هذا التّرادف فإننا نجد ههما مختلفين من حيث الدّلالة التّأليليّة و السيميائيّة.

(*Hétérotopie*) يتمحض للدّلالة على الفضاء، و ما يجري مجراه، لأنّه يتركّب تأثلياً من الكلمتين الإغريقيّتين:

- « *Hétero* »: المختلف أو الآخر « *Autre* »

- « *Topos* »: المكان « *Lieu* »⁴

و يصبح التّركيب بعد ذلك دالاً على مكان آخر أو مكان مختلف أو فضاء مختلف.

لهذا المصطلح دالتان، دلالة فلسفيّة و دلالة سيميائيّة:

- الدّلالة الفلسفيّة:

¹ - Greimas et Courtes: *Sémiotique*, p: 198

² - عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات و اللغة العربيّة، ص 428

- زنيسلاف واوزنيك: مدخل إلى علم النص، تر: سعيد حسن بحري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2003، ص 184

³ - ينظر: محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص 19

⁴ - Voir : Jean-Francois Staszak et Michel Lussault : *Dictionnaire de le geographie et de l'espace des sociétés* , Belin, Paris, 2003, P452,453

اصطنع هذا المصطلح لأول مرّة الفيلسوف الفرنسيّ ميشال فوكو *Michel Foucault* و ضمّنه معنى فلسفيّاً و اجتماعيّاً و سياسيّاً في محاضرة كان قد ألقاها في تونس سنة 1967م و سمح بطباعتها و نشرها في الثمانينيات.

و حسب فوكو فإنّ الهوتوتوبي فضاء فيزيائيّ مستقلّ عن البيئة المحيطة به، محكوم بقوانين و شرائع تجعل المنتسبين إليه خاضعين لسلطته، موالين لقوى مهيمنة خاصة، ضمن أسوار تفتح و تغلق، و هو فضاء محدّد بخمسة مبادئ أساسيّة:

- هذه الفضاءات حاضرة في جميع الثقافات.
- تختلف وظائفها و نشاطاتها من زمن لآخر .
- يقوم الهوتوتوبي بربط فضاءات مختلفة و متفاوتة بمكان واقعيّ واحد.
- يمكن أن تفتح أو تغلق، مما يجعلها مرّة معزولة، و أخرى ميسّرة.
- هو فضاء يختلف عن باقي مؤسسات المجتمع الأخرى، و قد يكون وهميّاً أو مثاليّاً¹.

يميّز فوكو بين أنواع كثيرة من الهوتوتوبي، فهناك هتوتوتوبي الأزمة، و هو فضاء امتياز ممنوع لغير منتسبيه، محجوز لأشخاص هم في وضعية أزمة، كالمراهقين و المهاجرين و المشردين و المسنّين و هناك هتوتوتوبي الانحراف، و هو فضاء يستقبل أشخاصا منحرفين عن قوانين المجتمع و نظمه الخاصّة، مثل مراكز إعادة التربية، و المصحّات النفسيّة... و هتوتوتوبي زمنيّ يتعلّق فضاءه بزمن معيّن، يلتقي فيه الأشخاص بمن عاشوا قبلهم و تركوا تراثا و أثرا بارزا، مثل المكتبة و المتحف و المقبرة...²

1 - Voir : Jean-Francois Staszak et Michel Lussault: Dictionnaire de le geographie P452

2 - Ibid : P452,453

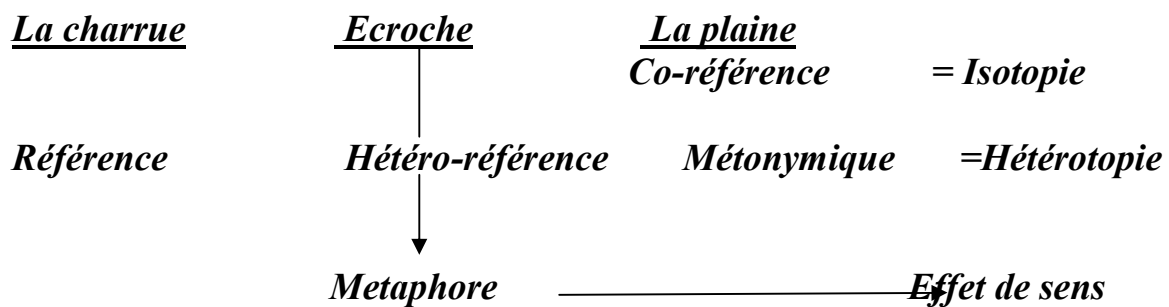
-الدّالة السيميائيّة:

تختصر دلالة الهتروبي سيميائيّا في كل ما يقابل الفضاء المرجعيّ، و الفضاء المكانيّ (مكان الأداء، مكان الكفاءة)، و الهتروتوبي أيضا يشمل الأماكن الحافّة و المحيطة، مثل (الخلف ، الأمام ، في مكان آخر) متباين مع (هنا، هناك)¹.

أما عند جان ميشال آدم *Jean-Michel Adam* فيشكّل الهتروتوبي انحرافا دلاليا و ثغرة خطائيّة أحدثها الفعل الاستعاريّ في النّصّ، يطلب من المتلقي تصحيحها و فكّ شفراتها. و من الأمثلة التي يوردها الاستعارة الآتية:

" المخرات يخذش السّهل " *La charrue écroche la plaine* "

تحدث الاستعارة شرحا خطايّا من خلال تباين المعنمين (المخرات) و (يخذش)، فكلّ منهما ينتمي لحقل دلاليّ مغاير، و هو ما يوضّحه آدم في المخطط الآتي²:



في المخطّط السّابق تظهر الاستعارة في التّتابع التّشاكليّ للتركيب، محدثة في المتواليّة التّشاكليّة الخطائيّة ثغرة يسمّيها آدم (*Hétérotopie*) و التي تشكّل توتّرا في تلقّي هذا الخطاب، مما يستدعي تصحيحها، و من ثمّ تأويلها حسب ما يتيحه السّياق من إمكانيات تأويلية، من خلال طرحه مقوّمات سياقيّة جديدة تحدّ من هذا التوتّر و الالتباس.

1 - Greimas et courtes: sémiotique, p: 172

2 - Jean-Michel Adam : Eléments de linguistique textuelle : Théorie et pratique de l'analyse textuelle, Pierre Mandaga, Liege, 1990, p 110

• مصطلح (*Dissimilation*) :

نظرا لما يحمله هذا المصطلح من دلالة على المخالفة و المغايرة فإنّ بعض الباحثين العرب استخدمه ك مفهوم نقيض للتشاكل، بينما قصره آخرون على المخالفة الصوتيّة، أي " أن يتغيّر صوت ليخالف صوتا مجاورا له"¹، و قد ورد بهذا المعنى في قاموس اللسانيات لجان دييوا و أصحابه أي أنّ اشتغاله لا يكون إلا على مستوى الوحدات الصوتيّة أين يستعمل كمرصد للاختلافات والتغيّرات الصّوتية التي تتغيّعا مواضع النّبر وتقدير قيمة كلّ صوت بالمقارنة مع مجاوره².

• مصطلح (*Paradoxe*) :

نجد له هو الآخر عدّة مقابلات عربيّة، نذكر منها: (المفارقة)³، (المفارقة الضدية)⁴ (مناقضة)⁵، (المغالطة)⁶، و قد جعله فيصل الأحمر في معجمه السّيميائيّ في تزواج مع التشاكل (*Isotopie,Paradoxe*)⁷، منفردا بهذه التّنائية و ملغيا المصطلحات الأخرى. و حتى نقدّر ما إذا كان هذا المصطلح يصلح زوجا للتشاكل أم لا، لا بدّ علينا من تتبّع أصوله اللّغوية الأولى.

و بعد الحفر في جذوره و الكشف عنها، تبين أنّه من أصل يونانيّ مرّكب من كلمتين:

Para-: (*Contre*) ، مناقض

Doxa - (*Opinion*)⁸ ، رأي

1- مبارك مبارك: معجم المصطلحات الألسنيّة، ص 85

- محمود السعران: علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، دار النهضة العربيّة، بيروت، 2006، ص 359

2 - Jean Dubois et autres: Dictionnaire de linguistique et sciences du langage, P153-154

³- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985، ص 255

⁴- ترفيتان تودوروف، ميخائيل باختين: المبدأ الحوارية، تر فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط2، ص 214

⁵- رولان بارت: التحليل النصي، تر: عبد الكبير الشراقوي، دار التكوين، سوريا، 2009، ص 137

⁶- روبرت شولز: السيمياء و التأويل

⁷- ينظر: فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 235

⁸ -R. De roquefort et J.J. Champollion-Figeac : Dictionnaire étymologique de la langue française, tome2, Paris, 1829, P178

أي يدلّ على الرّأي المناقض، فهو يحيل أساسا على علاقة منطقيّة تتمثّل في التناقض، غير أنّ ما يقابل التشاكل لا يمكن حصره في التناقض فقط، بل قد يكون الاختلاف، أو التّباين، فالتركيب و التّصوص التي لا تتسم بالتشاكل لا يمكن أن نقول عنها أنّها متناقضة، و إلاّ فقدت قيمتها الدّلايّة و السّيميائيّة.

و يمكننا اختصار ما يدلّ على الانسجام و الاتّساق من جهة، و ما يدلّ على التّباين و الاختلاف من جهة أخرى من المصطلحات الأجنبيّة في الجدول الآتي:

ما يدلّ على التّباين	ما يدلّ على التشاكل
<ul style="list-style-type: none"> - <i>Allotopie</i> - <i>Hétérotopie</i> - <i>Dissimilation</i> - <i>Paradoxe</i> 	<ul style="list-style-type: none"> - <i>Isotopie</i> - <i>Isomorphisme</i> - <i>Iosémie</i> - <i>Isoglosse</i> - <i>Isosyllabique</i>

و هكذا كلما وجد باحث سيميائيّ أو لسانيّ عربيّ مصطلحا أجنبيا مفتتحا بالسّابقة (*Iso*) التي تعني التّساوي إلاّ و قابله في الثّقافة العربيّة بالتشاكل، و جعله دالا على الانسجام و الاتّساق و التّماتل، و الصّنيع نفسه مع المصطلحات السّيميائيّة التي تبدأ بالسّوابق الدّالة على الاختلاف و المغايرة تمّ رصدها كنعقوض لمفهوم التشاكل، و رغم هذا الاختلاف الواضح بين الباحثين العرب فإنّ المعيار التّداولي قد فصل في ذلك من خلال ثنائية التّشاكل و التّباين (*Isotopie, Allotopie*).

2- الدّلالة العلميّة للتشاكل:

عرف مصطلح التّشاكل ووظّف بشكل لافت للانتباه، وبصورة علميّة محضّة في ميدان العلوم التّجريبية والعقليّة. وقد توصل العلماء بفضلهم إلى العديد من التّنتائج المرضية، وخاصّة في ميدان الفيزياء والكيمياء والطّب، أين تمّ بواسطته الكشف عن العديد من خواص بعض الأجسام الطّبيعيّة الغامضة، والتّوصل إلى سرّ تركيبها وتفاعلها.

فالكثير من الأجسام البسيطة تعرف في الطّبيعة وتوجد فيها في شكل خليط متنوع ومتجانس من المتشاكلات، وهي متوافرة بشكل غزير و وفير.

الفصل الأول تطوّر مفهوم التّشاكل من الميادين العلميّة إلى الميدان اللّسانيّ و السّيميائيّ

وفي الفيزياء النّوويّة يمثّل التّشاكل عنصرا أساسيا في عمليات الفصل والتّركيب والتّخصيب بين بعض العناصر الفيزيائيّة والكيميائيّة. والمتشاكلان في كلّ عملية ما لهما نفس الرّقم الذّريّ مع اختلافهما في الكتلة، أي لهما نفس عدد البروتونات والإلكترونات، ويشغلان المكان نفسه في الجدول الدوريّ لترتيب العناصر، وتعرفان بنفس الرّمز الكيميائيّ، ويمكن التّفريق بينهما بوضعهما في أعلى اليسار برمز الكتلة (مجموع الجزئيات المكوّنة) وتمييز من خلال ذلك المتشاكلات الكربونيّة 13،14،15 التي تكتب بالطّريقة الآتية: C^{13} C^{14} C^{15} . فالجسم الكربونيّ البسيط مثلا مكوّن من خليط المتشاكلات السابقة 13،14،15.

إنّ الفصل بين المتشاكلات يسمح بتخصيب وإثراء عنصر ما كاليورانيوم مثلا، وبعض المتشاكلات حين فصلها تنتشر منها غازات أو حرارة بطريقة الكروماتوغرافي (طريقة خاصّة في فصل أجزاء مرّكب) أو عن طريق التّبذ المسرّع (إركاس بواسطة مركسة دائريّة) و هي آلة ارتكاس سرعتها الدائرية مرتفعة جدا.

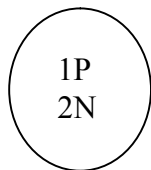
و المثال الآتي يمكن أن يشرح لنا بدقّة التّشاكل كيميائيا:

للهدروجين ثلاثة مشاكلات مشهورة، تشترك جميعها في احتوائها على العدد نفسه من البروتونات (العدد الذّريّ نفسه) و تختلف فيما بينها في عدد النيوترونات (الكتلة الذّريّة)

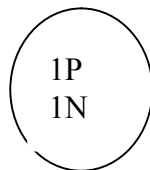
3 هيدروجين

2 هيدروجين

1 هيدروجين



تريتيوم



ديوتيريوم



بروتيوم

يسمّى كلّ مشاكل نسبة إلى كتلته الذّريّة:

- يسمّى المشاكل الأول للهدروجين (هيدروجين 1) أو بروتيوم.

- يدعى المشاكل الثاني للهدروجين (هيدروجين 2) أو ديوتيريوم.

- يسمّى المشاكل الثالث للهيدروجين (هيدروجين 3) أو تريتيوم و تتّضح الفروقات بين المتشاكلات الثلاثة في الجدول الآتي:

المشاكل	عدد الإلكترونات	عدد البروتونات	عدد النيوترونات
هيدروجين 1	1	1	0
هيدروجين 2	1	1	1
هيدروجين 3	1	1	2

من الجدول السابق نلاحظ أنّ المتشاكلات الثلاثة تتساوى في عدد البروتونات و تختلف في عدد النيوترونات.

أمّا في مجال الطّبّ فتعرف المتشاكلات على أنّها أجسام بسيطة متماثلة ومتجانسة في الخواص والمميزات الكيميائية والمغناطيسية والبصريّة ولكن مختلفة في عدد الدّرات اختلافا قليلا وتستعمل في تشخيص ومعالجة بعض الأمراض، ويمكن إدخالها إلى الجسم بواسطة إبرة أو مباشرة في المعدة حيث تظهر في شكل إشعاعات تسمح بتحرق وتحقيق دقيق. ومثال ذلك: فوسفور 32 وكالسيوم 45 يستعملان في دراسة النسيج العظمي، وهناك متشاكلات أخرى تعمل على فحص التّركيب الدّاخليّ في الأجسام الكثيفة وعدد من الأعضاء، كالكبد والغدّة الدّرقية، ومتشاكلات أخرى يمكنها معالجة فرط نشاط الغدّة الدّرقية أو سرطان الكبد¹.

فالفكرة التي اتّكأ عليها غريماس في نقل هذا المصطلح من ميدان العلم إلى حقل الأدب لم تكن ساذجة ولا بسيطة، وإمّا كان لها ما يبرّرها وما يدعمها من الحاجة الملحة لعلمنة الأدب. وما دام التّشاكل العلميّ دليلا على الانسجام والتّماسك في بعض الأجسام وطريقا سهلا وموصلا دالا على الخلل والإفراط والتورّم، فإنّه كذلك في حقل اللسانيات. إنّه أهمّ مؤشّر دال على الانسجام والتوافق والتّرابط، مزيل للغموض الذي يكتنف بعض المقولات، فهو لحمّة النّصّ

1-Larousse de poche :Dictionnaire de la médecine PARIS 1985., p : 364-365

و نسيج الخطاب الأدبيّ الذي تأسّس لأجل تأدية وظيفة ما، وهو أيضا أحد الجسور الممتدّة الرابطة بين العلم والأدب من أجل إقامة عالم جديد يغني الأدب والنّقد منه، فتجدّد المفاهيم والآليات والإجراءات.

ثانيا: تأسيس منظومة التّشاكل في الخطاب السّيميائيّ الغربيّ:

توطئة:

قضية انسجام الخطاب و اتّساقه من القضايا الهامّة التي شغلت فكر كثير من روّاد النّظريات التّقديّة في المجال الأدبيّ و غيره من المجالات الأخرى، و لعلّ أبرز هذه النظريات سيميوطيقا السّرد (غريماس *Greimas* ، كورتيس¹ *Joseph Courtés* ، أرفي² *Michel Arrivé*) و نظرية الذّكاء الاصطناعيّ (جان بيتيتو³ *Jean Petitot*...)، و نظرية الحرمان (جان ماري برادي⁴ *Jean-Marie Pradier*...)، و النّظرية الكارثيّة (روني توم⁵ *René Thom*...)، و النّظرية التّركيبية المنطقيّة (جماعة μ)، غير أنّنا سنركز بحثنا على ما جاءت به النّظرية الأولى و الأخيرة، لتعلّقهما بمفهوم التّشاكل.

بداية وقبل تقديم وصف نظريّ لأهم الآراء التّقديّة الغربيّة حول تأسيس مفهوم التّشاكل وتطوّره في بيئته التي أنتجته، لا بدّ من الإشارة إلى بعض المصطلحات المشكّلة لمنظومة التّشاكل و الواسمة للدّرس السّيميائيّ في الثقافة الغربيّة، ولكن ليس بتعريفها وتقديمها تقدّما نظريا، و إنّما بوضع المقابل العربيّ لها في هذا البحث خاصّة، ذلك أنّ التّرجمات العربيّة للمدوّنات التّقديّة الغربيّة يتضارب معظمها، و يتماوج، و يكاد لا يتّفق خلالها السّيميائيّون العرب حول مقابل عربيّ واحد للمصطلح اللّسانيّ و السّيميائيّ نفسه، وهو ما يضع الباحث في حيرة واضطراب منهجيّ و معرفيّ و لتجنب هذا التيه لم يكن أمامنا سوى الرجوع إلى هذه المدوّنات التّقديّة الغربيّة في لغتها الأصليّة و مقارنتها ببعض التّرجمات العربيّة، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

¹ - جوزيف كورتيس: لساني و سيميائيّ فرنسي (1929م-2013م)

² - ميشال أرفي: كاتب و لساني فرنسي (1936م)

³ - جان بيتيتو: فيلسوف و رياضي فرنسي (1944م)

⁴ - جان ماري برادي: عالم نفس فرنسي (1939م)

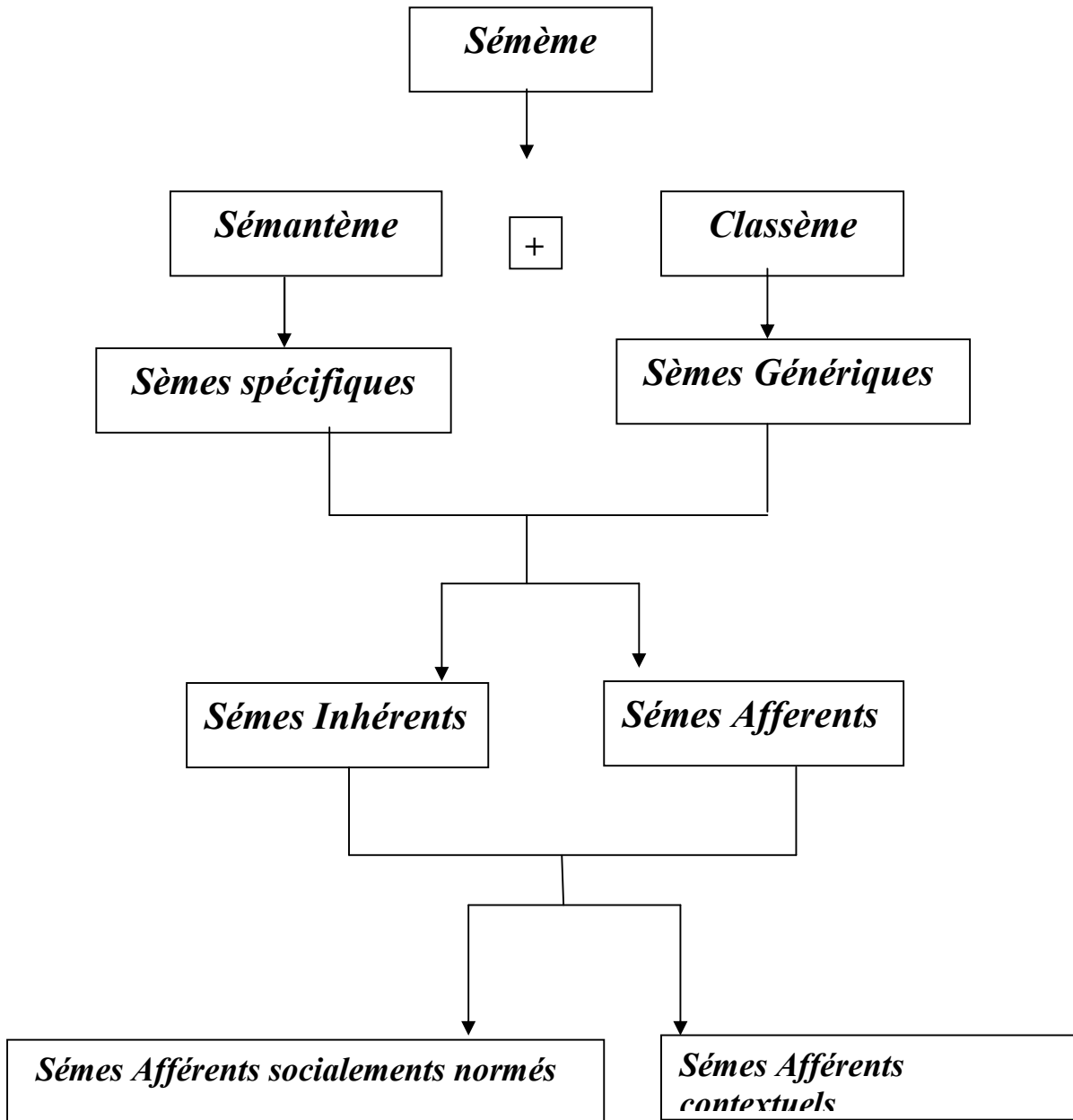
⁵ - روني توم: رياضي فرنسي (1923م-2002م)

الفصل الأول تطوّر مفهوم التّشاكل من الميادين العلميّة إلى الميدان اللّسانيّ و السّيميائيّ

النّظرية السّيميائيّة المعاصرة تعجّ بمصطلحات و مفاهيم نظرية كثيرة حول مفهوم التّشاكل، وهو أمر يعكس مدى صرامة هذه النّظرية منهجيا وإجرائيا، ولذلك اقتصرنا في بحثنا هذا على ما يؤسّس منظومة التّشاكل من مصطلحات وإجراءات، وحاولنا اختيار مقابل عربيّ لها يسعفنا في الوصف والمتابعة، معتمدين في ذلك على ما وقع عليه الإجماع و المتداول في السّاحة النّقديّة العربيّة. والجدول الآتي يوضّح هذا الاختيار:

المصطلح العربيّ	ما يقابله بالعربيّة
Sème	مقوم
Sémème	معنم
Phonème	صوتم
Monème	لفظم
Lexème	وحدة معجمية
Classème	مقوم سياقي
Sémantème	وحدة دلالية صغرى
Taxème	مصناف
Morphème	مورفيم
Isotopie	تشاكل
Allotopie	تباين
Afferent	وارد
Inhérent	لازم

ثمّ ارتأينا بعد ذلك أن نقدّم الخطّاطة التّظرية الآتية، ذلك أنّ متابعة التشاكل مرتبط باستحضارها¹:



1 - Voir: Jean Dubois et Autres: Dictionnaire de linguistique et des sciences Du langage, p424

1: سيميوطيقا السرد و تصوّرها النظري للتشاكل:

1.1- غريماس و خاصيّة انسجام الخطاب:

ضمن الاشتغال بسيميوطيقا السرد طرح غريماس - و هو أشهر روّاد هذه النّظرية- مفهوم التشاكل كمفهوم علميّ جديد وافد، يمكن أن يصلح كإجراء و أداة في تحليل الخطاب و تفسير قضايا الانسجام و الاتّساق المتعلّقة به، و لذلك ما فتئ منذ البداية يهيئ له الإطار الفلسفيّ و المنهجيّ و الاستيمولوجيّ، و يحيطه بمنظومة مفاهيمية يتحرّك داخلها، و يتجدّد بتجدّد البحث فيها، منذ عمله الأول المتمثّل في (علم الدّلالة البنيويّ *Sémantique Structurale*) سنة 1966م، و فيه حدّد العناصر النّظرية الأولى لهذا المفهوم، ثم تابعه و نفّحه في بحوثه اللاحقة و خاصّة في كتابه (في المعنى *Du Sens*) سنة 1970م، و في قاموسه السّيميائيّ المشترك مع كورتيس سنة 1980م.

إذاً يمكن أن نميّز في جهوده النّظرية هذه مرحلتين أساسيتين:

- مرحلة التّساؤل و التّأسيس المنهجيّ و النّظريّ.
- مرحلة التّدريج بالمتابعة و المراجعة.

● المرحلة الأولى:

ينطلق غريماس في إطار تقديمه لمفهوم التشاكل في حقله الجديد من مجموعة من التّساؤلات و المشكّلات، يتطلّب معالجتها بمنهجية علمية و منطقية، و هي المنهجية نفسها التي أرسى قواعدها الفيلسوف و المفكّر الأمريكي جون ديوي *John Dewey* ، و التي أصبحت تعتمد في كليات التّربية و معاهد التّعليم، ذلك لأنّها تعتمد بالدّرجة الأولى على خطوات التّفكير العلميّ، عندما يعتري الباحث حالة من الشكّ و الحيرة و التّرّدّد تدفعه إلى البحث من أجل الاستكشاف و المعرفة ، بحيث يتّبع في ذلك المراحل الآتية:

- الشّعور بالمشكلة: و هو ما يتطلّب نشاطا متحرّرا من الإكراهات المحيطة بالباحث.
- حصر المشكلة: تحديدها و ضبطها بدقّة.
- تقديم الفروض الممكنة في ضوء ما تجمّع من معطيات استدلالية مبدئية.
- روز الفروض: الفروض لا تتحوّل إلى حقائق إلا إذا خبرت بمخبر التّجريب، كالمناقشة مثلا و التّطبيق المبدئيّ.

- **تقويم الفروض:** ما تؤكّده التجربة يكون مقبولاً لدى الباحث، و ما يخالف ذلك يُرفض.¹
- تتجلّى هذه المراحل بوضوح في أعمال غريماس، ولكن في صورة تساؤلات و تحديدات نظرية متداخلة، تظهر كمايلي:
- **المشكلة الأساسيّة:**
- يلقي إيلينا غريماس بالمشكلة الآتية:
- " كيف يمكن أن نفسّر مجموعة سلميّة من الدلالات تنتج إرساليّة متشاكلّة؟"²
- يرى غريماس أنّ ما يثير القارئ و الباحث على السواء هو الكيفيّة التي يمكن بها تفسير الدلالات المتدرّجة النّاتجة عن تشكّل المسار التّصويريّ و الخطائيّ، و التي تنتج رسالة متجانسة منسجمة، و هو ما يطرح قضية وحدة القراءة و من ثمّ وحدة الدلالة الكلّيّة، فالأمر يحتاج إلى تفسير علميّ لهذه الظاهرة، و هو ما جعله يطرح الفروض الآتية:
- هناك مفهوم إجرائيّ يمكن أن يضطلع بخاصيّة الانسجام و الاتّساق في الخطاب الأدبيّ ويمكن تحويله من مجال علميّ تطبيقيّ إلى مجال سيميوطيقا السرد.
- تحليل الخطاب في كليته، باعتباره متوالية متراكبة من الأقوال و المقوّمات، و الانطلاق يكون من وحدة معجمية تظهر كوحدة معنى.
- الاستعانة بنظرية التّحليل بالمقوّمات، و التي تقوم بتحليل الوحدات الدّنيا المكوّنة للمعانم لإظهار التّمايزات المختلفة في السّمات الخاصّة.
- بناءً على هذه الفروض المقدّمة يلقي إيلينا غريماس مفهوم التّشاكل بصفته إجراء يقوم بتفسير مسألة الانسجام و كليّة الدلالة، و حلّ قضية الغموض و الالتباس التي تعترى بعض الخطابات السردية، ثمّ يقوم بتحديد عناصره النظرية الأولى.
- " يمكن بواسطة مفهوم التّشاكل أن نبرز كيف أنّ كلّ النّصوص تتحدّد على مستويات دلاليّة منسجمة، و كيف أنّ المدلول العام لمجموعة دالة، عوض أن يلتبس بشكل قبليّ، يمكن أن يؤوّل بمثابة واقع بنيوي للتمظهر اللغوي"³

1- ينظر: عواد محمد جاسم التميمي: طرائق التدريس العامة، شركة دار الحوراء، بغداد، 2010، ص 67

2 - Greimas : Sémantique Structurale , op, cit, p69

3 -Greimas : Sémantique Structurale P53

يزيل هذا التّحديد الغريماسيّ الفروق الفاصلة بين مصطلحين هامين، هما النّصّ و الخطاب فكلاهما يردان بمفهوم واحد، و إن كان المقصود من التّحديد الخطاب، و لكن غريماس يرى أنّه من الممكن استعمال مصطلحي (النص ، الخطاب) دون تمييز، للدّلالة على المحور المركبيّ للسيميائيّات غير اللسانيّة، مثل : الطّقس، فهو نصّ و خطاب في آن واحد¹.

فالتشاكل إذاً حسب النّصّ السابق مرتبط بالخطاب بعلاقة مباشرة و أساسيّة، عندما يتعلّق الأمر بكليّة الدّلالة و الرّسالة المتجانسة التي يتضمّننها بعدما يتحقّق على مستوى المحور التركيبيّ بوصف الآليات الجسّدة للانسجام الدّلالي، كما أنّ هذه الدّلالة النّاتجة لا تمثّل معطى يحصل بشكل قبليّ، و لكنّها تتشكّل بفعل تضافر العناصر اللسانيّة المتشاغلة و المتفاعلة في السياق التركيبيّ.

أ- اشتغال التشاكل:

" التشاكل هو استمراريّة قاعدة سلميّة للمقومات السياقيّة التي تمكّن نتيجة انفتاح المركّبات الاستبداليّة- المقولات السياقيّة- من تحقيق تعييرات وحدات التّمظهر، و هي تعييرات عوض أن تفسد التشاكل لا تعمل إلاّ على تأكيده"².

يقدم لنا التّحديد السابق الفروض الآتية:

- التشاكل استمراريّة قاعدة ترانبيّة للمقومات السياقيّة.
- التشاكل ينتج على مستوى التركيب و الخطاب، بفعل توارد و تراكم المقومات السياقيّة على طول التشكيل الخطابيّ، و التي لها اتصال وثيق بالقاعدة الأولى المؤسّسة للمقومات السياقيّة تتفاعل معها، و تتجاوب، و تتراسل دلاليا ضمن الخطاب.
- تعييرات وحدات التّمظهر نتيجة انفتاح المركّبات الاستبداليّة لا يقضي على الانسجام و التماسك، و لا يؤثّر على تشاكل الخطاب، مادامت مرتبطة و متراسلة مع القاعدة السلميّة للمقومات السياقيّة.
- يستعين أصحاب فرعية التشاكل بنظرية التحليل بالمقومات، حيث يقومون بتحليل الوحدات المعجميّة إلى سماتها المميّزة، و التي يطلق عليها دلاليًا (مقوم *Sème*)، و قد يكون

¹ -Greimas : Sémiotique, P102

² Greimas : Référence Précédente : p 96

هذا المقوّم جوهريّاً أو عرضيّاً، كما أنّ السياق أيضاً يفرز لنا مقوّمات سياقيّة خاصّة بسياق داخليّ دون آخر.

بعد اختبار فعّالية هذه الفروض و مدى نجاعتها في الكشف عن دور هذا المفهوم في تحديد الانسجام و الاتّساق الدّلاليّ للخطاب يتجّه غريّماس إلى تجرّبه على الخطاب المحكي لتصحيح مواضع التّباین و الاختلاف في بعض مقاطعه السّردية.

• المرحلة الثانية:

لا يزال هذا المفهوم -بعد التّحديد الأوّليّ- قاصراً نظرياً، لأنّه يحتاج إلى دعامة مفاهيميّة و مصطلحيّة و جهاز تنظيميّ خاصّ به، و هو ما اضطلع به غريّماس و من بعده، من خلال التعاريف المتهافنة و التّفريعات و التّقسيمات المتنوّعة، بحيث يطفو على سطح البحث مصطلحات سيميائيّة تحمل شحنات دلاليّة إضافيّة توّطر مفهوم التّشاكل، و تشكّل منظومته النظرية.

-تعريف التّشاكل:

يقترح علينا غريّماس عدّة تعريفات بنائيّة و تدريجيّة تحاول كل مرة سدّ ثغرة من الثّغرات المرصودة من قبل، و لعلّ أشهر تعريف له ما تداولته الكتب النّقديّة المترجمة و المتابعة للدّرس النّقديّ الغربيّ: " التّشاكل مجموعة متراكمة من المقولات المعنوية (أي المقوّمات) التي تجعل قراءة متشاكله للحكاية، كما نتجت عن قراءات جزئية للأقوال بعد حلّ إبهامها. هذا الحلّ نفسه موجه بالبحث عن القراءة المنسجمة"¹

يناقش محمد مفتاح التّعريف السّابق، و يبرز مواطن القصور فيه، ذلك أنّ غريّماس يتجاهل جانباً هاماً من جوانب التّعبير الإنسانيّ، و هو الجانب الشّكليّ الذي يتّسم به الخطاب الشعريّ بحيث يظهر التّشاكل في التّعريف السّابق مقتصرًا على المضمون فقط، و يختصّ بالحكاية دون غيرها من فنون القول و الإبداع الأدبيّ، كما أنّ اعتماده لفظ (الأقوال) يدلّ على إهماله التّقسيم الثنائيّ (المقال، القول)².

1- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص: 20

2- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص 20

و يظهر جلياّ مما سبق أنّ المشكلة الأساسيّة الثّانية التي دعت إلى ضرورة اعتماد التّشاكل هي مشكلة الغموض الذي يميّز بعض الخطابات السّرديةّ مما يرهّن دلالتها، و يضع خاصيّة انسجامها على المحكّ القرائيّ، و مع ذلك فإنّ إجراء التّشاكل كفيل بتبديد هذا الغموض اعتمادا على النّظرات القرائيّة الجزئيّة الدّاعمة للقراءة الكليّة الفاحصة، و التي تكشف عن:

- قياس المدّ التّراكميّ و التّواتريّ المنبعث عبر التيار الخطابيّ الحكائيّ.
- إحصاء المقوّمات السّياقيّة، و تنظيمها و ترتيبها، و ردها إلى قطبها الدّلاليّ الذي تتمغنط حوله.

- تحديد مستويات التّراكم (التّركيبية و الخطابيّة).

هي اختبارات يمكن أن نقوم بها عندما نتلقى خطابا ما، و من خلالها يحسّ القارئ بانسجام الخطاب من عدمه.

و لغريماس تحديدات نظرية أخرى نجدها تخصّص التعريف السّابق، و تزيده بيانا، منها: التّشاكل هو " التّكرار الذي يشير إلى شيء ما في النّصّ و يحيل على الدّلالة المستترة فيه وهذا التّكرار يكون على طول السّلسلة التّركيبية للوحدات المعجميّة التي تضمن تجانس الخطاب"¹.
تؤكد كلّ التعريفات النظريّة الغريمائيّة و غيرها، على عامل مهمّ، يظهر من خلاله التّشاكل و هو عامل (التّكرار) الذي يظهر في صور عديدة: شرح، حشو، تخصيص بعد إجمال، تمطيط لحدث ما، إثراء يشير إلى ظاهرة ما. كلّ هذه الصّور لا نعثر عليها اعتبارا في الخطاب، و إنّما تشير إلى شيء ما، أو تحثّ على شيء ما، و قد تكون هي مدار قصديّة الخطاب، انطلاقا منها تكون الرّسالة موجّهة و مكثّفة.

كلّ تلك الصّور لا تنقص من قيمة الأثر الأدبيّ، بل تساهم في نسج خيوط الدّلالة المنتشرة و الموزّعة عبر النّصّ، و على طول المسار التّركيبيّ للوحدات المعجميّة، و الذي يجمع على الأقلّ صورتين سيميائيّتين، يمكن اعتبارهما السّياق الأدبيّ الذي يسمح بتحقيق التّشاكل.

أمّا بالنسبة للمسارات التّوليدية للخطاب و توزيع مكوّناته يميّز غريماس بين التّشاكل التّحويّ (التّركيب في معناه السّيميائيّ) الذي يلاحظ فيه تكرار المقولات المعنويّة على مستوى

التّركيب، و التّشاكل الدّلاليّ الذي يسمح لنا بقراءة الخطاب قراءة شاملة وموحّدة، بعدما تجاوزنا القراءات الجزئية المرحليّة المتجاذبة¹.

ومن حيث الأبعاد يفرّق غريماس بين التّشاكل الجزئيّ و التّشاكل العامّ:

- التّشاكل الجزئيّ: هو تشاكل قابل للاختفاء والتّلاشي عند تقليص نصّ أو تلخيصه.

- التّشاكل العامّ: هو تشاكل قارّ و ثابت، يبقى على حاله مهما يكن طول النصّ آخذين بعين

الاعتبار مرونته².

و ضمن علم الدّلالة الخطابيّ يلاحظ غريماس أنّ هناك مكوّنات خطابيّة، و أخرى موضوعية

تنتج لنا نوعين من التّشاكل:

- التّشاكل الخطابيّ: يظهر على مستوى البنية السّطحيّة.

- التّشاكل الموضوعيّ: يتموقع في مستوى أعمق، وفقا للمسار التّوليديّ، و في بعض الحالات

لا نحصل على أيّ اتّصال بين التّشاكل الخطابيّ و التّشاكل الموضوعيّ، مثل: (وصفة

المطبخ) تتأسّس على مستوى المخطّط الخطابيّ، و تحيل على تشاكل أكثر عموميّة، و لكن

غير مرتبطة بموضوع محدّد³.

و في الخطاب الواحد يشير غريماس عرضا إلى مستويين هامّين من مستويات التّشاكل: تشاكل

تعبيريّ وتشاكل معنويّ. فالتّعبيريّ هو الجانب الشّكليّ في الخطاب إذ تظهر على مستواه بعض

المتشاكلات البسيطة (صوتيّة، نبريّة، إيقاعيّة، معجميّة...) تطفو على البنية السّطحيّة للخطاب

وتظهر من خلال وصف المكوّنات الدّنيا التي تنتظم في شكل متوالية متسلسلة.

1 - Greimas, Courtes: Sémiotique : P197

2 - Ibid : P197

3 - Ibid: P198

أمّا التّشاكل المعنويّ فهو تشاكل رساليّ، موجود بشكل أعمق وأوسع داخل البنيات الخطائيّة انطلاقاً من البؤرة إلى موجات تشظّيها عبر كامل التّسيج الخطائيّ. وهذا النّوع من المشاكلات هو الذي يجوي الدّلالة الكامنة في الخطاب، وهو الذي يسبر تيارات النصّ وموجّحاته. غير أنّ هذا المستوى لا يشتغل وحده إنّما يعمل آلياً بعد تجلي السّطح وانفتاحه بسلسلة من التّشاكلات المفتاحيّة التي تمثّل القراءة الأولى للخطاب.

وفي بعض الحالات يستعصي على المتلقّي حلّ الغموض الذي يعتري النصّ إذا كانت التّشاكلات الشّكليّة لا تتجاوب ولا تستجيب للبنية العميقة للنّصّ، وتلك حالات يعتبرها غريماس قليلة في الخطاب الإبداعيّ¹.

ولقد كان هذا التّقسيم الأخير منفذا لكثير من الباحثين و المتتبّعين في وسم الدّرس التّشاكليّ عند غريماس بالقصور، لأنّه أهمل مستوى هاما من مستويات تحليل الخطاب، وهو المستوى الشّكلي، فهناك خطابات لا تراهن إلّا على هذا المستوى، مثل الخطاب الشعريّ الذي يخرق نواميس اللّغة، و يتمرّد على منطقتها باللّعب اللّغويّ المضللّ، غير أنّ غريماس لم يبلغ هذا المستوى من عملية الفحص والكشف عن التّشاكلات كما يدّعي بعض النّقاد، وإنّما لم يعطه حقّه الكافي بالدراسة و البحث، والسّبب أنّ ما دعاه إلى اصطناع هذا المفهوم هو الغموض الذي لاحظته في بعض المقاطع السّردية و الذي رهن انسجامها، و هدّد وضوح رسالتها، فلا ريب أن يكون منطلق الاهتمام منها.

-قيمة مشروع غريماس:

لقد أحاط غريماس مصطلح التّشاكل بالكثير من التّعريفات والتّفريعات النظرية محاولاً أن يجعل منه إجراء فعّالاً في تحليل الحكاية والكشف عن ألغازها ومعمايتها، ولكن لم يسعفه ذلك إلّا على المستوى النظريّ حيث لا يجد الباحث ما يوازيه من تطبيق وممارسة فعليّة لما اصطنعه في هذا المجال الضيّق، وهو مجال الحكاية، متناسياً باقي أشكال التّعبير الأخرى كالشّعر مثلاً.

كما لاحظ كثير من السيميائيّين، وخاصة راسي *François Rastier* و جماعة (μ) أنّ هذا المفهوم الجديد يبدو قاصراً وغير ذي فائدة إذا تم حصره في زاوية ضيّقة، في مستوى واحد

وهو المستوى المعنويّ لأنّ المستوى التعبيريّ والمستوى المعنويّ لا يمكن الفصل بينهما. فهما وجهان لعملة واحدة.

ومع ذلك، و بالرّغم من هذا الانتقاص الذي أصاب نظرية غريماس، فإنّ الجهد الذي قدّمه لنا في إرساء معالم هذا المفهوم، من أجل ضمان انسجام الرّسالة يعتبر قيّما و مرجعا لكلّ باحث يشتغل في مجال السّيميائيّات، إذ يكفي أنّ كلّ من يلج هذا الباب إلّا و يشير إلى صاحب قصب السّبق في هذا الميدان الذي على لبناته بني الدّرس التشاكليّ، وكلّ بداية مهما كانت ناقصة و متعثرّة إلّا و تمهّد الطّريق لآفاق و غايات أفضل، و تراكم الأبحاث هو الذي يحدّد من قصورها ويسدّ ثغراتها. ولبداية كانت مع غريماس الذي فتح باب البحث لكلّ من جاء بعده كفرنسوا راستي، و ميشال أريفي و جماعة (μ) التي على يديها ارتسمت حدود التشاكل و قوانينه النّظرية.

2.1- التشاكل الدّلاليّ و التشاكل السّيميولوجيّ عند كورتيس:

يناقش كورتيس مفهوم التشاكل عند غريماس و من جاء بعده، و يحاول تقصّي دلالاته في الخطاب التّواصليّ بصفة عامّة، و الخطاب الأدبيّ بصفة خاصّة، و لكن بعد أن يضع الحدود الفارقة بين مجموعة من المصطلحات اللّسانية و السّيميائيّة (المقوّمات، المقوّمات السياقية، المقوّمات النّوويّة، المعانم...)، بحيث يصبح تعريفها و تحديدها شرطا ضروريا تمهيدا لأجل تأسيس ما يسمّى بالمستوى السّيميولوجيّ، و المستوى الدّلاليّ، و وفقا لذلك يتموقع التشاكل السّيميولوجيّ و التشاكل الدّلاليّ، و هذا الأخير لا يمكنه أن يبرز إلا بتوارد المقوّمات السياقيّة، لأنّ المقطع الخطابيّ لا يكون متشاكلا إلا إذا تكرر على مستواه مقوم أو عدة مقومات سياقية، و السياق الأدني الذي يمكنه أن يتضمّن تشاكلا هو السياق الذي يجمع على الأقل بين وحدتين معجميتين تتضمنان مقومين مشتركين.

و هو ما يلاحظ في التّركيب الآتي:

"الكلب ينبح" ← تركيب يتراكم فيه مقوّم أساسيّ : / حيوانيّ¹، و الذي يتراكم في سياق أدنى مكوّن من معنمين، هما (الكلب) و (ينبح)، مما يسمح بتأسيس درجة دنيا من التشاكل، يسمّى التشاكل الدلاليّ.

الكلب ينبح

/+حيوانيّ/ /+حيوانيّ/

تشاكل معجميّ وتشاكل دلاليّ

أمّا في التركيب: " الضّابط ينبح " فإنّ مقوّم / حيوانيّ / ينتفي تماما عن المعنم الأول، و هو ما يثير توترا بين المعنمين محدثا انقطاعا دلاليّا يسمّى التّبّابين، غير أنّ التأويل يتدخّل هنا ليحدّد من جماح هذا التّوتّر مضفيا للمعنمين نوعا من التّقارب الاستعاريّ، فيلقي في التركيب مقوّما سياقيّا جديدا /+إنسانيّ/ مخضعا المعنم الثّاني للسياق قسرا، بالرغم من أنّه لا يتضمن مقوّم /إنسانيّ²/

الضّابط ينبح

/+إنسانيّ/ /+إنسانيّ/ بطريق الاستعارة

فالمقوّم السياقيّ / إنسانيّ/ خفّف من درجة التّبّابين بين المعنمين، و لاءم بينهما، بحيث جعلهما منسجمين دلاليّا بفضل الفعل الاستعاريّ في المسار التّأويليّ، و هو مقوّم استدعت إليه الحاجة التّواصلية في مقام التخاطب.

- مناقشة التّحديد الغريماسيّ:

يعتبر كورتيس التّعريف الأوّل الذي حدّد به غريماس مفهوم التشاكل تعريفا أساسيا و منطلقا مبدئيا للبحث في طبيعة و غاية هذا المفهوم السيميائيّ، لأنّه يقوم على عناصر جوهرية ساهمت في دفع جهود الباحثين من بعده إلى تطويره و إثرائه، و من أبرز هذه العناصر:

- المقولات الدلاليةّ.

- توارد و تراكم المقوّمات السياقيّة.

- إزالة اللّبس و الغموض عن الملفوظات.

¹ - نشير إلى المقوّم بالرمز //، و هو أحد رموز التحليل السيميائيّ الذي تستخدمه نظرية التحليل بالمقوّمات.

² - ينظر: جوزيف كورتيس : مدخل إلى السيميائية السردية و الخطابية، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1،

- البحث عن قراءة موحّدة و منسجمة.

و بفضل هذه العناصر- حسب كورتيس- " نبين كيف أنّ نصوصا كاملة تقع في مستويات دلالية متجانسة، أي كيف أنّ مدلولها كليا لمجموع دال عوض أن يصادر عليه مسبقا) كما يقترح يلمسليف¹ (L. Hjeltslev) يمكن أن يفسر كحقيقة بنيويّة للتمظهر اللساني²، و هو ما يبرز الوظيفة الدلاليّة الكبرى للتشاكل، بدونها تظهر الدلالات الجزئيّة التركيبيّة مبعثرة مشتتة لا يجمعها إلا التوالّي و التتابع، فيركبها الغموض و الالتباس، و تنتفي عنها صفة الخطاب الذي يشترط في ملفوظاته التّجانس و الانسجام.

إنّ ما يؤكّد التشاكل هو الاستمرارية التي تجسدها قاعدة المقوم السياقيّ المترتبة التي تسمح بتغيرات لوحدات التشكّل اللسانيّ الناتجة عن تنوع المقولات الدلاليّة الإبداليّة³. و هو ما يؤسّس كلّ مرّة تشاكلا نوعيا جديدا يوافق هذه الإبدالات تبعا لسيرورة التّدليل.

-طبيعة التشاكل:

يسجّل كورتيس أثناء تحليله قصّة "سندريلا" ملاحظتين هامتين حول طبيعة التشاكل:

• الملاحظة الأولى:

التشاكل ذو طبيعة إفصاحيّة، يجليّ الغموض الذي يخلخل دلالة ملفوظ ما، أي أنّه يؤسّس مقوماً مشتركاً من خلال السياق الذي يضمّ المعانم المتتالية لمفوظ ما، و التي يتضمّن كلّ معنم منها مقوماً جوهريا لازما قد يبدو من أول قراءة متنافرا مع غيره من مقومات المعانم الأخرى المنضوية معه في السياق، و في غمرة هذا التّنافر، و في المسار التّأويلي تظهر كفاءة المتلقّي الذي يقيم في هذا المسار مقومات سياقيّة للحدّ من هذا التّباين، بحيث يفرض مستوى مشتركا (تشاكلا) على طول السلسلة التركيبيّة للمتواليّة الخطابيّة التي تضمّ المعانم، إلى درجة مسح بعض خصوصياتها الأساسيّة، من أجل تأسيس أرضية صلبة للانسجام و التّجانس، بتعليق جزئيّ للخصوصيات السابقة، و وضع عامل سياقي مشترك بدلا من ذلك⁴. و هو ما يهيئ المسار الخطابيّ لقراءة موحّدة في مكان القراءات الجزئيّة المتجاذبة.

¹- لويس يلمسليف: لساني دانماركي (1899م-1965م)

²- جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيميائية السردية و الخطابيّة، ص81

³- ينظر المرجع نفسه: ص 81

⁴- ينظر جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيميائية السردية و الخطابيّة: ص 82

فمفهوم التشاكل إذاً يضمن تجانس المستوى الدلاليّ و اتّساقه، و قد سمّاه كورتيس "تجانس الرسالة"¹، و قد سبق و أن أشار إليه غريماس سابقاً، لأنّ تحقيق الوظيفة الأساسيّة للغة و المتمثلة في التّواصل لا يتمّ نجاحها إلّا إذا قامت على الوضوح و التّجانس، و استمرار العمليّة التّواصلية مشروط بالقضاء على كل مشوّشات الرّسالة، و مع ذلك فإنّ بعض الخطابات تشمل "صيغاً أخرى للتّدليل يكون الالتباس فيها إثراء"²، ففي هذه الحالة يسمح التشاكل بتحديد الملاءمة بصورة متوازنة.

• الملاحظة الثانية:

بعض التشاكلات الأولى ذات طبيعة سيميولوجيّة، أي تشاكلات مفهوميّة بأبعاد متداخلة ذات علاقة بالخارج، و لا يقصد بالخارج الإحالة إلى الواقع الملموس، و إنّما الصّور السيميولوجيّة (*Figure Sémiologique*) التي تساهم في فهم العالم الخارجيّ في مظهراته الدلاليّة، و يستدلّ كورتيس في هذا المقام بحرفات لافونتان³ *Jean de La Fontaine* التي تتضمّن إجمالاً المقولة المزدوجة / حيوانيّ/ ع / إنسانيّ/، و في هذا يضيف كورتيس " لكن يبدو من المناسب عدم قصر مفهوم التشاكل على المقولات الدلاليّة وحدها / حيّ/ ع / لاحيّ/ (...) لأنّ صور العالم في المستوى الماديّ المشكّلة بالمقومات النّويّة قابلة هي أيضاً للانخراط في أقسام، و بالتالي تأسيس مستوى مستقلّ للقراءة في نصّ معطى"⁴. و هو ما اصطّلح عليه كورتيس مع غريماس - كما أشرنا بدايةً - بالتشاكل السيميولوجيّ، و استخلصه راستي من قصيدة (تحية *Salut*) للشاعر الفرنسيّ ملارمي، و قد انطوت هذه القصيدة على ثلاثة تشاكلات سيميولوجيّة: تشاكل الوليمة، تشاكل الإبحار، تشاكل الكتابة⁵.

فكورتيس - كما رأينا - يميّز بين نوعين من التشاكل في البنية العميقة، تشاكل سيميولوجيّ و تشاكل دلاليّ، فالأول يتمظهر على المستوى السيميولوجيّ، أين يتمّ تصنيف قيم المعنى حسب ما يقوم بينها من علاقات و تفاعلات في المسارات الصّوريّة، و التي يضمن

¹- ينظر المرجع نفسه: ص 82

²- المرجع نفسه: ص 82

³- جان دو لافونتان: كاتب فرنسيّ (1621م-1695م)

⁴- جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيميائية السردية و الخطابية، ص 83

⁵- جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيميائية السردية و الخطابية، ص 83

انسجامها الداخليّ مع التشكيلات السياقيّة الأخرى الخارجيّة (قبل نصّيّ)، بينما الثّاني يتحلّى على المستوى الدّلاليّ و الذي يظهر كنظام إجرائيّ يحدّد عملية الانتقال من قيمة إلى أخرى، مع إبراز القيم الأساسيّة، و ضمان المسارات فيما بينها حيث تتشكّل المقوّمات السياقيّة مضمّنية على الملفوظات تصنيفاً خطايا مميّزا.

- التشاكل في قصّة سندريلا¹ Cendrillon :

قصّة سوندريون عند كورتيس هي " حكاية زواج"، بنيتها التركيبية الكامنة معطاة داخل الملفوظ :

$$(ف1 \cup ف2) \longleftarrow (ف1 \cap ف2)$$

حيث :

ف1 تمثّل الأمير و ف2 تمثّل البطلة سندريلا.

ف1 ← يتميّن بالمقوّمات الآتية: / رفعة/، / غنى/

ف2 ← متباينة تماما مع ف1، / هوان/، / فقر/

يهيمن على المسار الصّوريّ الأولي تبانين بين ف1 و ف2 يرمز إليه بـ (ف1 ∪ ف2) أي أنّهما في حالة انفصال، و تبانين تام، و يظهر الزّواج في هذه المرحلة البدئيّة مستحيلا، بحيث لا نلمس هنا أي مستوى من مستويات التشاكل، إلى أن تتدخّل الوساطة بين الطرفين، و هي الجنيّة، و التي تحقّق التشاكل السوسيواقتصاديّ بين ف1 و ف2، مما يسمح بالمرور إلى فعل الزواج.²

فالقصّة أقامت اللّقاء بين ف1 و ف2 في مستويين تشاكليين مختلفين:

1- مستوى من نمط فيزيائيّ يناظر الوصلة الفضائيّة مع "الانتقال" الذي ينتج عنه اللجوء إلى العربة كوسيلة للتنقل، و يمكن قراءة هذا المستوى على أنّه علامة على وضعية اجتماعيّة عالية، توحى بالغنى و الرّفعة، و هو ما لم يتوفّر لـ ف2 في البداية، غير أنّ الجنيّة - حسب القصة- جعلت من ذلك أمرا متاحا ممكنا، فتغيّرت الوضعية من حالة الفقر إلى الغنى، و تمّ معه إقصاء المقومين السّابقين اللّذين أقاما التبانين / هوان/

¹ - سندريلا: من أشهر الشخصيات الخيالية في عالم قصص الأطفال، تعني فتاة الرّماذ، بسبب الرّماذ الذي كان عالقا في ثيابها الرثة.

² - ينظر المرجع السابق: ص 176

و /فقر/، و حلّ محلّهما مقوّمان سياقيان آخران يتمثّلان في / رفعة/ و /غنى/، لتنفيذ البرنامج التّشاكليّ على المستوى السّوسيواقتصاديّ.

2- مستوى من نمط عاطفيّ: يظهر في العلاقة العاطفيّة الناشئة عن "الإغراء"، إغراء الأمير بوسائل الجذب، من حسن و ألبسة وحذاء و أمور أخرى (فساتين بلون النّجم و القمر و الشّمس، الحذاء البرّاق...)، و هو ما يقرأ كعلامة على الجمال و الرّفعة و الجاه.

المستويان المتضافران حقّقا نوعا تشاكليّا جديدا يسمّيه كورتيس " التّشاكل الجنسيّ للزّواج" يتجلى في الوحدات الدّلالية الآتية: الرّقص، الحفلة، الحذاء، و التي تتضمّن مقوّم / الجذب/ أو / الإغراء/.

و يبدو هذا النوع التّشاكليّ الجديد الذي اكتشفه كورتيس فيه تأثّر واضح بنظرية التّحليل الجنسيّ عند فرويد، الذي يعتبر الحذاء رمزا من رموز الأعضاء الجنسيّة عند المرأة¹.

2- تطوّر مفهوم التّشاكل وتطبيقاته عند جماعة (μ)²:

بنظرة نقديّة وبلاغيّة حديثة تجاوزت جماعة (μ) سابقيها من خلال أبحاثها ومقالاتها التّقدّيّة المتوّجة في كتاب (بلاغة الشّعر) الذي كان ثورة بلاغيّة فعليّة أرست قواعد القراءة النّقدّيّة القائمة على الأسس العلميّة والمنطقيّة، وخاصّة في مجال تحليل الخطاب الشّعريّ بأدوات أكثر إجرائيّة و فعاليّة.

لقد توسّعت هذه الجماعة في مفهومي التّشاكل والتّباين مؤكّدة على المستوى الذي أغفله غريماس من قبل ومثمّنة ما وصل إليه راستي، ولكن برؤية أوسع وأشمل مشفّعة كل تنظير بتطبيق مناسب من الشّعر، وخاصّة الشّعر الفرنسيّ قديمه وحديثه .

1.2- تعريف الجماعة للتّشاكل:

تعترف الجماعة بداية أنّ قصب السّبق في اكتشاف هذا المصطلح وإظهاره في ميدان تحليل الخطاب يعود لغريماس الذي استعاره من ميادين علميّة ليوظّفه في حقول سيميائيّة و لسائيّة تحتفي

¹ - جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيميائية السردية و الخطابية ، ص 196

² - جماعة μ: مجموعة من النقاد والباحثين تتكون من أربعة أفراد نشط بمركز الدراسات الشعريّة بجامعة لياج ببلجيكا

بكلّ ما هو علميّ ومنطقيّ. وانطلاقاً من تعريف غريماس بلورت الجماعة تعريفاً أوليّاً و مدخلياً للتشاكل، فهو عندها " تجانس مستوى معطى من مستويات الدلالة " ¹.

ويلاحظ أنّ هذا التعريف المبدئي تعريف عامّ وأنّ الجماعة قد استبدلت التّراكم والتّكرار بالتّجانس من منطلق أنّ صاحب التعريف وهو جان ديويوا لم يعرّف التشاكل انطلاقاً من القواعد المنطقيّة لتسلسل منظومة لفظيّة فقط وإتّما من خلال الانسجام الدّلاليّ الذي يمكن وصفه في جميع المستويات الدّلاليّة.

وتواصل الجماعة بناء بعض التعريفات المخصّصة للتشاكل بسدّ الثّغرات الموجودة في تحديدات كلّ من غريماس، وبول ريكور ² *Paul Ricœur*، وراستي مبدئين الملاحظات الآتية:

أ- إنّ كلّ خطاب مهما كان يستوعب العديد من التشاكلات.

ب- لا يمكن حصر التشاكل في المستوى الدّلاليّ فقط.

ج- التعريفات السّابقة للتشاكل فيها تعميم واسع وخاصة عند راستي ³.

وبناء على هذه الملاحظات ترى الجماعة أنّه كان من المفروض إلى جانب تشاكل المحتوى (مقومات سيميولوجيّة ودلاليّة) وضع مكان لتشاكل التّعبير (صوتيّ، عروضيّ، تركيبيّ) من شأنه أن يجعل تشاكل الأسلوب ممكناً، ويساهم في كشف التّرابط والتّلازم بين مستويات الخطاب المختلفة.

ومن جهة نقديّة أخرى تجد الجماعة أنّ الجهاز المفاهيميّ و المصطلحيّ عند كل من غريماس و راستي يحتاج إلى كثير من البيان والتّوصيف، ذلك أنّه يحتوي على مصطلحات ومفاهيم اعتُرك النّقاد بشأنها واختلفوا في تعريفها ورسم حدودها وكيفية اشتغالها.

وتذكر الجماعة منها: (التّكرار، التّراكم، المقولات الدّلاليّة، الخطاب، النّصّ، قراءة شاملة موحّدة، جزئيّة، غموض، حلّ... الخ).

¹ - Group(μ) :Rhétorique de la poésie, lecture linéaire, lecture tabulaire, édition du seuil. 1990.p :29

² - بول ريكور: فيلسوف فرنسي (1913م-2005م)

³ - Group (μ) .Rhétorique de la poésie: P: 34

Les termes : (Faisceaux, Redondance, Itération, Catégorie sémantique, Lecture uniforme, Unique, Pertielle, Ambguite, Résolue)

2.2- تشاكل المحتوى وتشاكل التّعبير:

تختلف الجماعة مع ميشال أريفي فيما ذهب إليه من اعتبار أنّ توسيع التّشاكل على المستوى التّعبيري ليس له ما يبرّزه، يمكن الاستغناء عنه بالاطمئنان إلى مستوى واحد في التّحليل، وهو تشاكل المحتوى لأنّه قطب كل عملية تواصلية. وهذا في رأيها بعيد عن الصّواب، وفيه قصور في الرّؤية، وتجاهل لأهمّ أشكال التّعبير الإنسانيّ، وهو الشّعر الذي يتميّز ويتعيّن بشكل محتواه بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى أنّ التّحليل البنيويّ للخطاب الشّعريّ منذ جاكسون¹ *Roman Jakobson* خصوصاً قد أثبت خصوبة و نجاعة البحث في التّرابط و التّعلق بين المستويات الدّلالية والمستويات الفونولوجيّة (دراسة الأصوات الكلاميّة من حيث وظيفتها اللّغويّة) للخطاب الشّعريّ، ومع كلّ ذلك لم يشر إلى هذا النوع من التّشاكل (تشاكل التّعبير) على الرّغم من أهميته وضرورته في التّحليل.

وبشيء من التّحفّظ على ما سبق تعترف الجماعة لراستي بأسبقيّة تفكيره في هذا المستوى (مستوى التّعبير) فقد تجاهله من قبل، ولكن التفت إليه بعد دراسته لبعض القصائد الشّعريّة واكتشاف التّرابط القائم بين المستوى الدّلاليّ والمستوى الصّوتيّ في الخطاب الأدبيّ، وخاصّة الشّعر. وتقدّم الجماعة إستراتيجية مبدئيّة في كفيّة الربط بين المستويين (التّعبيري، والمعنوي) في خطوتين أساسيتين:

- الأولى: تحديد المتشاكلات المعنويّة والمتشاكلات التّعبيريّة.

- الثّانية: ضبطهما في إطار النّظرية العامّة للخطابات.

هذه الإستراتيجية من شأنها أن تجعل الباحث يتلافى الانسجام والتّرابط السريعين أو الوهميين بين المستويين في النّصّ الشّعريّ، ولكنّها هي نفسها غير كافية، فمن المحتمل أن توقع الناقد في فخ

¹ - رومان جاكسون: لساني و ناقد روسي (1896م-1982م)

الفصل الأول تطوّر مفهوم التشاكل من الميادين العلميّة إلى الميدان اللّسانيّ و السّيميائيّ

الانسجام الوهميّ، مما يجيد بالتحليل عن جادة الصّواب، ويكلّف الدّلالة فوق طاقتها. ودفعاً لذلك الاحتمال يتعيّن على المحلّل الحيطّة والحذر.

إنّ أول احتياط يمكن أخذه بعين الاعتبار في رأي الجماعة هو ذو طبيعة مصطلحيّة تتعلّق بمستويي الخطاب (التّعبري والمعنويّ) فإذا لم يتمسك الباحث بطبيعة وأهمية الفروق بين تشاكل التّعبر والتشاكل المحتوي فإنّه لا يستطيع مجانسة و ملاحمة المستويين مع بعضهما، وذلك لا يكون إلا بتبني بعض المصطلحات التي لا توقع في الوهم والابتسار. ولذلك تقترح الجماعة التفرّع الثنائيّ الذي تقوم عليه البلاغة العامّة، وهو (التّعبر،المحتوي)،(لفظم، الجملة) وكذلك المصطلحات الموزّعة كالآتي:

المصطلح	دلّالته
ميتابلازم (<i>Métaplasmes</i>)	- التغيّرات الصّوتيّة والمورفولوجيّة التي تغيّر وتبدّل في تمام أو كمال كلمة ما، ويتمّ ذلك بطريق الإضافة أو الحذف أو الإبدال أو التحويل أو الاتّحاد (الإدغام مثلاً).
ميتاتاكس (<i>Métataxes</i>)	- الصّور التي تعدّل وتغيّر في تركيب الجمل أو مواقع العبارات والمقاطع وتسمى صور المبنى.
ميتاسيمام (<i>Métasémèmes</i>)	- شكل من أشكال الأسلوب أو صورة من الصّور البلاغيّة التي تخصّص وترصد لتحسين الخطاب أو إضفاء الحيويّة والحركيّة عليه وهو ما يسمّى في البلاغة العربيّة بالصّور البيانيّة ويقابلها بالفرنسيّة (<i>Les tropes</i>). يتضمّن الاستعارة بأنواعها والكناية والمجاز المرسل والرمز والمقارنة والتهكّم... الخ
ميتالوغسيم (<i>Métalogism</i>)	- الصّورة التي تعيّن وترصد القيمة المنطقيّة للجملة (الطباق،

الفصل الأول تطوّر مفهوم التشاكل من الميادين العلميّة إلى الميدان اللّسانيّ و السّيميائيّ

التّرادف) أو قيمة الملاءمة والتّطابق مع المرجع (الإثبات بالنفي، المبالغة... الخ) وهو ما كان معروفا في البلاغة الغريبيّة القديمة بصور التّفكير.	
--	--

ولقد جاءت هذه المصنوفة كضرورة للإجابة عن السّؤال الذي طالما حيّر الجماعة "تحت أي مفاهيم نستطيع تحديد إجراء وصفيّ شامل وناجع للصّور التي تنتشر عبر مستويات الخطاب الشعريّ؟" .

الاقتراح كان محاولة مبدئيّة من الجماعة لتغطية الحقل البلاغيّ حيث لم يتأت لها ذلك إلا بعد إعادة بناء نظرية بلاغيّة عامّة وكافية لتوضيح بعض الظواهر البلاغيّة في النّص الشعريّ بمنظار حديث وبرؤية نقدية فاحصة تتجاوز معيارية البلاغة القديمة وجزئيتها. ومن المصنوفة السّابقة اصطنعت الجماعة مصنوفة تشاكيّة أخرى منبثقة عن مستويات عامّة في التّحليل. هذه المصنوفة التّشاكيّة الجديدة تمكّن من تتبّع التّشاكلات المترابطة عبر كامل النّص الشعريّ في شقيه التّعبيريّ والمعنويّ، تظهر من خلال الجدول الآتي:

إجراء عام	إجراء تشاكي	صورته
ميتابلازم	تشاكل صوتيّ وصرفيّ (<i>Isoplasmies</i>)	تكرار وتراكم صوتيّ وصرفيّ
ميتاتاكس	تشاكل تركيبّي (<i>Isotoxies</i>)	تكرار وتراكم التّراكيب والبنيات والمقولات
ميتاسيمام	تشاكل الصّور (<i>Isosémies</i>)	تشاكل الصّور البلاغيّة ذاتها أو على طول الخطاب.
ميتالوغيسم	تشاكل منطقيّ (<i>Isologisme</i>)	تكرار وتراكم القيم المنطقيّة

مجالا (*Isologie, Isosémie*) يظهران كإجراءين تنظيميين. أمّا (*Isotaxie, Isoplasmie*) فيبرزان من خلال التّكرير المضبوط والمحكم لنفس الوحدات الدّالة متجلية أو مسترة شفوية أو كتابية، أو لنفس المقولات النّحويّة (سطحيّة أو عميقة).

وتحقّيقا للمصنوفة التّشاكلية السّابقة على مستوى التّطبيق، فإنّه - في تصوّر الجماعة - لا يمكن لأيّ ناقد مشتغل على تحليل الخطاب الشّعريّ أن يضع تشاكل المحتوى وحده كشرط ضروريّ لانسجام الخطاب، لا بدّ عليه من الأخذ بعين الاعتبار محددات تشاكل التّعبير التي تمكّننا من مصادرة أصناف أشكال التّعبير المختلفة أين تظهر فيها التّشاكلات التّعبيرية بنيات إضافية (إيقاع، عروض، جناس...) تزيد من انسجام النّصّ ووضوح الرّسالة، يتمكّن المتلقّي خلالها من امتلاك القدرة الكافية على تحديد نوع الخطاب كمرحلة أوليّة في رحلة البحث عن المعنى مستفيدا من الجدول الآتي¹:

الخطاب العلميّ	الخطاب الأدبيّ	
-	+	<i>Isoplasmie</i>
-	+	<i>Isotaxie</i>
+	-	<i>Isosémie</i>
+	-	<i>Isologie</i>

إن الاختلافات البارزة في الجدول السّابق تسمح بدراسة تشاكلات التّعبير في تطوّر خاصّ معدّ للعب دور هامّ مع مرور الزّمن في تنظيم الرّسالة ذلك أنّ هذا النوع من التّشاكلات لم يدرس لحدّ الآن إلّا في خطابات ذات ميّزات بلاغية محدّدة.

3.2- شروط التّشاكل:

أ - الشرط الابتسمولوجي:

إنّ كفاءة المتلقّي تمكّنه من التّعرف على حالة التّوزيع الكلاسيكيّ لوحدات النّصّ ومعرفة درجة مقبوليته من عدمها عندما تكون القراءة الموحّدة للنّصّ قراءة غير متناقضة حيث تقبل باستمرار ودون توقّف فحص التّناقض بالمقارنة إلى المعرفة المسبقة للمتلقّي وخبرته.

تلك الكفاية- في نظر الجماعة- يجب أن تتقيّد أولا بقواعد التّركيب والتّنظيم اللّغويّ وثانيا بإجراءات تجرّيبية (اجتماعية، إدراكية...) " وهذه المعارف المختلفة تميّز وتدرك بدرجتها أكثر من

¹ - Group (μ). Rhétorique de la poésie, lecture linéaire, lecture tabulaire, P: 38.

طبيعتها"¹. والكفاءة أيضا تدرك موافقة وملاءمة الرّوابط وعدمهما بين جهات المعرفة وتناسبها باستخدام معيار التشاكل الذي يزيل الغموض، ويسمح بمغالبة الحواجز التي تعترض القراءة.

تقترح الجماعة المثال الآتي: "الماء ينساب حيثما تتواجد الزّهرة الصفراء"²

«الماء ينساب» تشاكل باعتبار تراكم مقوّم «سائل» في عناصر الحمل ولكن في التّركيب «الماء يشرب» ترفض كفاءة المتلقّي قبول هذا التّوع من التّركيب لانعدام المقوّم الجامع فيه، وباعتبار التّناقض الحاصل في الحمل الثاني، وهو «- حيّ، +حيّ».

إنّ بعض السّمات والميزات المتحصّل عليها بالخبرة هي مقوّمات تحدّد وتعيّن وحدات ابتدائية بسيطة داخل اللّغة، وتصبح مكثّرة ومتراكمة في الخطاب العلميّ والفعليّ، مثل البياض في «الثلج الأبيض» كما أنّه لا يمكن إنقاص وتخفيض المعرفة والدراية بالتشاكل لأنّ هذا الأخير يجب أن يعرف من خلال التّكرار والتّراكم.

فالمعرفة والدراية - عند الجماعة - هما سيرورتان حيويتان على أساسهما نستطيع تغيير المساحات الإضافيّة والتوسعة المتعلّقة بقسم التّراكيب التّشاكلية وغير التّشاكلية.

تؤكّد الجماعة بعد ذلك على أنّ التشاكل و التّباين يجب أن يستخرجا في آخر التّحليل الإبتسولوجيّ الذي يكون ضمنيا في عمل أو نتاجا في دلالة لغة خاصّة، وفي فترة خاصّة، وفي مجتمع خاصّ، لأنّ بعض المقاطع التّشاكلية في فترة ما يمكن أن تصبح تباينا في وقت لاحق والعكس صحيح، وهذا في حال عدد من المقولات الفعليّة والعملية، وبصفة عامّة في الملفوظات والخطابات العلميّة، ومثال ذلك: «الأرض تدور حول الشّمس» تركيب فيه تباين من حيث احتواؤه على توازن غير منطقيّ [قابليّة الانتقال - ليس لها قابليّة الانتقال] ولكنّه يصير تشاكلا عندما يتحوّل مقوّم [قابليّة الانتقال] ويبدّل بـ [كوكب فضائيّ].

ومما سبق يظهر أنّ التشاكل يتعلّق بروابط مشتركة مشقّرة داخل الحقل الدّلاليّ سرعان ما ترسو في آخر التّحليل عن طريق النّقد الإيديولوجيّ، لأنّ المتشاكلات ما هي إلا خصائص خطاب معيّن يعكس وضعيّة ثقافيّة لمجتمع ما، كما أنّه يستطيع أن ينظّم المواضيع الحقيقيّة للمعرفة ويربط بين جوهرها.

¹ - Group (μ). Rhétorique de la poésie, lecture linéaire, lecture tabulaire, p 38.

² - "L'eau coule ou la fleur est jaune"

ب- الشرط الإيجابي:

تصرّ الجماعة دائماً على أسبقية غريماس في اكتشاف هذا المفهوم الثريّ الذي يقوم في أساسه على التكرار والتراكم، ذلك أنّ غريماس في نظرها اهتدى إليه واستعمله بشكل صحيح وإيجابي في نظرية الإبلاغ والتواصل. ويتعلّق مفهوم التكرار والتراكم بإعادة المقوم وتكراره في الخطاب، مما يسمح للمقوم السياقيّ (*Classème*) من تأسيس قسم متجانس داخل المجموع. إنّ هذا التكرار- في رأي الجماعة- هو الذي يؤسّس الشرط الأول للتشاكل وتصطلح على تسميته بشرط الاتصال المباشر أو شرط التجميع والتجاور، غير أنّ هذا التكرار ليس هو نفسه التشاكل بل هو سنده ودعامته ولحمة النصّ ككلّ، وهو الذي يعيّن المعلومات والأخبار، ولكنّه مسيّر ومقود بعناصر الخطاب بالقوّة، إذ لا يعني ذلك التكرار شيئاً خارج النظام الكلّي للخطاب. وتستدلّ الجماعة على علاقة التكرار بالسياق كعادتها بعمليات رياضيّة منطقيّة.

إنّ الدلالة المرتبطة بوحدة (x) في الخطاب هي مختارة ومنتقاة في صنف الدلالات المقبولة في النظام عن طريق عملية الإنتاج المنطقيّ الحاصل بين الصنف السابق وصنف الدلالات [P(x)] التي يتضمّنهما السياق (y)، [P(y)] المنظم والمرتب حسب بنية الخطاب التي يجب وصفها وفقاً للمعادلة الآتية:

$$^1S = P(X) \cap P(Y)$$

حيث تمثّل: P(X) ← صنف دلالات الوحدة (x) الموجودة في النظام.

P(Y) ← صنف دلالات السياق (Y).

S ← تشير إلى الدلالة المنتقاة للوحدة (x) منتظمة في السياق (Y).

والنتيجة: تظهر الوحدة (Y) كعنصر لا يتجزأ من السياق، تكتسب دلالتها من خلال علاقاتها بباقي الوحدات المرصوفة في التركيب، ولكن ذلك قد لا يقود إلى الغرض ما لم تتعيّن حدود السياق، فلا يمكن الاقتصار على مجموعة الظروف والأحوال والحالات التفسيريّة المتعلقة بالفعل

¹ -Groupe (μ): la rhétorique de la poésie, P: 41

الدّلالِيّ فقط، وإنّما يجب على المتلقّي أن يستحضر في ذهنه أيضا فعل التلقّظ نفسه وما يحيط به من ملابسات .

ثم إنّ هناك مشكلا ثانيا تجده الجماعة عائقا في سبيل تعيين التشاكل الذي يعدّ سمة من سمات الملفوظ. ومادام هو كذلك فمن الواجب أن تكون هذه السمة قابلة للإدراك والتّحصيل في حركة حدسيّة خالصة. فلا يقبل التشاكل المحصّل من تكرار وتراكم مقوم تجرّيديّ أو موضوع ماديّ فهذا التّكرار لا ترجى منه فائدة ولا يعني شيئا، ولا يكون ضروريا لانسجام الخطاب، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب أن لا يتخلل الخطاب انقطاع في أي مستوى من مستوياته. إنّ هذا الانقطاع يؤسّس مسافة دلاليّة مقيسة على محور التعميم، فلا بدّ إذّا في هذه الحالة من إقحام الشرط الإيجابيّ للتشاكل كشرط لثبات واستمرار مستوى التعميم.

ويمكن تحقيقا لذلك تشكيل فرضية بواسطتها نستطيع قياس إدراك التشاكل عن طريق قانون

ويبر¹ *Karl Emil Maximilian Weber* و فشر² *Gustav Theodor*

Fechner (وحدة الدّفق المغناطيسيّ)³ إذا كانت حالة التّقدم الدّلالِيّ تسمح بقياس عدد المقوّمات المكرّرة والمتراكمة. وهذا الإدراك عند الجماعة مرتبط بسلسلة مركّبة ومعقّدة من المتغيّرات:

* على مستوى المخطّط الكميّ: الإدراك مرتبط بعدد المقوّمات المتراكمة والمتكرّرة في الوحدات المعجميّة (*Lexemes*) البارزة في السّياق ومناسبة هذه الوحدات التي تخفي مقوّمات متراكمة.

* على مستوى أكثر صعوبة في التّكميم يرتبط بخصائص منظرية ومرتبطة بتوزيع هذه المقوّمات على طول الخطّ التركيبيّ (مجموعة الوحدات المعرفة بينيتها الداخليّة وعلاقة الوحدات ببعضها بعض) (*Syntagmatique*) وطبيعة العلاقات النّحويّة والتركيبيّة المصنّفة للوحدات المتضمّنة للمقوّمات ووضعيّة هذه الأخيرة داخل الخطاب⁴.

¹ - ماكس ويبر: عالم اجتماع و اقتصاد ألماني (1864م-1920م)

² - غوستاف فشر: فيلسوف و فيزيائي ألماني (1801م-1887م)

³ - قانون ويبر فشر: حدة الإحساس ترتبط ارتباطا كليا و كميا بحدّة المنبّه

⁴ - Voir : groupe (μ): la rhétorique de la poésie, P: 41

ج - الشّرط السّلبّي :

إذا كانت القراءة لخطاب ما تقر بوجود تناقض داخله فإنّه لا يلزم ضرورة إلغاء هذه القراءة أو الخطاب، وإتّما ترى الجماعة أنّه لا بدّ من فحص هذا التناقض و سيرورته وآليّة إنشائه و لا يتأتّى ذلك إلا بعمل تأويليّ ذي أبعاد مختلفة ومسارات متعدّدة.

إنّ هذا التناقض - في رأي الجماعة - يؤسّس على مستوى الخطاب انقطاعا تشاكليا عندما يتقابل أو يتعارض على الأقل مقومان اثنان، وحتى يتناقضا على الشّكل الموجب للانقطاع لا بدّ أن يكون المقومان من أجزاء الوحدات الدلاليّة التي تنضوي في جواها في وضعية تركيبية متوافقة وهو ما تجاهله غريماس حينما قصر التّراكم على الجانب المعنويّ الذي يحدّد للملفوظ شرطه الإيجابيّ، ودون الأخذ بعين الاعتبار القواعد المنطقيّة للتّراكيب.

فالتّركيب (اللّيل هو النّهار) عند غريماس يعتبر تشاكلا لتراكم مقوم جوهريّ مشترك بين الموضوع والمحمول، بينما ليس هو كذلك عند الجماعة. فالتناقض الموجود بين الموضوع والمحمول في التّركيب السّابق يجعل الجمع بين عناصر الحمل جمعا متناقضا منطقيّا ما لم يصحّح هذا التّركيب أو يتمّ فحصه بكيفيّة ملائمة بإضافة النّفي بين حدّيه. وتبرير ذلك عند الجماعة " أنّ العلاقات النّحويّة والمنطقيّة لا تستطيع وضع المقومات المتناقضة والمتعارضة في علاقة تحديديه حاسمة وجازمة"¹. و انطلاقا من ذلك نسجّل الفرق الآتي:

اللّيل هو النّهار ← غريماس: تشاكل [+ قياس الزّمن]

اللّيل هو النّهار ← جماعة (μ): تباين [- نور] و [+ نور]

والتّصحیح يكون بإضافة شرط النّفي حتى يتحقّق التّشاكل. " اللّيل ليس كالنّهار " أو " اللّيل هو شيء آخر غير النّهار"².

فالشّرط الذي استند إليه غريماس هو شرط التّجاور وهو شرط القاعدة الدلاليّة الخالصة بينما الشّرط السّلبّي عند الجماعة هو شرط القاعدة المنطقيّة في الجمع بين عناصر الحمل، ومن خلال

¹- Voir : Groupe (μ): La Rhétorique de la poésie, p 42

² - Ibid : p42

هذا الشرط يتّضح دور كل من المصطلحين اللّذين اشتراطتهما الجماعة في المصفوفة التشاكيّة السابقة (*Isologie, Iosemie*) كشرطين أساسين في انسجام متشاكلات المحتوى. إنّ حضور بعض المقوّمات وتراكمها وغياب مقوّمات أخرى مانعة وقاصرة بشكل كاف في الخطاب يفضي على هذا الأخير الانسجام والتّرابط، ويعد عنه التباين والانقطاع، والعكس صحيح، ولتوضيح هذه الفكرة تسوق الجماعة المثال الآتي¹:

« أحبّ لحم الثور وحماتي »

« *J'aime le biftèque et ma belle mère* »

التّركيب السابق فيه تباين عند الجماعة لأنّه لا يحقّق شرط التّجاور، ولأنّه يجمع بين متباعدين لا يلتقيان. فالوحدة الدلاليّة « الحماة » لا تتضمّن مقوّم [الأكل] في مجتمع لا يكرس أكل لحم الإنسان كتقاليد وطقوس، كما أنّ لحم الثور لا يتضمّن مقوّم [العلاقات العاطفيّة]. فسلامة التّركيب المنطقيّ عند الجماعة مرتبط أيضا بتقاليد وطقوس وثقافة مجتمع ما. فما يعدّ تشاكيلا في مجتمع ما قد يكون تباينا في مجتمع آخر، وما يعتبر فيه تباينا قد يكون من صميم المتشاكلات.

4.2- درجات التشاكل:

إنّ انتماء وحدة لسانيّة لحقل ما خاضع لفحص الرّفص والإنكار بالتّظر إلى علاقتها داخل النّظام اللّغويّ، فالتركيّب هو الذي يمنحها الرّفص أو القبول. التّركيب (الثلج أسود)² ملفوظ متباين للتناقض الموجود بين عنصري الحمل، ولكن يمكن تصحيحه بإعادة تركيبه، وإضافة النّفي بين الطرفين لنحصل على جملة جديدة " الثلج ليس أسود " ويصير تشاكيلا لانسجام الوجدتين الدلاليّتين بطريق النّفي غير أنّ تصحيح الملفوظات بإضافة النّفي في التّراكيب المتباينة لا يؤدّي دائما إلى نتائج مرغوب فيها لأنّ هناك ملفوظات متباينة تحافظ على تناقضها وعبثيتها حتى بعد إقحام النّفي.

¹ - Ibid : p43

² - Groupe (μ): La Rhétorique de la poésie, P: 44

ومثال ذلك: (حرارة ثلاثية) وعند تصحيحها ينتج لدينا "الحرارة ليست ثلاثية" ومع هذا التصحيح يبقى الملفوظ متباينا. والسبب في ذلك - عند الجماعة - أنّ النّفي يغيّر الطّريقة والكيفيّة الخاصّة بالشّكل المسند للحرارة، ولكنّه لم يؤد إلى إصلاح فساد التّركيب المنطقيّ على عكس المثال السّابق (الثّلع ليس أسود) لأنّ البياض والسّواد يتناقضان على محوري الوضوح والعمّة في جميع المقوّمات المشتركة، وهو تباين قويّ صارخ.

وفي النّظام اللّغويّ: المقوّمات المتغيّرات والمتمايزان يحتلان ويشغلان قطبي المحور الدّلاليّ (أبيض، أسود) مما يسمح بنفاذ النّفي وسريانه في تحقيق التّشاكل. وفي المثال الثاني تراكمت عدة مقوّمات متباعدة غير متناقضة، و النّفي لم يتمكّن بعد ذلك من تحقيق التّلاؤم والانسجام. وتصل الجماعة بعد هذا التّفصيل إلى النتيجة الآتية:

" التّباين يكون ضعيفا عندما يكون مقوّم واحد من عشرين مقوّما متعارضا ومتناقضا مع المجموع ويكون قويّا عندما يشغل حيزا معتبرا، أو تكون نسبته 1 من 3 مثلا"¹

5.2- الإفراط في التراكم والتكرير إفساد للمعنى:

التّشاكل في أساسه مسند بالتّراكم والتّكرير وحتى يكون التّراكم محقّقا لانسجام الخطاب لا بدّ وأن يضمّ عددا أدنى من العلامات المهمّة من أجل تحقيق وظيفة الاتّصال والإبلاغ على الأقلّ. أمّا إذا كان هذا التّكرار مبتدلا وتافها معيقلًا لعمليّة التّواصل فإنّ تجنّبه وإهماله يعود على صاحبه بالحمد والثناء، ويحقّق للخطاب أدنى غاياته، ويوفّر على المتلقّي عناء الجهد في مطاردة الدّلالات. فالتّراكم في نظر الجماعة لا يجب أن يكون مطلقا، ولا يعتبر شرط انسجام وتماسك جميع النّصوص والخطابات مهما كان نوعها وشكلها، بل هو مطلوب بالقدر الذي تنسج به شبكة النّصّ، وبالضرورة التي تحقّق للخطاب أدنى غاياته، و هو على نقيض ما ذهب إليه غريغاس حينما جعل التّراكم أساس كل تشاكل دون قيد أو شرط، لأنّه لم يأخذ في الحسبان خصائص الرّسالة التي يدعو إليها كل خطاب، إذ كل رسالة تحتوي على مجموعة متسلسلة ومرتبّة من الوحدات الدّلاليّة التي لا ينظر إليها كوحدة متراكمة ومكرّرة فقط، وإنّما يجب الاهتمام أيضا ببنية ودرجة المعلومات التي تقيس أصالة الرّسالة وغاياتها. ومتى تعارض التّشاكل مع أصالة وشرف الرّسالة وهدها بالطمس، فإنّ مسألة التّشاكل تكون معرّضة للتّعطيل والتّوقيف حينما تكون حدود

¹ - Groupe (μ): La Rhétorique de la poésie, P: 45

التّراكم والتّكرير لافتة للنظر، وذلك في حالة الخطاب قوّي التكرار، أو الخطاب الذي يشوبه إفراط تشاكليّ، فيتحوّل التّكرار في آخر الأمر إلى هرطقة وضجيج لا معنى لهما.

3- توسيع مفهوم التشاكل عند فرانسوا راستي¹ *Francios Rastier*:

يؤكّد راستي على أنّ تأسيس مفهوم التشاكل جاء كضرورة ملحة لمواجهة العديد من الأسئلة في مقام تلقي خطاب ما، و لعلّ السؤال الجوهريّ الذي فرض نفسه هو: " من أين ينبع الشعور بوحدة النص؟"² و هو تساؤل بدوره ينبّه الباحث إلى القضايا الآتية:

-منبع الغموض و الالتباس الذي نشعر به عادة عندما نتلقى خطابا ما.

-تحقيق الخطاب انسجامه الدلالي و السيميولوجي.

-تأسيس قراءة موحّدة لمفوضات في متواليّة خطائية.

3.1- توسيع حدود التشاكل:

يربط راستي تحديد التشاكل مفهوما و إجراء باستراتيجية التّأويل ضمن مشروع العلم " علم دلالة تؤولي" مستفيدا من التأسيس النظري الذي بناه غريماس من قبل باعتبار أنّ التشاكل هو محصّلة تعالق و توليف بين مجموعة من المقومّات السياقية المتراكمة و المتضافرة فيما بينها في نسج مستوى منسجم و متسق للخطاب³، غير أنّ ما يثير مشكلة في هذا السياق التحديدي هو تساوي هذه المقومّات السياقية، و هي حالة تثير السؤال الآتي: " إلى أي استراتيجية تؤولية يمكن رد هذا التساوي، و الاستراتيجيات المتواردة عليها غير متكافئة، و تبدو متباينة تبعا لاختلاف القدرات و الكفاءات التؤولية التي تتبناها⁴، و لتبديد ما يقيم هذه المشكلة يتدرج راستي في شرح استراتيجيته التؤولية، باقتراح بعض المبادئ التي تدعّم هذا المسار، منها ما يتعلّق بالتأويل في حد ذاته، و منها ما يتعلّق بالتشاكل الذي يعتمد على مبدأ التنظيم (*Principe Régulateur*).

فالتشاكل اعتمادا على مبدأ التنظيم يضطلع بمهمة تنظيم الخطاب و تسييره انطلاقا من إطاره الافتتاحي إلى باقي مقاطعه المتناسلة منه، و التي تشكّل اتساقه و انسجامه الدلالي، و نتيجة ذلك

¹ - فرانسوا راستي: سيميائي و لساني فرنسي (و . 1945م)

² - Voir : Rasier Francois: *Sémantique interprétative*, puf, 1987, P09

³ - ينظر: نوسي عبد المجيد: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، البنيات الخطائية-التركيب-الدلالة، شركة النشر و التوزيع المدارس،

الدار البيضاء، ط1، 2002، ص 99

⁴ - المرجع نفسه: ص100

أنّ "افتراض وجود تشاكل منظم للنصّ على مستوى نموّه و انسجامه هو الذي يفضي إلى تحقيق المقوّمات"¹، لأنّ التشاكل لا يظهر فقط من تراكم المقوّمات السياقية المنتشرة عبر المتوالية اللسانية و إنّما هو افتراض تنظيمي تلقائي يتوازي مع حركة نمو الخطاب و سيرورته الدينامية.

2.3- تشاكل التعبير و تشاكل المحتوى:

رفض راستي التضييق الذي خصّ به غريماس مفهوم التشاكل، حينما حصره في المستوى المضموني فقط، و اقترح تعريفا موسّعا له يضمّ طرفي الثنائية إلى بعضهما بعض (التعبير، المحتوى) و بذلك يكون التشاكل " كلّ تكرار لوحدة لسانية مهما كانت، إنّ التشاكل الأولي يشمل إذًا وحدتين للتمظهر، و هذا يعني أنّ عدد الوحدات المكوّنة للتشاكل يعدّ غير محدود نظرياً"².

انطلاقاً من هذا التعريف يقارن محمد مفتاح بين تحديد غريماس للتشاكل و تحديد راستي:

● أوجه التشابه:

- التشاكل لا يحصل إلّا من تعدد الوحدات اللغوية المختلفة، أي أنّه ينتج من تباين الوحدات المعجمية المرصوفة في النظام اللساني و المتوالية الخطابية.
- التشاكل و التباين وجهان لعملة واحدة، لا يجب الفصل بينهما.
- التشاكل يحصل به الفهم الموحّد للنصّ المقروء.
- إنّ الضامن لانسجام أجزاء النصّ و ارتباط أقواله.
- يتولّد عنه تراكم و توارد.
- يبعد الغموض و الإبهام اللذين يعتريان بعض النصوص التي تحتل التأويل في بعض مقاطعها.

● أوجه الاختلاف:

- التشاكل عند غريماس لا يخرج عن المستوى المضموني، بينما عند راستي يتطلّب إجراؤه على مستويين كاملين، مستوى التعبير و مستوى المضمون.
- اقتصر التشاكل في بداياته عند غريماس على حلّ الغموض الذي يسم بعض الخطابات السردية، كالحكاية مثلاً، و لكن مع راستي توجّه الاهتمام إلى دراسة الخطاب الشعري في ضوء مفهوم التشاكل، لأنّ الشعر تعبير و مضمون، و قد يكون للتعبير أثر واضح فيه، من خلال

¹ - نوسي عبد المجيد: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص 100

² - Rastie : Sémantique interprétative, P 92

المواد الصوتية و التعادلات المكوّنية و التركيبية التي تميّزه¹. و هو ما أكّده راستي بمناسبة دراسته لقصيدة تحية ملارمي.

3.3- أنواع التشاكل الدلالي عند راستي:

يدرج راستي التشاكل ضمن المستوى الدلالي الأوسط (*Mésosémantique*). في هذا المستوى يتولّد ما يسمّى التشاكل الدلالي، و هو يرتبط بالأنماط المختلفة للمقوّمات، و تبعاً لهذه الأنماط تنشأ لدينا أنواع مختلفة من التشاكلات.

و قبل الحديث عن هذه الأنواع يؤسّس راستي منظومة التشاكل وفقاً لتشكيلات الأقسام الدلالية، و التي تظهر في العناصر الآتية:

- الأقسام الدلالية :

أ- القسم الدلالي النوعي:

● القسم الدلالي النوعي الأكبر (*Macrogénérique*)²:

هو القسم الأكثر شمولية و عمومية، يضمّ معانٍ لها سمات الشمولية نفسها، تدلّ على البعد أو الحجم، و تحتوي هذه المعانٍ على مقوّمات عامة كبرى (*Sèmes macrogénérique*)، مثل مقوّم الحركة/، / الإنسانية/، / الحيوية/، و تشكّل هذه المقوّمات مع مقابلاتها النواة الأولية للتدليل.

● القسم الدلالي النوعي الأوسط (*Mésogénérique*)³:

هو قسم متوسط مركزي، يضم معانٍ لها سمات متوسطة الشمولية، أي مقوّمات نوعية متوسطة (*Sèmes misogénérique*)، توافق السلوك الاجتماعي و العادات الاتفاقية، مثل مقوّم تغذية/، / قضاء/، و نجد آثار هذا المفهوم في المعاجم، إذ يدلّ على مجال معيّن تنتمي إليه المعانٍ، و يشار إليه بعلامة مختصرة، مثل: (*Cuis*) للإشارة إلى فن المطبخ، و (*Jur*) للإشارة إلى ما يتعلق بالقضاء.

¹ - محمد مفتاح تحليل الخطاب الشعري، ص 21

² - Voir : Rastier : Sémantique interprétative, P112

³ - Ibid : P131

• القسم الدلالي النوعي الأصغر (*Microgénérique*)¹:

و هو القسم الأصغر للمعانم الدنيا في اللغة، و هنا يتحدّد المقوّم الأضعف عمومية في المعانم (*Sémes Microgénériques*)، و قد يقترب من درجة المقوّم الخاص، و يسمّى هذا النوع من المقوّمات (*Taxème*)، و يترجمه بعض الباحثين العرب إلى (سمة نحوية)، بينما يقابله آخرون بلفظ (حقل معجمي)² و قليل منهم إلى (مصنّف)³، و إزاء ذلك سنختار الأكثر تداولاً و هو (مصنّف).

في هذا المقوّم يظهر انعكاس للوضعيات الاختيارية للتطبيقات الفعلية للنظريات، و يمكننا أن نأخذ المثال الآتي للتوضيح:

لدينا المعانم (ميّترو، قطار، حافلة، سيارة) مأخوذة من مجال / النقل الجماعي/. نفسّم هذه المعانم إلى مصنّفين:

المصنّف الأول: /سككي/ و الذي يتضمّنه المعنمان (قطار، ميّترو)

المصنّف الثاني: / خاص بالطرق/ و الذي يتضمّنه المعنمان (حافلة، سيارة)

فالمصنّف إذا تتضمّن سمات ضعيفة نوعاً ما من حيث الشمولية و التعميم، تخضع في تحديدها للوضعيات التداولية الأكثر شيوعاً و ممارسة.

و عادة ما نلاحظ أنّ معنماً واحداً يشتمل على مقوّمات متنوعة وفق الأقسام السابقة، مثل معنم " ملعقة"، فهو يتركّب من المقوّمات الآتية:

- مقوّم / غرّف/، و هو مصنّف (*Microgénérique*)

- مقوّم /غذاء/، يتعلّق بمجال التغذية و الإطعام (*Mésogénérique*)

- مقوّم /جامد/، يتعلّق ببعده أو حجم (*Macrogénérique*)⁴

ب-القسم الدلالي الخاص (*Spécifique*) :

¹ - Voir : Rastier : Sémantique interprétative, P112

² - ينظر: جمال بندحمان: الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري، الشعب و الانسجام، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2011، ص 123

³ - ينظر محمد الداوي: سيميائية السرد، بحث في الوجود السيميائي المتجانس، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2009 ص153

⁴ - Voir :Jean dubios et autres : Dictionnaire de linguistique, P424

يسجّل في هذا القسم تعارض أو تباين بين معنمين أو معانم كثيرة تنتمي للقسم نفسه، حيث يجعل معنمين متجاورين أو في متوالية واحدة في علاقة تقابلية بمميزات خاصة¹. و النتيجة: أنّ في كل قسم من الأقسام السابقة يتأسّس نوع من أنواع التشاكل الدلالي حسب المقوّم المتراكم في الإنتاج الخطابي، و في هذا المقام يميّز راستي بين نوعين أساسيين من التشاكل: التشاكل النوعي و التشاكل الخاص.

-التشاكل النوعي و التشاكل الخاص:

أ- التشاكل النوعي (*Isotopie Générique*) :

ينتج هذا النوع من التشاكل عن تراكم مقوّم عام في معنمين أو أكثر، و هو ثلاثة أقسام:

• التشاكل النوعي الأكبر (*Isotopie Macrogénérique*) :

يحصل هذا النوع من التشاكل من تراكم مقوّم أكثر شمولية و عمومية في معنمين أو معانم متجاورة، و يتعلّق الأمر بمقوّم متوارد يدل على البعد أو الحجم، و يوضح راستي ذلك بالمثل العلمي الآتي:

" القنفذ الحشري ليس من العائلة نفسها التي ينتمي إليها الشيهم"²

في هذا التركيب العلمي يتردد مقوّم / الحركة/ و الذي يقيم التشاكل النوعي الأكبر.

يمكن أن نطلق على هذا النوع من التشاكل تشاكلا بعديا³.

• التشاكل النوعي المتوسط (*Isotopie Mésogénérique*) :

أثناء تكرار مقوّم متوسط الشمولية و العمومية يتولد في التركيب أو الخطاب تشاكل نوعي متوسط يدلّ على مجال معيّن من خلال تجاور معانم تحيل إليه، و يمكن أن يسمى أيضا تشاكلا مجاليا، و المثال الذي يقترحه راستي هذه المرة هو مثال تاريخي:

" الأميرال نلسون أمر بطيّ الأشرعة"

يتوارد في هذا المثال مقوّم / الملاحاة البحرية/، و هو المتولد من المعانم (الأميرال، طي، الأشرعة)⁴

• التشاكل النوعي الأصغر (*Isotopie Microgénérique*) :

¹ - Ibid : P424

² - القنفذ الحشري: القنفذ آكل الحشرات، الشيهم: حيوان من القوارض ذو غطاء شوكي حاد أو ريش حاد.

³ - Voir : Rastier : Sémantique interprétative, P112

⁴ - Rastier : Sémantique interprétative : P112

يحصل هذا النوع من التشاكل من توارّد مقوّمات ضعيفة شموليا، أي قريبة من التحديد و التخصيص، و تشير إلى معانٍ لها المصنّف نفسه، و مثاله عند راستي:

" لحم الأضلاع الأزرق الدامي وصل إلى درجة الطهو الجيّد؟"

يسجّل راستي في هذا المثال توارّد مقوّم / درجة الطهو/¹

التشاكلات النوعية مرتبطة ببعضها البعض بقاعدة عامة في أقسام لغوية منظمة اجتماعيا، و لهذا السبب هي أهل لإنتاج آثار مرجعية، و في بعض الأحيان تبني هذه التشاكلات و تنسج موضوع الخطاب، و هو ما يسمى بأرضية الدلالة (*Fond Sémantique*).

ب- التشاكل الخاص (*Isotopie Spécifique*):

يستقر التشاكل الخاص عند راستي عندما تتراكم في الخطاب مقوّمات خاصة محدّدة ناجمة عن معانٍ متوالية، و هي لا تسجّل تعلق المعانٍ بأقسام، و إنما على العكس من ذلك، إنّها تميّزها داخل رحمها، و يضرب لنا راستي المثال الآتي:

" الفجر يضيء الينبوع"

يتردّد في هذا المقطع -حسب راستي- مقوّم /الشروع/ في المعانٍ الآتية: (الفجر، يضيء، المنبع)² أي شروع بداية يوم جديد.

التشاكلات الخاصة شكل دلالي تقدّم تحليلا مفصّلا للتشاكلات العامة، و هي مستقلة عن التشاكل البعدي و المجالي، و أحيانا تشير إلى معانٍ تتعلّق بمجال واحد أو بعد واحد، و هنا لا تثير أي مشكلة، و لكن حينما تتردّد فيها مقوّمات تتعلّق بمعانٍ متوالية مختلفة المجالات أو الأبعاد، فإنّنا في هذه الحالة نتحدث عن مقوّمات خاصة دخلت في اتصال استعاري أو رمزي، كما في (المنجل الذهبي *Faucille d'or*) لفكتور هيغو في التصوير الإيحائي (للقمر)، حيث يبرز لدينا مقوّم / على شكل هلال / يؤسس تشاكلا بين (القمر)، و (المنجل)، بالرغم من أنّ المعنمين يندرجان ضمن مجالين و مصنّفين مختلفين، و يتضح ذلك في الجدول الآتي:

¹ - Ibid: P112

² -Ibid : P112

الفصل الأول تطوّر مفهوم التشاكل من الميادين العلميّة إلى الميدان اللّسانيّ و السّيميائيّ

المصنّف	المجال	المعنى / القسم
آلة حصاد	الفلاحة	المنجل
جرم سماوي	الفلك	القمر

برغم هذا التباين في المجال و المصنّف فإنّ هناك مقوّمًا سياقيا جديداً قلّل من حدة و توتر التباعد، و ألّف بين المعنمين في تفاعل استعاري خطابي، إنّه مقوّم /شكل هلال/.

-التشاكل اللازم و التشاكل الوارد (*Isotopie Inhérent et Isotopie Afférent*):

بعض التشاكلات تنتج بتوارد مقوّم جوهري أصلي من معنمين أو معانم تنتمي للمصنّف نفسه و هي حالة التشاكل اللازم، و من جهة أخرى تفرز لنا بعض المعانم المتوالية و التي تنتمي لمصنّف مختلفة مقوّمًا إيحائيًا جديدًا يؤسس تشاكلا واردا.

يمثّل راستي على ما سبق بمقطع من رواية (الحانة L'assommoir)¹

" زبدية مجوّفة، ملعقة مغروسة في المرق الكثيف، مرق جميل أصفر يرتج مثل هلام "

في هذا المقطع الوصفيّ الروائيّ لاحظ راستي تكرار مقوّم / كثافة/ و هو مقوّم وارد يبرز في المعانم الآتية:

زبدية : أكبر إناء في المطبخ

مجوّفة: تدل على كثافة المرق

ملعقة مغروسة: مغروسة في المرق لكثافته

مرق أصفر: لون أصفر غامق

يرتجف: لكثافة المرق

و في الوقت نفسه يظهر ذلك المقوّم جوهريا في المعنم:

الكثيف: معنم ذو دلالة بعدية يظهر مقوّم الكثافة فيه جوهريا أصيلا².

¹ - الحانة: رواية لإميل زولا، تعدّ أكثر واقعية عن الفنتة العمالية، و فيها وصف للظروف المروعة في باريس في القرن التاسع عشر

و هي الرواية السابعة من سلسلة (روغان مكار) و التي تحمل عنوانا ثانويا (التاريخ الطبيعي و الاجتماعي لأسرة عاشت في ظل الإمبراطورية الثانية) و تتكوّن من عشرين مجلدا.. و المقطع مأخوذ من الجزء 7 مخصص للحديث عن وجبة طعام (مرق بلحم العجل)
² - Voir : Rastier : Sémantique interprétative, P113

المقوّم الوارد يكون إيحائيا من طبيعة سياقية، أو يكون خاضعا للمعايير الاجتماعية التداولية، و تظهر سمة هذا المقوّم بارزة حينما يكون المسار التأويلي معقّدا أو يحتمل التأويل مما يفرض على القارئ جهدا تأويليا مضاعفا، بينما يبدو المسلك التأويلي واضحا سهلا مع وفرة المقوّمات اللازمة¹.

4.3- التشاكل التركيبي و الشرط الدلالي:

يشير راستي في إطار مناقشته للتشاكل الغريماسي إلى نوع أساسي أولي من التشاكل هو التشاكل التركيبي، و الذي يحصل حسب جماعة (μ) انطلاقا من تكرار وحدة لغوية أو مقوّم سياقي في المحور المركزي (*Axe Syntagmatique*) مع اشتراط صحة العلاقات التركيبية الرابطة بين العناصر اللسانية، و هذا الشرط عند راستي يجعل تحديد التشاكل قاصرا على حدود الجملة و لا يأخذ بعين الاعتبار الخطاب، في حين أنّ التشاكلات الدلالية ترتبط بمستوى أعلى، و هو مستوى الخطاب الذي يخضع لقيود الانسجام و التساق في نموه و تناسله لإنشاء شبكته الدلالية². و إلى جانب عدم صلاحية القيد التركيبي في هذا المقام، يرفض راستي الشرط المنطقي الذي تفرضه ثنائية (الصدق، الكذب)، أي أنّ " كل الأقوال غير المحددة و الكاذبة ضرورة أو عامة تدخل في عدد الأقوال غير المتشاكلة و غير المنسجمة، و في مقابل ذلك، فإنّ الأقوال التي تتحقق فيها قيمة الصدق ضرورة، أو بشكل عام تعد أقوالا متشاكلة"³.

فالشرط المنطقي - حسب راستي- غير ضروري لتحقيق التشاكل الدلالي، و ما يجب أخذه بعين الاعتبار في هذا المقام هو الشرط الدلالي، و مدى انسجام و اتساق العناصر اللغوية داخل الملفوظات في قطيعتها مع العوامل الخارجية التي لا تنتمي لعالمها المحايث، لأنّ مبدأ التشاكل لا يمكن أن يقف عند حدود الجملة و قيودها التركيبية و المنطقية بل يتسوّر التركيب الخطابي و هو ما سماه غريماس بتشاكل الخطاب⁴.

¹ - Ibid : P113

² - ينظر: عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص101

³ - المرجع نفسه: ص102

⁴ - ينظر: عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص102

3.5- تأويل التشاكل الدلالي:

حدّد راسي في تحليله للتشاكل الدلالي مجموعة من الشروط تكسب القارئ و المحلل قدرات تأويلية و كفاءات تمكّنه من المقاربة المعقّنة للملفوظات المتشاكلّة، و قد صاغ هذه الشروط في كتابه (علم الدلالة التأويلي)، نلخصها كما يلي:

- تحديد المعطيات الخطابية:

هو شرط ذو طبيعة علمية تجريبية، يقدم للباحث فرضيات خطابية ممكنة تعمل على تأسيس تشاكل دلالي في التركيب الخطابي، بفرز العناصر التي تمكّن من تحقيق الانسجام الدلالي للملفوظات قيد التحليل، و لا يتوانى الباحث بعد ذلك في رصد و إحصاء المقوّمات السياقية المتراكمة في مقطع جزئي، و اعتمادا عليه يفترض وجود تشاكل دلالي يربط أنسجة الخطاب و يسمه في كليته مع شرط استجابة هذه العملية للاختبار و الاستقصاء في مجمل المقاطع الخطابية الأخرى المشكّلة للمتن الكلي.

- التحليل الاستقصائي:

يقوم هذا التحليل الفرضيات المعدّة سلفا، و مدى نجاح النسبة الاحتمالية للتشاكل، و منه يقوم الباحث بتعميم العملية السابقة على ما تبقى من المقاطع المتوالية الأخرى، حتى يستوفيها كلها بتتبع المقوّم السياقي الأساسي الذي تم استخراج كفرضية أولية، و هذا العمل التحليلي الاستقصائي يتم في مستويين متضافرين:

- مستوى داخلي:

هو المستوى المحايث للخطاب، و فيه يبرز تكرار و تراكم الوحدات المكوّنة للملفوظات أفقيا متوالدة و متناسلة من بعضها بعض محقّقة الانسجام الخاص بعالمها الدلالي، و على الباحث خلال هذه العملية اختبار مدى قدرة الامتداد التشاكلي على المركب الأفقي.

- مستوى رابط: يربط بين العالم المحايث المتوفر في وفرة المقوّمات السياقية من جهة و بين المعطيات التداولية التي يتحرك ضمنها الخطاب¹.

4: التشاكل و المحور الدلالي عند أمبرتو إيكو² Umberto Eco:

¹ - عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص104

² - أمبرتو إيكو: فيلسوف و كاتب إيطالي (و. 1932م)

يعرّف إيكو التشاكل بأنّه: " ثبات مسار المعنى الذي يظهره النص عندما يخضع لقواعد الانسجام التأويلي"¹. لأنّ ثبات المسارات التصويرية للمعنى في النص دليل على خضوع النص لقواعد الانسجام الداخلي، وهو ما يحيل إلى ظاهرة التشاكل الدلالي، وتكمن وحدته الدنيا في الرابط الثابت المؤسس بين معنمين في مستوى جملي أو عبر جملي.

يهيب إيكو بالمفهوم الغريماسي و يعطيه الأفضلية عن كل عمل تأويلي، إذ لا بد من التأكيد على أهمية المعجم و المسار التأويلي للقارئ²، لأن التشاكل مرتبط بما يسميه إيكو "بالمحور الدلالي" فهو يوجّه الاختيار السياقي الملائم من خلال الظواهر التداولية التي تدفع القارئ إلى البحث عن تأويل مناسب للخطاب الذي هو بصده حينما يخرج عن دلالاته الأولية، "بحيث إنّه في إطار سياق معين (وتحت تأثير ذلك السياق) يقع تنشيط جزء معين من الموسوعة واقتراحه على أنّه سور يسند الاستبدالات الكنائية ونتائجها الاستعارية ويفسّرهما"³. وتحت تأثير هذا السياق يقوم المحلل بعملية التفكير و التركيب، وانطلاقاً من المحور الدلالي المتأثر بواقعه النصي الجديد يستثير المقومّات السياقية، و المميزات الدلالية للمعان المنضوية في السلسلة الجمالية أو عبر الجمالية، برصد ما تواتر منها قسراً أو طوعاً في الاختبار التأويلي، وذلك كله لبناء صور متشاكلّة ثابتة مرتبطة بموضوع محدد.

إنّ التشاكل الدلالي عند إيكو مرتبط بالتأثير السياقي الذي يتأتى من تحديد محور أو متحدث عنه، وتبعاً له يتحدد المسار التأويلي، والمثال الآتي يبرز لنا ذلك:

"ليست لزيد مشاكل حياتية لأنّه يغترف من ثروات أبيه"⁴

- المحور الدلالي أو المتحدث عنه في المثال السابق هو "موارد زيد" وهو ما يدفعنا لاختيار شجرة فورفريوس المتعلقة بالمقوم السياقي "التملك"، وقد يتغير هذا المقوم في سياق تخاطبي مخالف فينتج محوراً آخر يفرض مساراً تأويلياً مساوقاً.

- خلاصة تركيبيّة:

¹ - Voir :Jean-Michel Adam : La linguistique textuelle , 3^{eme} édition, Armand colin, Paris , 2011,P116

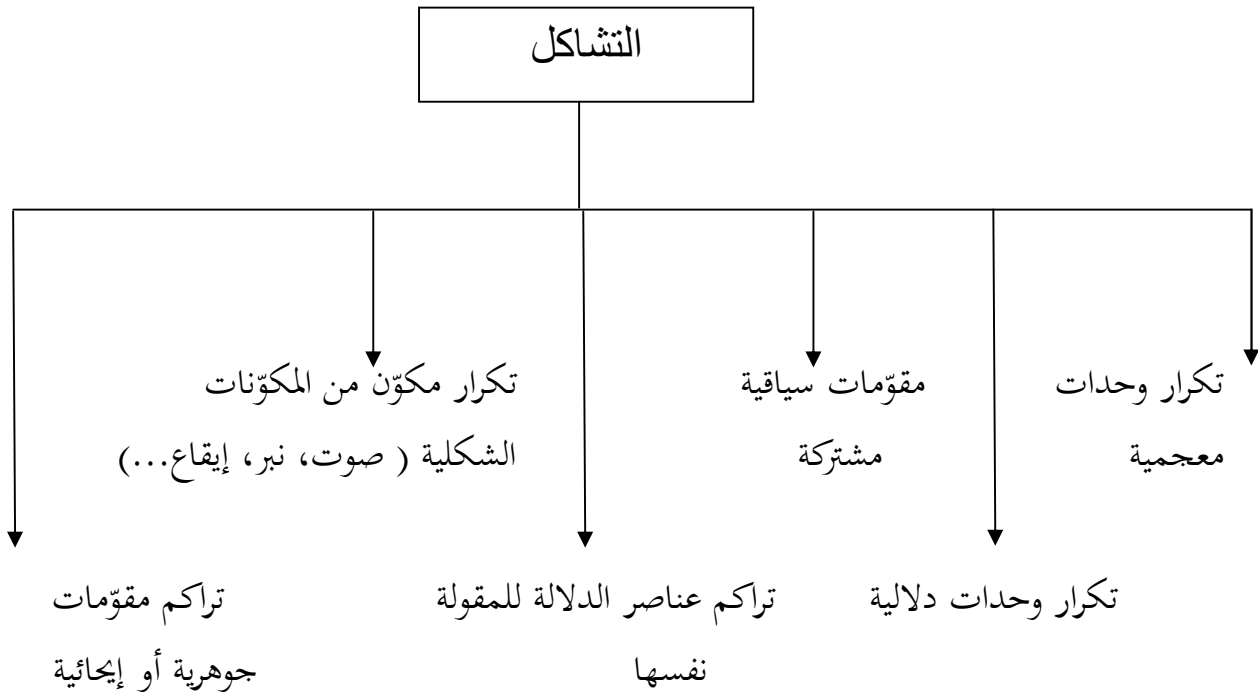
² - Ibid : P116

³ - أمبرتو إيكو: السيميائية و فلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، 2005، ط1، ص291

⁴ - ينظر: أمبرتو إيكو: السيميائية و فلسفة اللغة، ص292

الفصل الأول تطوّر مفهوم التشاكل من الميادين العلميّة إلى الميدان اللّسانيّ و السيميائيّ

ينتج عن تفكيك النسيج الخطابي وحدات لسانية تشكّل متوالية تربط بينها علاقات دلاليّة ترسي اتساقها و انسجامها، وهو ما اصطلح عليه السيميائيون بالتشاكل الذي يتتبع الدلالات الظاهرة و المستترة انطلاقاً من المكوّنات الدنيا عبر التركيب و صولاً إلى الخطاب في كليته و شموليته، و ذلك من خلال إجراءات تحليلية يقوم بها الباحث، و الذي يتجلى له التشاكل من خلال التظاهرات الآتية:



كما يمكننا تلخيص الفروق الجوهرية بين السيميائيين الغربيين في تصورهم للتشاكل في الجدول الآتي:

الباحث	التصور النظري للتشاكل
غريغاس	- ذو طابع دلالي
	- يشتغل على مستوى المضمون بكيفية فعّالة، لأنّ المعنى- في نظره-

<p>قطب العملية التواصلية.</p> <ul style="list-style-type: none"> - يقتصر على الحكاية دون غيرها من أشكال التعبير الإنساني. - تركيبى و خطائى. - أكّد على الشرط الإيجابى فى تحديده للتراكم المعنوى، و أغفل الشرط السلبى. 	
<ul style="list-style-type: none"> - تراكم المقوّمات السياقية يحقّق التشاكل و يدل على انسجام الحكاية و درجة مقروئيتها. - التشاكل عنصر هام فى إزالة الالتباس الرسالى. - تشاكل سيميولوجى و تشاكل دلالى 	<p>كورتيس</p>
<ul style="list-style-type: none"> - وسّع مفهوم التشاكل. - يشمل المستوى التعبيرى و المستوى المضمونى. - لا يقتصر على الحكاية فقط، بل يبرز فى الجانب الشكلى من الخطاب الشعرى (تشاكل صوتى، تشاكل إيقاعى، تشاكل نبرى...) - التشاكل و التباين لا يمكن فصلهما، يشغلان متضافرين. 	<p>راستى</p>
<ul style="list-style-type: none"> - تشاكل تعبيري و تشاكل مضمونى، و هما اللذان يحددان درجة الخطاب. - أخضعت التشاكل للشروط و القيود المنطقية و التركيبية. - التشاكل يمارس على جميع الخطابات، بما فيها الخطاب التواصلى و الخطاب العلمى. 	<p>جماعة (μ)</p>
<ul style="list-style-type: none"> - التشاكل ظاهرة دلالية. - له صلة وثيقة بالمحور الدلالى الأكبر (المدار) 	<p>أمبرتو إيكو</p>

الفصل الثاني

تلقي مصطلح التشاكل و أنساقه في الخطاب النقدي العربي الجديد

أولاً: وضعية المصطلح اللساني في الثقافة العربية المعاصرة

- 1- موقف الباحثين العرب من المصطلحات اللسانية الوافدة
- 2- أسباب الاختلاف في وضع المصطلح
- 3- طرق نقل مصطلحي التشاكل و التباين إلى الثقافة العربية

ثانياً: التشاكل والتباين في التراث النقدي العربي

- 1- دلالة التشاكل والتباين في المعاجم العربية
- 2- دلالات التشاكل والتباين في الدراسات النقدية و البلاغية

وفد مصطلحا (*Isotopie, Allotopie*) إلى الثقافة العربية مع المناهج النقدية الغربية المهاجرة وفيهما اضطراب في ثقافة المنشأ نفسها، إذ ما زال في بداية تشكلهما كمفهومين سيميائيين يفترض تطبيقهما في الخطاب النقدي الجديد بحثا عن الانسجام النصي وتلمسا للخصائص والسمات الأسلوبية المتفردة، ودفعاً للغموض الذي يعتم النص الأدبي .

هذا الاضطراب الذي اكتنف المصطلحين بدا تأثيره جليا في الدرس النقدي العربي، والأمر يتعلق بكيفية مقابلة المصطلحين الوافدين و أنساقهما بلفظ عربي مبين لا يختلف في تأسيسه الكثير، و حتى نحلل هذه الكيفية يجدر بنا أن نبين وضعية المصطلح اللساني في الثقافة العربية المعاصرة، و أسباب اضطرابه، و كيفية تلقي الباحثين العرب لهذا المصطلح و أنساقه.

أولا: وضعية المصطلح اللساني في الثقافة العربية المعاصرة:

المصطلح مفتاح العلوم، لأنه لا يقتصر على علم دون آخر، و لا يخص ميدانا معرفيا كل على حدة، و إنما هو " علم مشترك بين اللسانيات و المنطق و علم الوجود و علم المعرفة و التوثيق و حقول التخصص العلمي، و ينعتة الباحثون السوفياتيون بأنه علم العلوم"¹، و إذا كان اللسان عند الشعوب المتقدمة هو الطريق إلى التقدم و الهيمنة، فإنّ اللسان العربي أصبح مدخلا إلى التخلف و عدم قدرتنا على مواكبة النمو، و التخلص من التبعية في جميع الميادين، التكنولوجيا و المعرفة و العلمية و الثقافية، بحيث انكبنا على نقلها نقلا استهلاكيلا لا فكريا².

و لا يخفى على أي باحث عربي الاضطراب الذي يعتري المصطلح اللساني في الدراسات النقدية العربية المعاصرة، و خاصة عندما يتعلق الأمر بالمصطلحات المهاجرة من ثقافة أجنبية إلى الثقافة العربية، ذلك أنّ هذا الاضطراب مرتبط أشد الارتباط بقضية هامة، هي قضية التعريب، و مادام أنّ باحثينا اختلفوا في سياسة التعريب، فإنّ هذا الاختلاف حتما سينعكس على المصطلح اللساني، لأنه جزء مركزي في الدراسات اللسانية المعاصرة التي تعدّ " النواة الصلبة و القاعدة الأساس لجلّ المناهج

¹ - علي القاسمي: النظرية العامة و النظرية الخاصة في علم المصطلح، مجلة اللسان العربي، ع29، الرباط، 1987، ص 127

² - ينظر: عبد الحميد عبد الواحد: اللسان العربي: الحاضر و الآفاق ضمن كتاب اللسانيات و إشكاليات التلقي، مركز دراسات الوحدة

العربية، بيروت، ط1، 2007، ص 64

النصائبة الرائجة الآن في ساحة النقد العالمي من بنيوية و سيميائية و غيرها¹. ويزداد الأمر سوءاً و تعقيداً بالقدر الذي يزاحم فيه اللسان الأجنبي اللسان العربي، و يحاول إقصاءه أو الحلول محله. و المتتبع لهذه الوضعية يلاحظ غياب أي اتفاق عربي نسبياً حول الكيفية التي يتم بها تلقي المصطلحات اللسانية و السيميائية المتداولة في الدراسات البحثية و النقدية، و بذلك أصبحت مشكلاً قائم الذات عوضاً أن تكون مساعداً يقربنا من هذا العلم الدخيل علينا².

و عموماً فإنّ المصطلح اللساني العربي يتسم بالخصائص الآتية:

- فوضى و اضطراب و تعدّد من بلد عربي لآخر، بل بين باحث و آخر في بلد واحد و أحياناً نجد عند الباحث نفسه، فمرة يعرّب و أخرى يترجم، و قد يتبرأ من اختياره و ينزع لمقابل آخر بحجة التطور العلمي.
- عدم القدرة على توحيدده، بسبب المحاولات الفردية للاستئثار بقصب السبق، و حبا في التفرد في صناعة المصطلح.
- غياب المؤسسات و الهيئات العلمية و البحثية القادرة على التكفل بهذه المهمة و تقنين العملية، و وضع استراتيجيات علمية شاملة، من خلال ما يسمى بنك المعلومات و البحوث العلمية.
- القصور في تلقي المصطلح في مفهومه العلمي المضبوط كما نشأ في بيئته الأصلية و في لسانه الأول، مع اختلاف في مصادر المصطلح الواحد و مرجعياته الأساسية³.

1- موقف الباحثين العرب من المصطلحات اللسانية الوافدة :

منذ أن بدأ نجم اللسانيات يتألأ في الدراسات النقدية الغربية في بدايات القرن العشرين تراحم الباحثون العرب على ترجمة البحوث التي توصل إليها هذا العلم، غير أنّ المصطلح اللساني باعتباره "أداة تعبير دقيقة لنقل المفاهيم أو المتصورات العلمية و الثقافية و التكنولوجية"⁴، و "بنية

¹ - قادة عقاق : إشكالية ترجمة المصطلح السيميائي في النقد العربي المعاصر، الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي مارس 2011، ص 307

² - رشاد الحمزاوي: مشاكل وضع المصطلحات اللغوية، مجلة اللسان العربي، ع 18 ج1، ، الرباط 1980 ، ص 75

³ - ينظر المرجع السابق، ص 74

⁴ - قادة عقاق : إشكالية ترجمة المصطلح السيميائي في النقد العربي المعاصر ، ص 72

سيمائية و دلالية و تداولية مشتركة بين الثقافات و اللغات المختلفة¹ شكّل عائقاً أمام التلقي الصحيح للمستجدات اللسانية، و التعامل الموفق معها، فجاءت بعض الترجمات العربية مشوّهة للنص الأجنبي الأصلي، مما جعل معظم البحوث المتراكمة تتسم بالغموض و الاضطراب، معيقة الفهم العلمي الصحيح و التواصل ضمن الحركة اللسانية المعاصرة. و المواقف الآتية تعكس واقع المصطلح في الدراسات النقدية العربية المعاصرة في مواجهة المصطلح اللساني الدخيل:

● يرفض جرجي زيدان مقابلة المصطلحات الوافدة بالألفاظ العربية القديمة، لأنّها تحيل إلى واقع يختلف اختلافاً كبيراً عما نعيشه في عالمنا المعاصر، فهي - في نظره - تمثّل قيوداً تعيق اللغة العربية عن النمو و التفاعل، و في ذلك يقول: " و قد آن لنا أن نخلص أقالمنا من قيود الجاهلية، و نخرجها من سجن البداوة، و إلّا فلا نستطيع البقاء في هذا الوسط الجديد، فلا ينبغي لنا احتقار كل لفظ لم ينطق به أهل البادية منذ بضعة عشر قرناً، لأنّ لغة البراري و الخيام لا تصلح للمدن و القصور إلّا إذا ألبسناها لباس المدن... فلا بأس من استعمال الألفاظ المولدة التي لا يقوم مقامها لفظ جاهلي (...). فاستعمال اللفظ المولّد خير من إحياء اللفظ الميت و استبقاء المولود الجديد أولى من إحياء الميت القديم"². و قوله هذا فيه تعميم إذ ليس كل ما في التراث العربي ميت، فهناك من الألفاظ ما لديها القدرة على التطوّر و حمل مفاهيم جديدة تخصّص لها، فلا يعيب اللغة قدمها و ارتباطها ببيئتها الأولى، و إنّما ما يعيبها هو عجزها و قصورها.

● يدعو أنيس سلوم إلى محاكاة الغربيين في كيفية تعاملهم مع اللغة، فهم وضعوا ألفاظاً جديدة لم تكن معروفة من قبل، اقتبسوها من اليونانية و اللاتينية، و أحالوها إلى صيغ تناسب قواعد لغاتهم، مع تشاركتها في الاشتقاق و تقاربها في الدلالات و المعاني، فحري بنا أن ننهج نهجهم فنضع ألفاظاً لتلك المسميات، أو نحيلها إلى صيغ تناسب قواعد لغتنا، مع ما بينها و بين تلك اللغات من شدة التباين، و مع ما هي عليه من خاصية الاشتقاق، لأنّ في أوضاع

¹ - المرجع نفسه: ص 312

² - جرجي زيدان: اللغة العربية كائن حي، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة مصر، 2012، ص 85

العربية ما يتسع لأن يؤخذ منها بالاشتقاق لما أردنا من المعاني¹، و هو دليل على مرونتها و مطواعيتها الفائقة التي "تيسر صياغة الألفاظ الدقيقة التعبير و الواضحة الدلالة، بحيث أن وزن اللفظة كثيرا ما يحدّد مدلولها"².

● يقترح مارون غصن على الباحثين و المترجمين العرب تطوير اللغة العربية باستخدام اللواصق " وما المانع أيضاً من إدخال أشدّ اللواصق لزوماً للغة العربية من مثل (*ANTI*) و (*AUTO*)، واللاحقتين (*METRE*) و (*GRAFE*). وما المانع أيضاً من اقتباس لواصق (*AFFIXES*) من لغات أجنبية؛ إذا صعب علينا إيجاد لواصق مقتضبة من جذور عربية"³. و مثل ذلك ما صنعه الأرمن حينما أخذوا اللواصق من اللاتينية واليونانية وأدخلوها في لغاتهم، فصارت لغاتهم قادرة على التعبير عن أدق المعاني، غير أن هذا الاقتراح لا يمكن الاطمئنان إليه، لما يمثله من مخالفة لطبيعة و خصائص اللغة العربية؛ فهي لغة اشتقاقية لا إصاقية، وتمتلك من الصيغ الاشتقاقية ما يؤهلها لتوفير الألفاظ المناسبة لمختلف المفاهيم. كما أن هذه اللغة يمكن أن توفرّ من الصيغ ما يمكنها من حمل الدلالات التي تشير إليها السوابق واللواصق الأجنبية؛ فاللاحقة (*er*) يمكن التعبير عنها بصيغة (اسم الفاعل) واللاحقة (*ing*) يمكن التعبير عنها بالمصدر وهكذا...

● يقول عارف أبو شقرا: "إذا اقتضت الحاجة إيجاد كلمة لآلة من الآلات، أو مرفق من المرافق، وحرصنا أن تكون الكلمة عربية الأصل، فإن لم تكن الكلمة العربية الجديدة مطاوعة وكانت بلفظها الأجنبي أكثر مطاوعة كان إدخال الأجنبي المطاوع أفضل من العربي النابي العصي"⁴. و في قوله هذا دعوة صريحة إلى اللجوء إلى المصطلحات الأجنبية عندما لا تسعفنا اللغة العربية في اختيار لفظة مطاوعة للتصريف، و لكن كلامه هذا ليس مطلقاً، و إنما يتحفظ عليه قائلاً: " إني لا أقول بأن تدخل الكلمات الأجنبية كيفما اتفق، بل إني من

¹ - ينظر: آراء وأفكار، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، م2، ج9، ص284

² - أحمد شفيق الخطيب: منهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة، مجلة اللسان العربي، م19، ج1، ص39

³ . المرجع نفسه: م8، ج12، ص751.

⁴ - عارف أبو شقرا: التعريب والمطاوعة، مجلة الآداب، س4، ع1، 1956، ص15.

المتشددين في هذا الأمر، ولكنني أرى أن نفتح الباب للكلمات التي تطاوع مقتضيات اللغة وتخضع لقواعدها¹. و المعيار الذي يجب أن يراعيه المترجم في هذه الحالة هو معيار المطاوعة أي مدى مطاوعة ألفاظ العربية للألفاظ الدخيلة، و التي هي بصدد اختيار مقابل لها.

● يرى أحمد شفيق أنّ أحسن طريقة لمقابلة الألفاظ المهاجرة هي اتباع القاعدة المنطقية في التعريب التي تفصل بين نوعين من المصطلحات الوافدة، "ما هو أصيل في اللغة المنقولة يترجم، أي يعرّب بالترجمة، أو يتحرى له لفظ عربي يؤدي معناه، أو يصاغ له لفظ عربي بوسائل الاشتقاق، أو المجاز، أو النحت، أمّا الألفاظ عالمية التسمية، والمستعملة في معظم لغات العالم المتحضّر (...). فهذه كلها تعرّب بلفظها"⁽²⁾، و من هذه الألفاظ:

- الألفاظ المشتقة من اليونانية أو اللاتينية (مثل إلكترون و تليفون و تلفزيون و ترانزستور)
- الألفاظ المركبة من أحرف و اختصارات متعارف عليها دوليا (ألو، أوكي).
- الأسماء الموضوعية تخليداً لذكرى عالم أو مخترع (مثل فلط و أمبير)³

● يفرّق أنطوان جميل بين الألفاظ العلمية التي تدل على جوهر، و الألفاظ التي تدل على صفة، فما دل على جوهر ينقل كما هو، أي يعرّب، و مادّ على صفة يبحث له عن مقابل عربي عن طريق الترجمة، لأنّ اللغة العربية غنية بالصفات و الاشتقاقات⁴.

● يخالف عبد السلام المسدي سابقه و يضع قاعدة منطقية تشمل كل لفظ يدل على مفهوم مستجد دخيل على المجموعة اللغوية الناطقة بلغة ذلك اللفظ، و هي قاعدة التجريد الاصطلاحي التي تخضع لها جميع المصطلحات العلمية الوافدة، و في رحلتها الانتقالية الجديدة

¹ - عارف أبو شقرا: التعريب والمطاوعة ، ص16.

² - أحمد شفيق الخطيب: منهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة ، مجلة اللسان العربي، م 19، ج1، 1982، ص 38 .

³ - ينظر المرجع نفسه: ص38

⁴ - ينظر: أنطوان جميل: مجمع اللغة العربية القاهرة، 1971، ص44-46

لا بد أن تمر بثلاث مراحل أساسية:

- **مرحلة التقبل**: ينتقل فيها المصطلح المهاجر من الثقافة الأجنبية إلى الثقافة العربية، و يحلّ وافدا على منظومتها المعجمية و المصطلحية.

- **مرحلة التفجير**: في هذه المرحلة يفكك الدال عن مدلوله الأصلي، و يقسّم إلى أجزاء إذا كان مركبا، ليتم استيعابه، و مقابلته بصيغة تعبيرية تحديدية، في شكل تعريف أو شرح.

- **مرحلة التجريد**: و هي المرحلة الصورية الشكلية، يستقر فيها المصطلح الجديد، بتعويض الصيغة التعبيرية التحديدية بلفظ علمي يتشرب مفهوم العبارة التحديدية و التعريفية¹.

و لعل أبين مثال في هذا المقام المراحل التي مر بها مصطلح الفونيتيك (*Phonétique*) ففي مرحلة التقبل - حسب المسدي- تلقاه الباحثون في صورة (الفونيتيك)، ثم تحوّل في مرحلة التفجير إلى الصيغة التعريفية (علم الأصوات الحديث)، ثم استقر أخيرا على (الصوتيات) في مرحلة التجريد².

و قد تعرّض قانون التجريد الاصطلاحي إلى كثير من النقود، ذلك " أنه ليس شرطا أن يمر كل مصطلح مهاجر بجميع تلك المراحل، فقد يقفز مباشرة إلى آخر مرحلة و يستقر عليها"³، إضافة إلى أنّ المسدي أغفل ظاهرة "التنازع الاصطلاحي الذي قد يحدث بين مرحلتَي التفجير و التجريد"⁴

● وفي مقابل ما تقدّم، نجد دعوات منادية بالرجوع إلى التراث العربي القديم، والتنقيب عن الألفاظ التراثية في مظانها، وتمحيصها للاستفادة منها، و هو عمل يشعُرنا بالاعتزاز بماضيينا المجيد، وعدم الشعور بالانهزامية، ووصم العربية بالتخلف والرجعية. و من أبرز الداعين إلى

¹ - ينظر: عبد السلام المسدي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر و التوزيع، تونس، 1997، ص

² - المرجع نفسه: ص 95

³ - يوسف و غليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون،

⁴ - المرجع نفسه، ص 49

الرجوع إلى التراث محمد رضا الشيببي، وصبحي الصالح، و من نهج نهجهما، مثل لطيف زيتونة ونجاة المطوع و كثير من التراثيين¹.

تُظهر الاختلافات السابقة " أنّ الاشتغال بترجمة المصطلح عملية في غاية الخطورة و التعقيد، إذ لا تستلزم إتقان اللغة المترجم منها و المترجم إليها (لغة الأصل و لغة المورد) فقط بل تستدعي فضلا عن ذلك إلماما كاملا بالحقل النقدي المشتغل فيه، و تخصصا دقيقا في النظرية المتعامل معها، و ذلك لأنّ هذا الأخير -المصطلح- هو لفظ خاص يوضع من لدن أهل اختصاص معين ليدلّ على معنى مقصود يتبادر إلى الذهن بمجرد إطلاق هذا اللفظ مما يعني أنّ خاصية الاندراج ضمن تصور نظري محدود و مضبوط لا ينبغي له أن يبرحه، و هو أمر يجعله محروما من حق الانزياح المباح للكلمات العادية"².

2-أسباب الاختلاف في وضع المصطلح:

لقد ساعد على اتساع الهوة بين النقاد العرب العديد من الوسائط التي على أساسها تم هذا التفاعل الفردي المنقطع عن الجماعة. ولعل أبرزها:

- الكتب والمجلات الغربية المتخصصة التي يقتنيها الباحثون فرادى.
- الترجمة التي يقوم بها الباحثون العرب بعيدا عن هيئات ومراكز بحثية مختصة في ذلك أو في غياب شبه كلي لهذه المراكز والمعاهد المتخصصة في الترجمة.
- " فكتاب دي سوسير ترجم في المغرب وتونس والمشرق، وبعض مقالات بارت ترجم في العراق ومصر وسوريا والمغرب"³.
- البعثات العلمية والثقافية إلى جامعات أجنبية لتحضير رسائل أو أطروحات أو لتنفيذ مشاريع دراسية.

3- ينظر: محمد رضا الشيببي: المصطلح اللغوي العربي من البناء إلى التوحيد مجلة اللسان العربي، م19، ج1 1982، ص 82-83.

²- قادة عقاق: إشكالية ترجمة المصطلح السيميائي في النقد العربي المعاصر، ص 307

³- سعيد يقطين: النقد العربي (مسارات و آفاق)، آفاق نقد عربي معاصر، دار الفكر، دمشق، سوريا، ص: 54.

- تعددية المناهج المتبعة عربيا في ضوء المصطلح، فهناك من يترجم معناه، و هناك من يعرّبه و ينقله بلفظه الأجنبي مع إخضاعه للوزن و النطق العربيين، و آخرون يفضلون العودة للتراث و إحياء ما فيه من مصطلحات¹.

3- طرق نقل مصطلحي التشاكل و التباين إلى الثقافة العربية:

هناك طرق كثيرة يتم بها نقل المصطلحات والمفاهيم الأجنبية الوافدة، منها: الترجمة، وفي حال تعذرهما يلجأ الباحثون إلى التوليد في الصيغة عن طريق الاشتقاق أو القياس أو النحت أو التركيب فإذا استحال على المترجمين إيجاد المقابل العربي بواسطة التوليد اللفظي لجؤوا إلى التوليد الدلالي من خلال توظيف مصطلحات ومفاهيم تراثية في معنى جديد مطور بتوسيع دلالاتها على ضرب من المجاز. وفي حالات أخرى لا يكلف الباحثون عناء أنفسهم في البحث عن المقابل العربي فيكتفون بتعريب المصطلح الأجنبي تعريبا كليا أو مع شيء من التعديل أو التغيير. وقد يجمع في حالات عديدة بين طريقتين أو أكثر.

1.3- الترجمة :

تعتبر الترجمة من أولى الوسائل وأهمها في نقل المصطلحات الأجنبية إلى العربية، وذلك يعتمد بالدرجة الأولى على وجود مقابل عربي يساوي أو يقارب اللفظ الأجنبي مع مراعاة أمرين هامين:

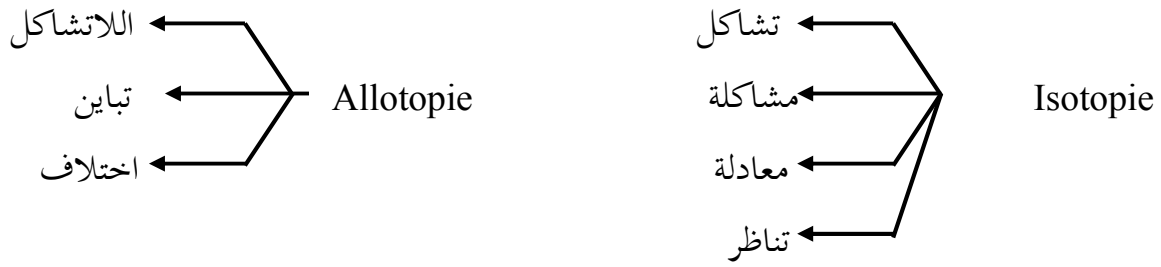
- الفهم الدقيق لمفهوم المصطلح الوافد ضمن إطاره العام.

- مناسبة المصطلح العربي المقابل مناسبة نطقية وصياغية دون إغراب أو شذوذ.

وفي مجال البحث عن مقابل عربي يساوي أو يقارب اللفظ الأجنبي للمصطلح قيد الدراسة سلك الباحثون العرب مسالك متعددة ومختلفة، حيث قابلوا « *Isotopie* » بألفاظ عربية متعددة وكذلك

¹ - ينظر: محمد مجيد السعيد: دور مؤسسات التعليم العالي في توحيد المصطلح و إشاعته، مجلة اللسان العربي، ع29، ص148

فعلوا مع مصطلح « *Allotopie* » وأنساقهما المتعلقة بما أيضا. وقد انتهج هذا السبيل كل من محمد مفتاح وعبد الملك مرتاض وعبد القادر فيدوح وبسام بركة...



2.3 - التعريب:

يتم بنقل المصطلح الوافد بحاله إلى الثقافة العربية مع بعض التغيير والتعديل في صورته بالقدر الذي يوافق القواعد الصوتية والصرفية في اللغة العربية، وقد اختلف في ذلك كثير من الباحثين، فمنهم من رفض التعريب بحجة إفساد اللفظ الأجنبي اللغة العربية وتشويه معجمها، وآخرون حمدوا هذا السبيل وشجعوا على اتباعه ورأوا في ذلك محافظة على نقاء التراث العربي، ومراعاة لأنساقه وقواعده .

و أشهر من ارتضى هذا المنهج من الباحثين العرب: أنور المرتجي ورشيد بن مالك حيث عرّبا

« *Isotopie* » إلى « إيزوطبية »

3.3- الترجمة والتعريب:

غير أنّ هناك قلة من المترجمين والباحثين جمعوا بين الطريقتين معا مقابلين « *Isotopie* » مرة بالتشاكل و مرة أخرى ب « إيزوطبية » وهذا أمر معروف متداول في أدبيات عبد الملك مرتاض الذي يأخذ بالمعيارين معا.

الفصل الثاني: تلقي مصطلح التشاكل و أنساقه في الخطاب النقدي العربي الجديد

والجدول الآتي يصنّف ويوضّح هذه الاختلافات مبينا مواضعها في كتب البحث والمراجع:

المرجع	المقابل الغربي لـ « <i>Allotpie</i> »	المقابل العربي لـ « <i>Isotopie</i> »	الباحث
«المستوى الرابع: التشاكل والتباين في نص سورة الرحمن» ¹ .	تباين	تشاكل	عبد الملك مرتاض
«إنّ هذه الآية تحمل إيزوتوبية» ² .		إيزوتوبية	
«والمشكلة أو التشاكل فرع من فروع السيميائية» ³ .		المشكلة	
«أما اللاتشاكل فيقوم في هذا الكلام على أساس التأليف بين أطراف متناقضة وهو ما يمكن أن نطلق عليه التباين» ⁴ .	اللاتشاكل		
المعجم ⁵		التناظر	سعيد علوش
معجم المصطلحات ⁶		تكرار وحدات لغوية	مبارك مبارك

¹ - عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني - تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن - دار هومة، الجزائر، 2001 (الفهرس).

² - المرجع نفسه ص: 135.

³ - عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة - قصيدة القراءة - تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية - دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1994 ص: 33

⁴ - المرجع نفسه ص: 37.

⁵ - سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، منشورات المكتبة الجامعية، الدرا البيضاء، 1984، ص 151

⁶ - مبارك مبارك: معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1995، ص 156

الفصل الثاني: تلقي مصطلح التشاكل و أنساقه في الخطاب النقدي العربي الجديد

مسرد المصطلحات ¹		تناظر	سعيد حسن بحري
«أما الأرض والروضة فيبرز تشاكلهما المعنوي» ² .		تشاكل	عبد القادر فيدوح
مسرد المصطلحات ³		النظائر	فالح بن شبيب العجمي
«تضمن الإيزوتوبيا التحام الرسالة أو الخطاب» ⁴ . مسرد المصطلحات ⁵		إيزوتوبيا نظير	رشيد بن مالك
عنوان الفصل الأول «التشاكل والتباين» ⁶ . «وقد أسمته البلاغة العربية القديمة المعادلة» ⁷ .	تباين	تشاكل معادلة	محمد مفتاح

¹ - زتسيسلاف واورنيك: مدخل إلى علم النص، تر: سعيد حسن بحري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2003، ص 187

² - عبد القادر فيدوح: الرؤيا و التأويل، مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة، دار الوصال،، ط1، 1994، ص91

³ - فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي و المطابع، المملكة العربية السعودية، 1996، ص 424

⁴ - رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، 200، ص 93

⁵ - آن إينو: تاريخ السيميائية، تر: رشيد بن مالك، منشورات مخبر الترجمة و المصطلح، جامعة الجزائر، دار الآفاق، 2004، ص 139

⁶ - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ص: 19

⁷ - المرجع نفسه، ص: 71

الفصل الثاني: تلقي مصطلح التشاكل و أنساقه في الخطاب النقدي العربي الجديد

عبد السلام المسدي	تشاكل	تباين	ثبت المصطلحات ¹
محمد الماكري	تشاكل		ثبت المصطلحات ²
غريب إسكندر	تشاكل	تباين	« فالتشاكل والتباين إذن لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر » ³ .
أحمد الصمعي	تشاكل دلالي		ثبت المصطلحات ⁴
بسام بركة	تشاكل		معجم اللسانيات ⁵
سعيد بنكراد	تناظر		مسرد المصطلحات ⁶
أنطوان أبو زيد	نظير		مسرد المصطلحات ⁷

¹ - عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1984، ص 211

² - محمد الماكري: الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص 323.

³ - غريب إسكندر: الاتجاه السيميائي في نقد الشعر العربي، المجلس الأعلى للثقافة، 2002، ص 76.

⁴ - أمبرتو إيكو: السيميائية وفلسفة اللغة ص: 467.

⁵ - بسام بركة: معجم اللسانيات، دار ومكتبة هلال، بيروت لبنان، ص 116.

⁶ - سعيد بنكراد: السيميائيات السردية، منشورات الزمن، 2001، ص 147

⁷ - أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1996، ص 315

الفصل الثاني: تلقي مصطلح التشاكل و أنساقه في الخطاب النقدي العربي الجديد

« المتشاكلات أو الثوابت في هذه النظرية (نظرية الأوضاع) هي الأفراد و الخصائص و العلائق و الأمكنة، نفس الأفراد تتكرر باستمرار في أمكنة مختلفة، تجمع هذه الأجزاء باستعمال نظرية المجموعات في أوضاع مجردة» ¹ .		المتشاكلات	عبد القادر الفاسي الفهري
« تكرر السمات السيميوطيقية التي تؤلف التحام النص» ² .		السمات السيميوطيقية المتماثلة	عابد خزندار
مسرد المصطلحات ³		قطب دلالي	سمير المرزوقي و جميل شاعر
« التشاكل باعتباره انسجاما دلاليا» ⁴ .		تشاكل	عبد القادر المهيري و حمادي صمود
المعجم ⁵		الإيزوتوبيا	أنور المرتجي

¹ - عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات و اللغة العربية، ص 229.

² - جيرالد برنس: المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003، ص 120.

³ - سمير المرزوقي و جميل شاعر: مدخل إلى نظية القصة تحليلا و تطبيقا، ص 226

⁴ - مجموعة من المؤلفين: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري و حمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، ص 322.

⁵ - أنور المرتجي: سيميائية النص الأدبي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1987، ص 40

الفصل الثاني: تلقي مصطلح التشاكل و أنساقه في الخطاب النقدي العربي الجديد

محمد عناني	التناظر الموضوعي أو التناظر الدلالي	معجم المصطلحات ¹
محمد ناصر العجمي	الوحدات الدلالية المتضامة	« يضاف إلى هذا أنّ التفاعل مع المربع العلامي سواء تعلّق الأمر بإسقاط وحدات الكفاءة عليه أو الوحدات الدلالية المتضامة (<i>Isotopie</i>) » ² .
أحمد الجوة	التشاكل	« التشاكل السيميائي بين البداية و النهاية» ³ .
عبد المجيد نوسي	التشاكل	« الإطار النظري لمفهوم التشاكل» ⁴ .
فيصل الأحمر	التشاكل	عنوان الفصل: التشاكل و التباين ⁵

¹ - محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، 1996، ص 47

² - محمد ناصر العجمي: موقع السيميائيات من مناهج البحث الغربي الحديث، مجلة سيميائيات، ع2، جامعة وهران الجزائر، خريف 2006، ص 28.

³ - أحمد الجوة: مشكلة القصيدة لنصوص العقيدة في "وادي النمل" لجمال الصليبي، مجلة سيميائيات، ع2، جامعة وهران الجزائر، خريف 2006، ص 164

⁴ - عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص 92

⁵ - فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 235

<p>« وهو مبدأ يسعى إلى الجمع بين الشيء وشكله وقد نسميه هنا مشاكلة»¹.</p> <p>« ومن هنا جاءنا هذا المبدأ الجديد مبدأ الجمع بين شدة الائتلاف وشدة الاختلاف»²</p>	الاختلاف	المشاكلة	عبد الله الغدامي
مسرد المصطلحات ³		المتجانسات الدلالية) النظائر (الدلالية)	خولة طالب الإبراهيمي

بتحليل الجدول السابق تظهر لنا النتائج الآتية:

أ: تردد المصطلحات المقابلة لـ «*Isotopie*»:

- التشاكل: تداوله الباحثون العرب بنسبة 44.44%
- التناظر و ما جاء بمعناه: تكرر بنسبة 29.62%
- إيزوتوبيا: وردت بنسبة 11.11%
- مقابلات أخرى: بنسبة 14.81%

هذه النسب المستخرجة تدل على الاختلاف الواضح في صناعة المصطلح اللساني العربي و الإجماع النسبي على مصطلح التشاكل، و من بعده النظائر، حيث يتداولهما باحثونا بنسبة ملحوظة في الدراسات اللسانية و السيميائية.

¹ - عبد الله محمد الغدامي: المشاكلة والاختلاف، قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في الشبيه المختلف، المركز الثقافي العربي بيروت لبنان، ط1 1994، ص: 19.

² - المرجع نفسه: ص: 18

³ - خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصة، ط2، 2006، ص140

ب: تردد المصطلحات المقابلة لـ « *Allotopie* »:

- التباين: تواتر بنسبة 85.71%

- اللاتشاكل: بنسبة 14.28%

و هو ما يؤكد الإجماع شبه الكلي على المقابل العربي "التباين" الذي يتردد كثيرا في الدراسات المعجمية و النقدية التراثية.

و من جهة أخرى تجدر الإشارة إلى أنّ نقل المصطلحين « *Isotopie, Allotopie* » يقتضي بالضرورة نقل المنظومة المصطلحية و المفاهيمية التي ينتمي إليها هذان المصطلحان. هذه المنظومة على سبيل المثال تتضمن المصطلحات الآتية:

« *Sème, Sémème, Lexème, Monème, Phonème, Morphème, Classème...* »

وفي ترجمة هذه المفاهيم يجد الباحث تباينا واختلافا كبيرين، إذ لا يهتدي إلى مضمونها ودلالاتها المشحونة فيها إلا بعد اطلاعه عليها في الثقافة التي ابتدعتها واصطنعتها كأدوات نقدية جديدة، هذا إذا قدر له الإحاطة بالأصول المعرفية و الاستمولوجية التي نمت وتطورت في ظلها. والجدول الآتي يوضح اختلاف الباحثين العرب في اختيار المقابل العربي المناسب لهذه المصطلحات:

المصطلح الأجنبي	المقابلات العربية
<i>Sème</i>	مقوّم - معنم - دليلة - سيم - معنيم...
<i>Sémème</i>	وحدة دلالية - معنم - سيميم - مفهوم - وسم...
<i>Lexème</i>	وحدة معجمية - لكسيم - مفردة - وحدة جذرية.
<i>Monème</i>	دليلة - وحدة دالة - مونام - كليمة - كلمة.
<i>Classème</i>	وحدة دلالية سياقية - قسيم - مصنف - كلاسيم.

فبأي مقابل عربي يتسلح الباحث بعد هذا الاختلاف، وقد تشبعت به السبل في ميدان البحث اللغوي المعاصر والممارسة النقدية الجديدة؟

ثانيا: التشاكل والتباين في التراث النقدي العربي:

يكاد يجمع جلّ الباحثين والنقاد العرب على أنّ المقابل العربي لمصطلح «**Isotopie, Allotopie**» هو "التشاكل والتباين"، و من بعد التشاكل "النظائر" بنسبة أقل. فما هي الأسس و المرجعيات التي استندوا إليها في اختيارهم هذا؟ وهل تحمل الألفاظ العربية التي تعج بها بعض المعاجم وكتب البلاغة و النقد القديم المضامين والدلالات والأنساق نفسها التي حملتها إلينا الألفاظ الوافدة؟ أم أنّ فيها بعض الخصائص والاستعدادات التي تؤهلها لأن تفجّر و تتركب مدلولات جديدة في إطار ما يسمى بالتطور الدلالي؟.

ستكون بداية الحفر في المعاجم والمؤلفات النقدية والبلاغية المشهورة والمتداولة، والتي هي عماد مكتبة كل باحث و مبتغى كل قاصد.

1- دلالة التشاكل والتباين في المعاجم العربية:

1.1 : التشاكل:

ليس من السهولة بمكان أن يهتدي الباحث إلى معنى (التشاكل أو المشاكلة) لكونهما مصدرين مزيدين من «شكل»، و لأنّ بعض المعاجم العربية لا تتعرض إلى المزيد إلا عرضاً أو بالقدر الذي يتم به تتبع جذور الكلمة العربية ومزاداتها المتداولة. كما أنّ الوقوف على دلالة المصدرين السابقين يتطلب تتبع معاني الجذر «شكل» وتنوعاته، ومن ثم الصبر على اقتناص المصدرين (التشاكل والمشاكلة) في عرض الكلام أو في آخره. و مع ذلك و بالاستعانة بتقنيات البحث الحاسوبي فإنّ التوسل إلى بعض المعاجم يسعفنا في الإحاطة بدلالة المطلوب.

ففي معجم مختار الصحاح لأبي بكر الرازي (ت 721 هـ) تعني المشاكلة: "الموافقة والتشاكل مثله"¹، غير أنّ هذه «الموافقة» لم تكن محددة المجال والاستعمال، بل وردت عامة مقتضبة لم تفارق دلالتها المعجمية. وفي لسان العرب نجد المدلوله ذاته¹.

¹ - الرازي أبو بكر عبد القادر: مختار الصحاح، تح: محمود خاطر، ج1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995، ص: 145.

أما الطائي الجياني (ت 672 هـ) في معجم الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة فيورد مترادفات عديدة للمشكلة، مما يدل على تنوع واتساع المدلول المعجمي لهذا الأخير ليشمل الدلالات الآتية:

" المشاكلة: شكله ومثله وقرنه ونظيره وشبهه وجدته وتره وصنوه وكفؤه وعديله وضريبه " ².

و في غريب الحديث يضرب الخطابي مثالا حسيا عن المشاكلة التي هي قرينة الملاءمة " و إنما يقال في باب المشاكلة و الملاءمة: هو كراس في جسد أو كف في ذراع أو نحوهما في الكلام " ³.

فالرأس والجسد متلائمان، والكف والذراع كذلك، ومفردات اللغة متلائمة على نسق المثال الحسي السابق في دلالتها على حقول ذات عناصر مشتركة تتضافر في أدائها لتحقيق أدنى دلالات ذلك الحقل.

إنّ الأمثلة السابقة تدل دلالة واضحة على أنّ اختيار الباحثين العرب المحدثين للتشاكل و المشاكلة في مواجهة المصطلح الأجنبي الوافد لم يكن اعتباطا، وإنما كان له ما يبرره في التراث العربي القديم. فالمفردتان العربيتان بما تحملان من شحنات دلالية أولية قابلتان للتطور والتميط لبناء جهاز مصطلحي عربي مؤسس في هذا المجال النقدي الجديد.

2.1: النظائر:

النظائر جمع نظير على وزن فعيل، من مادة (ن ظ ر). و التي تتردد في المعاجم العربية القديمة بمعنى المماثلة و المساواة، ففي معجم العين " نظير الشيء مثله " ⁴، و قد وردت فيه أيضا بمعنى المرادفة " اليمن نظير البركة " ⁵، أما ابن منظور (ت 711 هـ) فيجري النظائر على الكلام و الأشياء كلها " و جمع النظير نظراء و الأنثى نظيرة، و الجمع النظائر في الكلام و الأشياء كلّها " ⁶، أي التشابه الحسي

¹ - ابن منظور جمال الدين: لسان العرب، ج11، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1995، ص: 357

² - الطائي الجياني أبو عبد الله: الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، تح: محمد حسن عواد، ج1، دار الجيل، بيروت لبنان، ط1، ص: 241

³ - الخطابي أبو سليمان البستي: غريب الحديث، تح: عبد الكريم إبراهيم العزاوي، ج1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص: 287.

⁴ - التحليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، ج2، مادة (ن ظ ر)، دار و مكتبة الهلال، ص38

⁵ - المصدر نفسه، ج8، ص 387

⁶ - ابن منظور جمال الدين: لسان العرب، ج5، دار صادر بيروت لبنان، ط3، 1414 هـ، ص 219

الذي يكون في الأشكال و الأخلاق و الأفعال و الأقوال، و التشابه المجرد يكون في الأفكــــار و الكلام.

كما أنّ هذا اللفظ لا يخلو أيضا من دلالة دينية، ففي حديث ابن مسعود " لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم يقوم بها: عشرين سورة من المفصّل، يعني سور المفصّل سميت نظائر لاشتباه بعضها ببعض في الطول"¹.

و مع ذلك يفرّق أبو هلال العسكري (ت395هـ) بين المثل و النظير، فالمثلان " ما تكافأ في الذات، و النظير ما قابل نظيره في جنس أفعاله و هو متمكّن منها، كالنحوي نظير النحوي و إن لم يكن له مثل كلامه في النحو أو كتبه فيه، و لا يقال النحوي مثل النحوي، لأنّ التماثل يكون حقيقة في أخص الأوصاف و هو الذات"²، فلا يكون إذّا التناظر بمعنى التماثل، لأنّ التماثل لا يكون إلّا في الذوات، بحيث يقتصر على الجانب الحسي الملموس، بينما التناظر جنسي شكلي عام لا ينفذ إلى الذوات في شيء.

3.1 ثالثا: التباين:

لقد كان للتباين حظّ أقل من حظّ التشاكل في المعاجم العربية، فالبحث عنه يتطلب فحصا دقيقا وصبرا علميا لا يفتقر . ولعل من أبرز المعاجم التي تناولته بالرصف والتوصيف معجم المطلّع لأبي الفتح البعلي الحنبلي (ت 709 هـ)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (ت817 هـ)، ومعجم التوقيف على مهمات التعاريف لعبد الرؤوف المناوي وكذلك كتاب التعريفات للشريف الجرجاني (ت 826 هـ) . تختلف المعاجم السالفة الذكر في تحديد معنى « التباين » اختلافا يتراوح بين الدلالة المعجمية والدلالة المنطقية. ففي المطلّع على أبواب المقنع يقرر أبو الفتح البعلي قاعدة ألسنية هامة تقوم على أنّ "الأصل في الألفاظ التباين"³ وهي القاعدة نفسها التي بلغ بها دي سوسير مبلغ الريادة والاهتمام في البحث اللغوي المعاصر حين أثبت أنّ وحدات اللغة قائمة على الاختلاف فيما بينها

¹ - ابن منظور جمال الدين: لسان العرب، ج5، ص 219

² - أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، ج1، دار العلم و الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة مصر، ص 155.

³ - البعلي أبو الفتح: المطلّع على أبواب المقنع، تح: محمد بشير الأدلبي، ج1، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، 1981، ص: 271

وهذا الاختلاف هو الذي يعطي للعلامة قيمتها في مواجهة العلامات الأخرى المرصوفة معها في النظام.

لكن دي سوسير نظر إلى هذا التباين بمنهج لغوي حديث وبأدوات ألسنية جديدة على خلاف الإطلاق الذي وسم التباين التراثي بالجزئية والتحليلية.

أمّا التباين من جهة المنطق فهو أوضح وأبين عند عبد الرؤوف المناوي و في ذلك يقول: "التباين: ما إذا نسب أحد الشيئين إلى الآخر لم يصدق أحدهما على شيء مما صدق عليه الآخر، فإن لم يصدق على شيء أصلاً فبينهما تباين كلي كالإنسان والفرس ومرجعهما إلى سالتين كليتين، وإن صدقا في الجملة فبينهما تباين جزئي كالحيوان والأبيض وبينهما عموم من وجه مرجعهما إلى سالتين جزئيتين"¹.

فالتباين عند المناوي قائم على الاختلاف والتمايز بين جنسين أو نوعين لا يرتبطان بأي وجه من الوجوه، ومثال ذلك ثنائية (الإنسان والفرس) بينهما تباين كلي، إذ لا واحد من أفراد الجنس الأول هو فرد من أفراد الجنس الثاني. وهذا في عرف المنطقة يسمى بالتباين الكلي السلي. إن المدلولين السابقين للتباين على بساطتهما وإطلاقهما يوقضان الشعور إلى الالتفات لما وراء اللفظة من مقبولية وتطور وتحدد وفق مسار أكثر تخصصاً وتضييقاً في مجال الدراسات النقدية العربية الجديدة.

2 - دلالات التشاكل والتباين في الدراسات النقدية و البلاغية:

1.2: التشاكل:

اهتم كثير من النقاد والبلاغيين العرب القدامى بدرس التشاكل و المشاكلة اهتماماً روحانياً و بلاغياً و نقدياً.

ففي المجال الروحاني اعتبروه مع التباين الأساس الذي تبنى عليه العلاقات بين الأرواح البشرية في توافقها و تنافرها، فالتشاكل سر التمازج و الاتصال في العالم العلوي و السفلي، و سر التباين

¹ - المناوي محمد عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف، تح: محمد رضوان الداية، ج1، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ص:

و الانفصال راجع إلى انتفاء التشاكل و التناسب بين الخلائق، و في هذا يستطرد ابن القيم قائلاً :
" و على ذلك قام الخلق و الأمر فالمثل إلى مثله مائل، و إليه صائر، و الضد عن ضده هارب و عنه نافر، و قد قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾¹ فجعل سبحانه علّة سكون الرجل إلى امرأته كونها من جنسها و جوهره، فعلة السكون المذكور هو الحبّ، كونها منه فدلّ على أنّ العلة ليست بحسن الصورة، و لا الموافقة في القصود و الإرادة، و لا في الخلق و الهدى و إن كانت هذه أيضا من أسباب السكون و المحبة²، فالتشاكل جوهر متأصل في الإنسان ذاته، و في اتصاله مع غيره من البشر متى تحققت مقوّمات التوافق و التناسب، و تظهر درجته العظمى إلى حد التمازج في العلاقة التي أحلّها الله عز وجل بين المرأة و الرجل، لأن بينهما مقوّمات جامعة شديدة الترابط تتمثل في الجنس و الجوهر و الخلق و الهدى و هو ما ينتج عنه السكون المشار إليه في الآية الكريمة السابقة، و ليس غريبا بعد ذلك أن يث هذا الإنسان في الموجودات الانتظام و الاتساق و الانسجام.

و لم تخرج المشاكلة في الممارسات التراثية المنطقية عن معنى الموافقة و المشابهة، و قد وضع بعض النقاد العرب حدودا لهذه المشاكلة و فرّقوها عن غيرها من المصطلحات المنطقية الأخرى :

- المشاكلة تقتصر على الاتفاق الكيفي بين شيئين.

- المساواة هي الاتفاق الكمي بين شيئين.

- المماثلة تعتمد على الاتفاق النوعي.

- المضاهاة شعبة من المماثلة.

- الموازاة اتفاقهما في جميع المذكورات.

- المناسبة أعم من الجميع.

و حملها آخرون على الباب البلاغي مراعاة النظر، و جعلوها مبحثا بلاغيا.

أمّا في صناعة الكلام فالتشاكل يعتبر عماد كل تركيب لغوي، حيث أشرت في كل ممارسة لفظية. و من أمثلة ذلك ما أورده أبو الفتح ضياء الدين الموصلّي (ت 637 هـ) في كتابه «المثل السائر في أدب

¹ - الأعراف 189

² - ابن القيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، ج4، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27، 1994، ص 247

الكاتب والشاعر « في معرضه حديثه عن التأليف الأدبي في المقالة الأولى في الصناعة اللفظية: " اعلم أنه يحتاج صاحب هذه الصناعة في تأليفه إلى ثلاثة أشياء:

- الأول: منها اختيار الألفاظ المفردة وحكم ذلك اللآلئ المبدّدة، فإنّها تتخير وتنتقى قبل النظم.

- الثاني : نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها لئلا يجيء الكلام قلقتا نافرا عن موضوعه وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منها بأختها المشاكلة لها.

- الثالث : الغرض من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه، وحكم ذلك حكم الموضوع الذي يوضع فيه العقد المنظوم، فتارة يجعل إكليلا على الرأس، وتارة يجعل قلادة في العنق، وتارة يجعل شنفا في الأذن، ولكل موضع من هذه المواضع هيئة في الحسن تخصه.

فهذه ثلاثة أشياء لا بدّ للخطيب والشاعر من العناية بها، وهي الأصل المعتمد عليه في تأليف الكلام من النظم والنثر، فالأول والثاني من هذه الثلاثة المذكورة هما المراد بالفصاحة والثلاثة بجملتها هي المراد بالبلاغة"¹.

إنّ المشاكلة - وفقا للتحديد السابق- شرط أساس في انسجام النظم و تأليف الألفاظ المنتقاة حتى لا يعتري النظم قلق أو اضطراب أو انقطاع يجيد بالكلام عن غرضه الرئيس، ومثال المشاكلة في النظم مثال العقد المنظوم المحكم صناعته من تآلف وتزواج اللآلئ فيه حتى ليغدو عملا فنيا خالصا يسر الناظرين.

والمشاكلة في الدرس البلاغي القديم لم تخرج عن وجوه تحسين الكلام، حيث اقتضت على تكرار اللفظ بنفسه أو بوقوعه في صحبة مفردات حقله نائبا في الدلالة عن غيره، وما تحرّر في هذا المعنى ورد مكرّرا في الكثير من الكتب البلاغية العربية القديمة. ولعل آخرها تصنيفا وأقربها منا زمنا «شرح مواهب الفتح على تلخيص المفتاح» لابن يعقوب المغربي (ت1128 هـ). وفي المشاكلة يشرح قائلا: "وذلك النوع من البديع المعنوي المسمى بالمشاكلة هو : ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في

¹ - الموصلي أبو الفتح ضياء الدين:المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1995، ص: 149.

صحبته تحقيقا وتقديرا، أي ذكر المعنى ملتبسا في ذلك الذكر بالإتيان بلفظ غير ذلك المعنى... ولا يخفى أن تعلق الذكر بالمعنى كما هنا صحيح من باب نسبة ما للدال والمدلول، وخرج بقوله: بلفظ غيره الذكر المتعلق بالحقيقة، ودخل فيه جميع أنواع المجاز، لأنّ الذكر فيها واقع في معانيها في ألفاظ غيرها... وقوله: (لوقوعه في صحبة غيره) يتعلق بذكر، أي ذكره لأجل وقوعه... أو وقت وقوعه وذلك كما لو قيل: لك أسقيك ماء فقلت: بل اسقني طعاما، فقد ذكرت الإطعام بلفظ السقي لوقوعه في صحبة السقي، ومعنى الوقوع في صحبة الغير: أنّ ذلك الشيء وجد مصاحبا للغير، بمعنى أنّه ذكر هذا عند ذكر هذا كما في المثال، أو عند حضور معناه¹.

وهذا النوع من المشاكلة جزئي يتعلق بتركيب معين في بعض الخطابات، وهو أقرب إلى تشاكل التركيب البلاغي الذي انفرد محمد مفتاح بذكره مؤكدا على أهمية هذا الضرب خاصة في الخطاب الشعري الذي يعد مرتعا خصبا في ممارسة اللعب بالكلمات. ومثال هذا النوع من المشاكلة «اسقني طعاما» فالبرغم من أنّ الطعام لا يسقى إلا أنّه جاز ذلك للتزاحم والتلاؤم بين الطعام والسقي، فمتى ذكر الأول تداعى له الثاني، والتلازم بينهما دائم مستمر وما دام الأمر كذلك، فالنيابة ممكنة بسبب المشاكلة التي أساسها التداعي.

وقد أغفل بعض البلاغيين العرب القدامى هذا النوع من المحسنات المعنوية لعدم تثبتهم من حقيقتها وموضعها بين الحقيقة والمجاز، إذ يعتبرها قلة منهم أنّها ليست من الحقيقة ولا من المجاز وآخرون يدرجونها ضمن باب المجاز لوجود علاقة المجاورة الحاصلة بالصحبة الذكرية والتقديرية بين اللفظين اللذين ناب أحدهما عن الآخر في أداء المعنى. وتحقيق الأمر عند ابن يعقوب المغربي أنّ المشاكلة " ليست حقيقة ولا مجازا لأنّها مجرد ذكر المصاحب بلفظ غيره لاصطحابهما، ولو كان نحو هذا القدر يكفي في التجوز لصح التجوز في نحو قولنا: جاء زيد وعمرو بأن يقال: جاء زيد وزيد مرادا به عمرا، لوقوعه في صحبة الغير² .

¹ - المغربي ابن يعقوب: شرح مواهب الفتح على أبواب المفتاح، تح: عبد الحميد هنداوي، ج2، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط1، ص: 490، 491.

² - المصدر نفسه: ص: 492.

فالمشاكلة تقتضي العدول عن لفظ المعنى إلى لفظ غيره في مواضع يستساغ فيها ذلك والقصد منها تحسين المعنى المصاحب بالتعبير عنه مما يشاكل التعبير عن الآخر. والحاصل أنّ المشاكلة يمكن أن تكون مجازاً، إذا تم تقديرها كذلك، وإلا تكون مشاكلة توقيئية "وهذا مثل ما لو رأيت إنسانا يغرس شجرا وقلت لآخر: اغرس إلى الكرام كهذا، وتريد باغرس: اصنع المكروم إلى الكرام، وعبرت عن الصنع بالغرس، لمصاحبه للغرس الحاضر، ولو لم يذكر فكأنك قلت: هذا يغرس الأشجار فاغرس أنت الإحسان مثله، فإن قدرته مجازاً للتشبيه في رجاء النفع كان مجازاً للتشبيه... وإن لم تقدره كان مشاكلة محضة"¹. ومن ذلك يتوقف تحديد المشاكلة على تقدير المتلقي وتأويله محاولة منه في رصد مقصدية الخطاب. غير أنّ الأمر لا يبرح ملتبسا بين الحقيقة والمجاز ويفتح الخطاب على الاحتمال والتأويل.

وبعيدا عن هذا الالتباس يقدم لنا السجلماسي (ت 704 هـ) معالم واضحة الحدود عن المشاكلة من خلال مؤلفه «المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع» وفيه يقرر أنّ العملية الإبداعية تنطلق من النفس كمصدر للمعانة، ومن الفكر كمقوم للصناعة في تثبيت حدود العمل الفني من أجل تتبع الوقع في نفس القارئ المتلقي "فعن النفس تصدر الوحدة الفنية وإليها تعود لاستيعابها وتذوقها والتفاعل معها"².

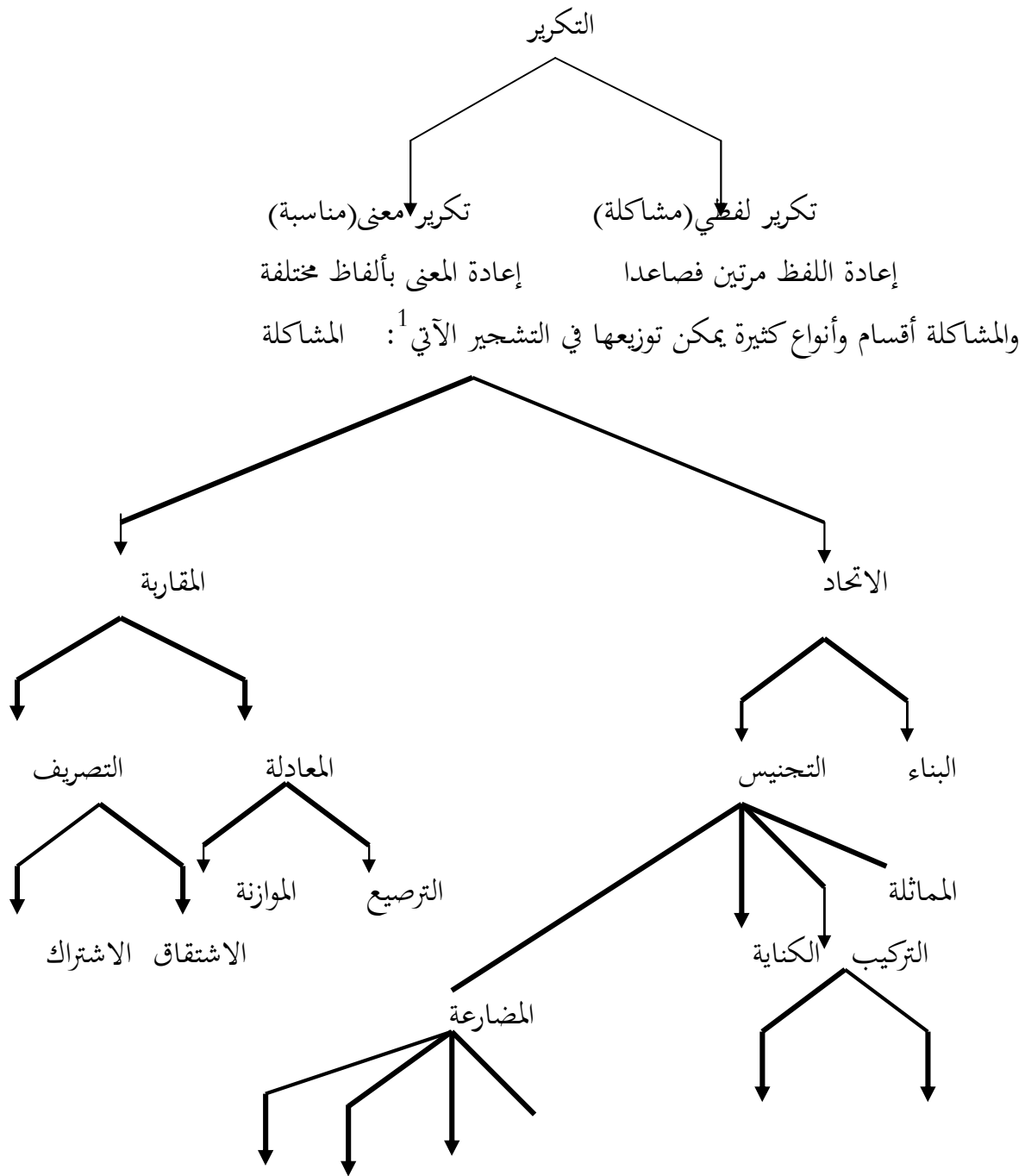
وعلى هذا النهج سار أكثر أدباء ونقاد المغرب العربي في بحوثهم ومصنفاتهم النقدية إذ لا تخلو حواشي بحوثهم من الاستعانة بما جادت به قريحة السجلماسي، وخاصة عندما يتعلق الأمر بأساليب البديع. والمشاكلة عند السجلماسي تختلف عن تلك التي أشار إليها ابن يعقوب المغربي، فهي في المنزح أكثر ارتباطا بألوان البديع منضوية تحت الجنس العاشر وهو «التكرار» الذي يعني: "إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو بالنوع في القول مرتين فصاعدا"³.

¹ - المغربي ابن يعقوب: شرح مواهب الفتح على أبواب المفتاح، ص: 497.

² - السجلماسي أبو القاسم: المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع، تح: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط المغرب، 1980، ص:

³ - المصدر نفسه: ص: 476.

والتكرير جنس عام يندرج ضمنه نوعان: التكرير اللفظي وهو الذي يصطلح عليه بالمشاكلة و التكرير المعنوي وهو ما يسمى بالمناسبة. ودرس المشاكلة طويل ممتد يحيط بأجزائه وحدوده المخطط الآتي:



¹ - السجلماسي: المنزغ البديع من ص 476 إلى ص 525.

التلفيق التغيير



زيادة أو نقص القلب السمع التصحيف

لقد مثل السجلماسي للأقسام السابقة - بعد النظر والكشف والتنظير - من آيات القرآن الكريم وأبيات متفرقة من الشعر العربي القديم، فتلك الأنواع تنضر ويقوى أدائها في هذين المجالين لا غير. و المشاكلة في حدودها لم تخرج عن التكرير اللفظي. فهي "إعادة اللفظ الواحد بعينه وبالعدد أو النوع مرتين فصاعدا"¹، وأمثلتها كثيرة متعددة تعدد أقسامها وأضرها، وما يلفت الانتباه ويستوقف المتعة والإحساس بالجمال فيها البدائع الآتية:

- قول الله تعالى: ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾² والمشاكلة فيها (أَنْكُمْ، أَنْكُمْ) فالثانية بناء على الأولى، وقد كررت للتذكير والتأكيد. "و إذكار به خشية تناسيه لطول العهد به في القول"³.

و مشاكلة البناء "بلاغة بدیعة وسبيل من البيان عجيبة تدل على قوة منة المتكلم في العبارة عن معانيه وتحفظه فيها بما يخل في القول بمبانيه... ويستغني عنه عند أمن محذور التناسي"⁴.

- قال أبو تمام:

يَمْدُونَ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبٍ⁵

المشاكلة في هذا البيت قائمة بين (عواص ، عواصم) و (قواض، قواضب)، وهذا النوع من المشاكلة يسمى تجنيس المضارعة الذي يتم فيه إعادة لفظين بمعنيين مختلفين بزيادة حروف أو نقصها أو قلبها أو تقاربها سمعا أو خطأ⁶.

- قال أبو الفتح السبتي:

¹ - السجلماسي: المنزع البديع، ص 476.

² - المؤمنون: الآية 35.

³ - المصدر السابق: ص 478.

⁴ - المصدر نفسه: ص 487.

⁵ - المصدر نفسه، ص 486.

⁶ - ينظر: المصدر نفسه، ص: 486.

عَارِضَاهُ بِمَا جَنَّتْ عَارِضَاهُ أَوْ دَعْنِي أُمَّتٌ بِمَا أُوْدَعَانِي.

وقال أيضا : لِقَاءُ أَكْثَرٍ مَنْ تَلَقَّاهُ أَوْزَارُ فَلَا تُبَالِ أَصَدُّوا عَنْكَ أَوْ زَارُوا
لَهُمْ لَدَيْكَ - إِذَا جَاؤُوكَ - أَوْ طَارَ فَإِنْ قَضَوْهَا تَنَحَّوْا عَنْكَ أَوْ طَارُوا¹
الآيات السابقة تتضمن مشاكلة بين الثنائيات:

[(أو + دعاني) ، أو دعاني]

[(أوزار) ، (أو + زاروا)]

[(أوطار) ، (أو + طاروا)]

وهذا النوع من المشاكلة يسميه السجلماسي تجنيس التركيب وهو واقع في قسم التلفيق الذي تكون فيه إحدى الكلمتين - وهي المركبة - تساوي الأخرى بمجرد التركيب فقط من غير زيادة و لا نقص بحسب موجب أحكام وضع اللسان². وفي حقيقة الأمر أنّ هذا التجانس واقع بين تركيبين لا كلمتين، ويمكن تمثيل التجانس الأول وفق ما يأتي:

- (أو + دعاني) ، (أودعاني).

(حرف عطف + فعل ماض مجرد + فاعل مستتر + نون الوقاية + ياء المتكلم مفعول به)
يتشاكل مع (فعل ماض مزيد + ألف الاثنين فاعل + نون الوقاية + ياء المتكلم مفعول به)
وهو ما اصطلح عليه محمد مفتاح بتشاكل التركيب النحوي، حيث نجد الكثير من المقولات المتشاكلة على مستوى هذين التركيبين وخاصه في الشعر.

- قال البحتري :

صَدَقَ الْعُرَابُ لَقَدْ رَأَيْتُ شُمُوسَهُمْ بِالْأَمْسِ تَعْرُبُ فِي جَوَانِبِ "عُرْبٍ"³

¹ - السجلماسي: المنزح البديع: ص 489.

² - ينظر المصدر نفسه: ص 490.

³ - المصدر نفسه: ص 506

لقد جمع الشاعر بين ثلاث كلمات متشاكلة في بيت واحد، وهي (الغراب، تغرب، غرب) وبينها اشتراك في المادة بعيدة في الاشتقاق. وهو ما يلقَّب بتجنيس المقاربة. وتبقى المشاكلة بتقسيماتها وضروبها عند السجلماسي مرتبطة أشد الارتباط بالمستوى الشكلي الجزئي للخطاب الذي ترتبط وحداته المعجمية والدلالية بالسيالة الصوتية والخطية التي تنعكس في نسيج الخطاب وهي بهذا تتجاوب مع الدرس التشاكلي الحديث، ولكن في شقه التعبيري مقتصرًا على التراكيب الجزئية في حالتها المفردة دون النظر إلى تفاعلها النصي.

وعلى مستوى المعنى لم يتناس السجلماسي دور التكرير في تجانس الخطاب وتلاؤم أجزائه ووحداته، ولكن تحت مصطلح قسيم للمشاكلة، وهو "المناسبة"، وفي ذلك يحرر قائلاً: "فإنما نريد بالمناسبة والتكرير المعنوي إيراد المعنى وما يليق به... تحت أربعة أنواع: الأول: إيراد الملائم و الثاني: إيراد النقيض و الثالث: الانجرار و الرابع: التناسب"¹.

التلاؤم والانجرار والتناسب مصطلحات بلاغية تدل على انتماء الألفاظ إلى حقل دلالي واحد تميز فيها العلاقات داخل هذا الحقل ما إذا كانت علاقة ارتباط أو تلازم أو تناسب. أما النقيض فيدل على اجتماع الأضداد وتجاورها في التركيب.

ومن صور المناسبة ذكر الشيء وشبيهه مثل (السرّج واللجام) ، (الشمس والقمر) ، أو الشيء وما يستعمل فيه مثل (القوس والسهم) ، (القلم والدواة). هذا على مستوى التراكيب الجزئية وقد تكون المناسبة أيضا مطلوبة على مستوى النص، ومثال ذلك ما نقله إلينا السجلماسي من حديث المتنبي(ت 354هـ) ومنتقديه في مجلس سيف الدولة (ت 356هـ) حين أنشد قصيدته الميمية المشهورة التي مطلعها:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ

"استحسنها الشعراء والعلماء والأدباء وجهابذة النقد الحاضرون بالمجلس: فقال أحدهم: إنَّها حسنة لولا أنّ فيها شيئاً. فال سيف الدولة: وما ذلك الشيء؟ قال إنَّه لما قال فيها:

¹- السجلماسي: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ص 518.

وَقَفَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكُّ لَوَاقِفٍ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلَمَى هَزِيمَةً وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَتَغْرُكُ بِاسْمِ

ولو ركب عجز البيت الأول على صدر الثاني، وعجز الثاني على صدر الأول لكان أحسن في صناعة الشعر وأليق بالمعنى و باللفظ، فكان يقول:

وَقَفَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكُّ لَوَاقِفٍ وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَتَغْرُكُ بِاسْمِ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلَمَى هَزِيمَةً كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ

انبهر الحاضرون لهذا التصويب، ووقع المتنبي في حرج كبير، غير أنه سرعان ما استنجد بقول امرئ القيس (ت 540م):

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلذِّدَةِ وَ لَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ
وَلَمْ أَسْبِ الرِّقَّ الرَّوِيِّ وَلَمْ أَقُلْ لِحَيْلِي: كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ

فقال المنتقد: وقد غلط امرؤ القيس، وجهل كما جهلت، فإنه كان الأولى أن لو قال:

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقُلْ لِحَيْلِي: كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ
وَلَمْ أَسْبِ الرِّقَّ الرَّوِيِّ لِلذِّدَةِ وَ لَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ¹

وكان المنتقد قد أسس نقده في الأبيات السابقة على ضرورة مراعاة تناسب وحدات البيت الأول من أجل بناء حقل دلالي واحد وهو "لذة ركوب الخيل" وفي هذا الحقل تتضافر الوحدات (الحرب الكر، الفر، الجواد، خيالي) لأجل إثمار دلالة الحقل. بينما في البيت الثاني يتأسس حقل دلالي ثان يتمثل في "اللذة" بشكل عام، ولكنه مرتبط بالحقل الأول. وفي هذا الحقل تتجاوز الوحدات (الشرب، اللذة، النساء) مؤسسة لذة من نوع آخر.

¹ - ينظر: السجلماسي، المنزع البديع، ص: 522.

ومع ذلك فإنّ المتنبّي لم يستسلم، فقد ألهم إليه الجواب وعثر عليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تَعْرَى وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَ لَا تَضْحَى﴾¹ حيث جمع بين (الجوع والعري) و (الظمأ و الضحو).

فقال سيف الدولة: "الله أكبر، هذه والله الحجة البالغة. صدق الله وهو أصدق القائلين"². وقد انتصر المتنبّي بذلك لامرئ القيس و لنفسه معللاً ومبيّناً التناسب الخفي بين المقومّات الدلالية والذي لم يدركه المنتقص والحاضرون فقال: "ولو قال امرؤ القيس كما قال المنتقد لسقط من الكلام فائدة كبيرة. فإنّ سبأ الزق معلوم أنّه إنّما يكون للذدة، وإنّما أراد أن يذكر هنا لذة ركوب الصيد، وكان على ما عزم يسقط هذا من الشعر... ومع ذلك فإنّ امرأ القيس لا يحمل أنّه يجهل مثل هذا، وهو القدوة في صناعة الشعر، وهو أشعر الشعراء، وإنّما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى، وهو الموت ليجانسه. ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً، أو عينه باكية، قلت: "ووجهك وضّاح وثرغك باسم" لأجمع بين الأضداد في المعنى، وإن لم يتسع اللفظ لجمعها"³.

ولقد سقت هذا المثال للتدليل على أنّ تراثنا العربي القديم غنيّ ثر لم يخل من الإرهاصات النقدية المتجددة التي كانت تنبئ بتأسيس نظرية نقدية عربية تنظر إلى الإبداع ككل متكامل بعدما سيطرت الأحكام النقدية الجزئية والتحليلية الذوقية ردحا من الزمن. غير أنّ هذه الإرهاصات لم يكتب لها الاكتمال والنضوج، ولم تتبلور معالم التنظير فيها بل كانت محاولات عرضية متقطعة مرتبطة بمناسبات معينة.

2.2: النظائر:

يحمل لفظ التنظير في الدرس النقدي والبلاغي القديم دلالتين، دلالة نحوية و دلالة بلاغية.

–الدلالة النحوية:

¹ - طه: الآية 118-119

² - السجلماسي: المنزح البديع: ص 523.

³ - المصدر نفسه ، ص 525

النظير: أن يكون للشيء نظير و مثيل في بابه، و عدم النظير أن لا يكون للشيء نظائر في بابه أي أنه منفرد لم يرد السماع به¹.

لقد اقترن لفظ النظير في النحو العربي بالنفي، أي عدم النظير، و أفرد له النحويون بابا خاصا سموه "باب في عدم النظير"، و في ذلك يقول ابن جني (ت392هـ) "أما إذا دلّ الدليل فإنه لا يجب إيجاد النظير و ذلك مذهب الكتاب فإنه حكى فيما جاء على (إبلا) وحدها و لم يمنع الحكم بها عنده أن لم يكن لها نظير لأنّ إيجاد النظير بعد قيام الدليل إنّما هو للأنس به لا للحاجة إليه. فأما إن لم يتم دليل فإنّك محتاج إلى إيجاد النظير ألا ترى إلى (عزويت)² لما لم يتم الدليل على أنّ واوه و تاءه أصلا احتجت إلى التعلل بالنظير فمنعت من أن يكون (فعويلا) لما لم تجد له نظيرا و حملته على (فعليت) لوجود النظير و هو عفريت و نفريت"³.

يؤكد ابن جني فيما سبق على أهمية الاستدلال بالنظير في بعض المسائل النحوية، فهو من أدلة النحو المتفرقة التي تحصر⁴، فالنظير يصحّ الحكم النحوي وعدمه ينفيه، و في حالة الافتقار إلى الدليل النحوي يحمل اللفظ على نظيره قياسا، كما في (عزويت) حيث لا دليل على أن تاءها و واوها زائدتان أو أصليتان، و نتيجة لذلك يختلف وزنها تبعا لأصالة حرفيها أو زيادتهما، فيحتمل أن تقاس على وزن (فعويل) أو (فعليت)، غير أنّ الوزن الأول لا نظير له في العربية بينما الوزن الثاني له نظير، فلذلك تحمل على نظيرها و هو (عفرت) أو (نفريت)، و تصاغ بذلك على وزن (فعليت).

و قد تعددت الأقوال في هذا الباب و تنوعت لإثبات هذا الجانب الاستدلالي في النحو، و من ذلك قولهم: "و أمّا إن لم يتم الدليل و لم يوجد النظير فإنك تحكم مع عدم النظير"⁵، و "إذا قام الدليل فلا عبرة بعدم النظير"⁶، "الحمل على ما له نظير أولى من الحمل على ما لا نظير له، ما لا

¹ - مناهج جامعة المدينة العالمية: أصول النحو، جامعة المدينة العالمية، ج1، ص 199

² - عزويت: قصير أو اسم موضع

³ - ابن جني: الخصائص، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، ص 198

⁴ - ينظر مناهج جامعة المدينة العالمية: أصول النحو، ج1، ص 199

⁵ - المرجع نفسه: ج1، ص 200

⁶ - ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، تح: إميل بديع يعقوب، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2001، ص 103

نظير له في العربية و لا يشهد له شاهد من العلل النحوية يكون فاسدا، الحمل على ما له نظير و إن قلّ و خرج عن القياس أولى من قول لا نظير له، إذا أدى القول إلى ما لا نظير له و يجب رفضه و اطراح الذهاب إليه"¹.

لم تخرج دلالة النظير في النحو عن دلالتها المعجمية، فالنظير ما كان له مشابه و مثيل، و لكن مشابهة مورفولوجية و شكلية، بحيث يأخذ حكمه و يتسم بخصائصه.

و من جهة أخرى قد يكون النظير التشابه بين الشيئين في الطريقة و العمل، مثل قولهم: " كما أنّ الجزم في الأفعال نظير الجر في الأسماء، و من ثمّ إذا حرّك المجزوم و الموقوف حرّك إلى الكسر"² أو التماثل في الصورة النحوية، و من ذلك" فإنّ نظير قولك مسلمون في جمع مسلم أن تقول في مسلم مسلمات"³، و قد يدل النظير على التماثل في المنزلة مثلما أورده ابن السراج (ت316هـ) " الضمة في جمع المؤنث نظيرة الواو في جمع المذكر"⁴، أو يدل على التماثل في الشكل " فدراهم نظير دريهم في التصغير، و دنانير نظير دينير فليس بين هذا الجمع و بين التصغير إلا ضمة الأول في التصغير و فتحة في الجمع، و أن ثالث التصغير ياء و ثالث هذا ألف"⁵.

-الدلالة البلاغية:

إنّ المتتبع للدراسات النقدية و البلاغية القديمة يجد اختلافا بينا بين المتقدمين و المتأخرين في تصنيف بعض الأبواب النقدية و البلاغية، و كذلك في التأسيس المصطلحي لبعض المباحث البلاغية، و ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى تطعيم المتأخرين منهجهم بالأوليات المنطقية، إذ نجدها حاضرة بكثافة لدى المتأخرين، و خير مثال على ذلك شرح مواهب الفتاح على تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي (ت1128)، و قد ورد فيه لفظ النظير مضافا إلى كلمة مراعاة، و المنزعة البديع في تجنيس أساليب البديع للسجلماسي، و فيه ورد اللفظ بصيغة المناظرة.

¹ - مناهج جامعة المدينة العالمية: اصول النحو، ج1، ص 200

² - محمد بن يزيد المبرد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظمة، ج1، عالم الكتب، بيروت لبنان، ص 6

³ - المصدر نفسه: ج1، ص 6

⁴ - ابن السراج: الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، ج1، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ص 47

⁵ - المصدر نفسه: ج2، ص 90

يعتبر مبحث " مراعاة النظر " من المحسنات المعنوية، و يسميه البلاغيون مسميات عدة، منها: التناسب، التوفيق، الائتلاف، التلفيق، و يرى كمال عبد الغني أنه من الإجحاف قصر مراعاة النظر على هذه المقابلات فقط، فمراعاة النظر باب واسع تنطوي تحته مباحث عديدة لعل أهمها: المؤاخاة و تشابه الأطراف، المجانسة و الائتلاف إلى غير ذلك من عناوين تفيد معنى الترابط و الانسجام¹. و في شرح مواهب الفتاح يعرّف ابن يعقوب المغربي مراعاة النظر بقوله: " جمع أمر و ما يناسبه"² أي أنّ النظر لا يقوم إلا على الجمع بين شيئين بينهما مناسبة في وجه من الوجوه، و لا يكون من هذا الباب الجمع بين شيئين متضادين فهذا يدخل في مبحث الطباق و المقابلة، و إنما يتم الجمع بين متآلفين بالتوافق في أحد الأمور الآتية:

- لصحبتهما في إدراك.
- لمناسبتهما في شكل.
- لتوقف بعض على بعض³.

بينما يقترح كمال عبد الغني التحديد الآتي: مراعاة النظر هو " حسن الملاءمة في الجمع بين الألفاظ و المعاني بما يحقّق الترابط و الانسجام"⁴، و هو تحديد مقتبس في معناه من تعريف ابن حجة الحموي (ت 837هـ) الذي يعتبر مراعاة النظر من وسائل جمع "الناظم أو الناثر أمرا و ما يناسبه مع إلغاء ذكر التضاد، لتخرج المطابقة، و سواء كانت المناسبة لفظا لمعنى أو لفظا للفظ أو معنى لمعنى إذ القصد جمع شيء إلى ما يناسبه أو ما يلائمه من أحد الوجوه"⁵، و مع ذلك فهو تحديد يضيف لتعريف ابن يعقوب المغربي عنصرين جديدين، و هو أنّ التناسب لا يشمل الألفاظ

¹ - ينظر كمال عبد الغني: مراعاة النظر في كلام الله العلي القدير، دراسة بلاغية في إعجاز الأسلوب القرني، دار الوفاء لدنيا الطباعة الأسكندرية، مصر، 2005، ص 7

² - ابن يعقوب المغربي: شرح مواهب الفتاح على تلخيص المفتاح، ج2، ص 482

³ - المصدر نفسه: ج2، ص 482

⁴ - المرجع السابق: ص 7

⁵ - ابن حجة الحموي: خزنة الأدب و غاية الأرب، تح: عصام شقيو، دار و مكتبة الهلال، دار البحار، ج1، بيروت لبنان، 2004، ص

فقط، بل يتعداها إلى المعاني، و أنّ الغاية من هذا التناسب و التآلف هو مراعاة الانسجام و الترابط في السياق التركيبي و الخطابي.

و بتعبير سيميائي نرد هذا التناسب إلى انتماء المتناظرين المتوافقين إلى حقل معجمي و دلالي واحد، بحيث يشتركان في كثير من المقومات الجوهرية و السياقية الجامعة بينهما في محور دلالي جامع و مثاله في القرآن الكريم كثير، و منه قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾¹، جمع الله عز و جل في الآية الكريمة السابقة بين أمرين و هما الشمس و القمر، لانتمائهما إلى حقل دلالي واحد و هو جريانهما "بحساب معلوم المقدار في قطعتهما للأبراج و الأدرج الفلكية لا يزيدان عليه و لا ينقصان"².

كما يمكن أن يتعدى ذلك التناظر الجمع بين لفظين إلى الجمع بين ثلاثة ألفاظ فأكثر، نحو قول البحثري في وصف الإبل المهازبل:

يَتَرَقَّرْنَ كَالسَّرَابِ وَ قَدْ خُضُّ
كَالْقِسِيِّ الْمِعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسْ—
نَ غَمَارًا مِّنَ السَّرَابِ الْجَارِي
هُم مَبْرِيَّةٌ بِلِ الْأَوْتَارِ—

جمع الشاعر في البيت الثاني بين ثلاثة ألفاظ متناسبة لتقارنهما في الخيال، و هي القسي (جمع قوس) و السهام و الأوتار، و كلها تنتمي لحقل دلالي واحد و هو آلة الحرب التي تتكوّن من هذه الأجزاء الثلاثة، و قد دفعه مراعاة النظير إلى اختيار هذه الأوصاف على المحور الاستبدالي، "لأنّه لما شبّه الإبل و أراد أن يكرّر كان يمكنه أن يشبّهما بالعراجين أو بنون الخط، لأنّ المعنى واحد في الانحناء و الرقة، و لكنّه قصد المناسبة بين الأسهم و الأوتار، لما تقدّم ذكر القسي"³. و لم يخف ابن حجة الحموي إعجابه بهذا التركيب الشعري، لأنّه إضافة إلى التناسب و التوافق بين الألفاظ و الأوصاف السابقة راعى كذلك التدرج و الانتقال المنطقي من الزيادة إلى النقصان، "فشبّهما أولاً في ضعفها بالقسي، ثمّ أضرب إلى تشبيهها بما هو أدق من القسي، و هي السهام، ثمّ أضرب إلى ما هو أدق

¹—الرحمن:5

²— ابن يعقوب المغربي: شرح مواهب الفتح على تلخيص المفتاح، ج2، ص 483

³— ابن حجة الحموي: خزنة الأدب و غاية الأرب، ج1، ص 293

من السهام و الوتر¹، غير أنّ ابن يعقوب المغربي لا يرى في ذلك تدرجا لأنّ "جلّ السهام أدق عادة من الوتر فلا يتمّ هذا الترتيب"²، و أمّا تخرّيج بعضهم: "أنّه شبّهها عند الانعطاف بالقسي و عند عدمه بالسهام، و عند اجتماعهما بالوتر لجمعه الطرفين المنعطفين من القوس"³ فهو - في تقدير ابن يعقوب المغربي- يجانب الصواب لأنّ "الإبل ليس لها في ذاتها امتداد كالسهام، و لا الجمع بين الامتداد و التعطف كما في هيئة الوتر مع القوس"⁴.
و يتوسّع كمال عبد الغني في هذا المبحث البلاغي ليقسّمه إلى ثمانية أوجه:

- الوجه الأول: المناسبة أو التناسب:

هذا الوجه هو من أهم الأسس التي يقوم عليها مراعاة النظير، و تتمثل في "مناسبة وضع الكلمة إلى جوار الكلمة في نظم متماسك، بحيث تتحدر فيه المعاني في رباط وثيق و بيان محكم"⁵، و هذا التعريف لا يخرج عن باقي التعاريف الأخرى التي تحدّد مراعاة النظير بصفة عامة.
و مثال المناسبة قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَ وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11) ﴾⁶.

يرى كمال عبد الغني أنّ في الآية مناسبة جلية بين الألفاظ (يتيما، ضالا، عائلا)، هذا من جهة و من جهة أخرى مناسبة بين المعاني " فاليتيم يناسبه الإيواء لما فيه من الضم و الرعاية"⁷، كما أنّ هناك تناسبا بين الآيات وفق ما يأتي:

فالآية ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ تتناسب مع الآية ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾

¹ - المصدر السابق: ج2، ص 483

² - ابن حجة الحموي: خزنة الأدب و غاية الأرب، ج2، ص 483

³ - المصدر نفسه: ج2، ص 483-484

⁴ - المصدر نفسه: ج2، ص 484

⁵ - كمال عبد الغني: مراعاة النظير في كلام الله العلي القدير، ص 45

⁶ - الضحى: من 6 إلى 11

⁷ - المرجع السابق: ص 45

و الآية ﴿ وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ تتناسب مع الآية ﴿ وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾
 أما الآية ﴿ وَ وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ فتتناسب في المعنى مع الآية ﴿ وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾¹
 - الوجه الثاني: المؤاخاة:

في تعريف هذا الوجه ينقل إلينا كمال عبد الغني تحديد ابن الأثير (ت630هـ) الذي يضمّ فيه المؤاخاة إلى معنى التناسب، و في ذلك يقول: " و مما يتصل بهذا الضرب ضرب من الكلام يسمى المؤاخاة بين المعاني و المؤاخاة بين المباني، و كان ينبغي أن نعقد له بابا منفردا، لكننا لما رأيناه ينظر إلى التقابل من وجه وصلناه به"²، و كما هو ظاهر من التعريف أنّ المؤاخاة لا تشمل الألفاظ و إنّما المعاني و المباني و هذا تختص به المؤاخاة دون الأوجه الأخرى، و نتيجة لذلك فإنّ المؤاخاة نوعان: مؤاخاة المعاني و مؤاخاة المباني.

- مؤاخاة المعاني:

و فيها يذكر المعنى مع أخيه لا مع الأجنبي عنه، حتى لا تشوب صناعة الكلام أي شائبة، و أغلب ما تكون المؤاخاة في الأوصاف و التشبيهات التي يعقدها الصانع، بحيث تتلاءم فيما بينها و تنسجم، و مثال عدم مراعاة المؤاخاة ما أورده ابن الأثير :

أَحْسَنُ مِنْ مَنزِلِ بَيْدِي قَارٍ مَنزِلُ حَمَارَةٍ وَ حَمَارٍ
 وَ شَمُّ رِيحَانَةٍ وَ نَرْجِسَةٍ أَحْسَنُ مِنْ أَيْنِقِ بِأَكْوَارٍ³

يعيب ابن الأثير على الشاعر التباين الملاحظ بين صدر و عجز البيت الثاني، إذ لا تناسب بين شمّ الريحان و الأينق الكوار، فكلّ منهما ينتمي لحقل مغاير تماما ، لأنّ شمّ الريحان - في نظر ابن الأثير - يناسبه شمّ الشيح و القيصوم، لا الأينق الكوار⁴، لأنّ شمّ الريحان تتأسس كطرف على محور الحواس من جهة و محور النبات من جهة أخرى.

¹ - كمال عبد الغني: مراعاة النظر في كلام الله العلي القدير، ص 46

² - ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج2، المكتبة العصرية للطباعة و النشر، بيروت لبنان، 1420هـ، ص 276

³ - الأكوار جمع كور و هو الرحل

⁴ - المصدر نفسه: ج2، ص 278

- مؤاخاة المباني:

و فيها يكون التناسب في المبنى أقرب و أوضح من غيره.
و مثاله عند ابن الأثير قول الشاعر أبي تمام (ت228هـ) في وصف الرياح:
مَثَقَّاتٌ سَلَبْنَ الْعُرْبَ سُمْرَهَا و الرُّومَ زُرْقَتَهَا و العَاشِقِ الْقَضْفَا¹

يرى ابن الأثير أن بيت أبي تمام فيه نظر، لأنه لم يراع في النظم أبنية الألفاظ في المتوالية التركيبية، فذكر العرب و الروم مع دلالتها على الجمع، و ثلث بذكر العاشق منفردا، و كان يجدر به أن يراعي مؤاخاة بناء الألفاظ فيجمع العاشق على عشاق حتى تستوي المناسبة البنائية بين الألفاظ، و كذلك الأمر بالنسبة للألفاظ (سمرتها، زرقتها، قضافا) تفتقر اللفظة الأخيرة إلى التوافق البنائي مع ما سبقها، و لو قال: قضاها لكان أحسن². و في منزلة البيت السابق من النقد ما قاله مسلم بن الوليد (ت823هـ):

نَفَضْتُ بِكَ الْأَخْلَاسُ نَفْضَ إِقَامَةٍ و اسْتَرْجَعْتُ نُرَاعَهَا الْأَمْصَارُ
فَأَذْهَبُ كَمَا ذَهَبَتْ عَوَادِي مُزْنَةً يُثْنِي عَلَيْهَا السَّهْلُ و الْأَوْعَارُ

فكان عليه أن يقرن السهل بالوعر، أو السهول بالأوعار، ليكون البناء اللفظي واحدا متناسبا " أن يكون اللفظان واردين على صيغة الجمع و الأفراد، و لا يكون أحدهما مجموعا و الآخر مفردا"³. غير أن ابن الأثير يتخذ للشاعرين عذرا، إذ ليس ذلك مما يعيب الشعر، و إنما هو منكر في النشر، فلا يليق بالناثر أن يجتنب المؤاخاة في نظم الألفاظ و اقترائها، و مع ذلك قد ورد في القرآن الكريم و هو أفصح من كل كلام ما يخالف قاعدة المؤاخاة بين المباني، مما يدل عدم اعتبار هذه القاعدة في التركيب اللغوي، و مما جاء في القرآن الكريم يدحض قاعدة المؤاخاة في المباني

¹ - البيت من قصيدة في مدح أبي الدلف القاسم بن عيسى العجلي، مثقفات: مقومات، قضافا: ضمور و نحافة، الرياح معدلات مقومات سمر كالعرب، زرق الأسنة كالروم، ضامرة كالعاشق.

² - ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، ج2، ص 279

³ - المصدر نفسه: ج2، ص 279

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ سَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ﴾¹.

- الوجه الثالث: الائتلاف:

يراد بهذا الوجه "مراعاة كون الشيء مع نظيره حتى تتحقق الملاءمة بين الألفاظ"²، و هو تعريف ينقله كمال عبد الغني عن السيوطي في كتاب الإتيان في علوم القرآن: الائتلاف هو "ائتلاف اللفظ مع اللفظ و ائتلافه في المعنى"³، و بذلك يتحقق الائتلاف من وجهين:

- ملاءمة الألفاظ للألفاظ، رعاية للتوالي في السياق و المناسبة المقامية.
- ملاءمة الألفاظ للمعنى و ملازمتها لها، "فإن فخما كانت ألفاظه فخمة، أو جزلا فجزلة، أو غريبا فغريبة، أو متداولاً فمتداولة"⁴، لتتبادل الألفاظ في الوضع و تناسب في النظم و منه قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾⁵، فيه تناسب و ائتلاف بين "أغرب أنواع القسم و هي التاء، فإنها أقل استعمالاً، و أبعد من أفهام العامة، بالنسبة إلى الباء أو الواو، و بأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء و تنصب الأخبار و هي (تفتأ)، فإنّ تزال أقرب إلى الأفهام و أكثر استعمالاً منها، و بأغرب ألفاظ الهلاك و هو الحرص، فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة، توخياً لحسن الجوار و رغبة في ائتلاف المعاني بالألفاظ"⁶.

- الوجه الرابع: حسن النسق:

¹ - النحل: 108

² - كمال عبد الغني: مراعاة النظر في كلام الله العلي القدير، ص 90

³ - المرجع نفسه، ص 90

⁴ - المرجع نفسه: ص 90

⁵ - يوسف: 85

⁶ - المرجع نفسه: ص 96

حسن النسق " أن تأتي بكلمات من النشر أو النظم متتاليات متعاقبات منسوقة بعضها على بعض بحرف العطف، كل كلمة إذا أفردت كانت تقوم بمعنى مفرد مستقل، و كل بيت إذا جرد من تلوه مستقل بمعناه، و لم يفتقر إلى غيره، و إن ضمّ إلى تلوه صاراً كأنهما بيت واحد"¹.
يركّز هذا التعريف على الوظيفة الاتساقية للملفوظات في التركيب اللغوي، غير أنه يحصرها في حروف العطف دون غيرها من أدوات الاتساق و الربط الأخرى و التي لا يغفل دورها الدلالي المتميز في إضفاء التنسيق و الانسجام بين المتواليات الجمالية و الخطابية.

و من أمثلة هذا الوجه قوله تعالى: ﴿ وَ قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَ يَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْمَاءِ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَ قِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾².
و فيها جاءت ملفوظات الخطاب متناسقة مترابط بواو العطف على الوجه الذي تقتضيه البلاغة العربية، لأنّ الله عز و جل بدأ بالأهم، و هو انكشاف اليابسة عنهم، و لا يتأتى ذلك إلا بذهاب الماء غورا في الأرض، فلذلك افتتح خطابه بأمر موجه إلى الأرض كي تبتلع ماءها، ثم إلى السماء لتقلع عن فعل الإمطار حتى لا يتأذى أهل السفينة حينما يطؤون اليابسة، ثم بعد الأمر جاء الإخبار عن الحال بانكشاف الغمة، و نفاذ أمر الله في عبادته، ليهلك من هلك على بينة، و لينجو من نجا بمشيئة الله و قدره³، و إضافة إلى ذلك يعتبر المفسرون هذه الآية أبلغ آية في القرآن، لأنّها "بلغت من أسرار الإعجاز غايتها، و حوت من بدائع الفوائد نهايتها، و جمعت من المحاسن اللفظية و المعنوية ما يضيق عنه نطاق البيان، و روي أنّ أعرابيا سمع هذه الآية فقال: هذا كلام القادرين لا يشبه كلام المخلوقين"⁴.

- الوجه الخامس: الانسجام:

¹-المرجع نفسه: ص 96

²- هود : الآية 44

³- ينظر كمال عبد الغني: كمال عبد الغني : مراعاة النظر في كلام الله العلي القدير، ص 97

⁴- محمد على الصابوني: صفوة التفاسير، ج2، دار الصابوني للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة مصر، ط1، 1997، ص15

يحدّد كمال عبد الغني الانسجام بقوله: " هو عذوبة تحدر الكلمات مع روعة المعاني و سهولة الأداء بحيث يكون هناك موسيقى داخلية تنتظم الألفاظ"¹

على الرّغم من أنّ الوجوه السابقة كلها يتوخى منها الانسجام و الاتساق، فإنّنا نجد كمالا عبد الغني قد أفرد لها مبحثا خاصا، قصره على المستوى الموسيقي للألفاظ دون غيره من المستويات الأخرى، و هو ما لا يتفق مع دلالة هذا اللفظ الذي يشمل جميع مستويات التركيب اللغوي شكلا و مضمونا، و من الأمثلة التي يسوقها للاستدلال على هذا الوجه ما كتبه إبراهيم بن العباس الصولي البغدادي (ت243هـ) إلى بعض البغاة الخارجين يتوعدهم:

" أمّا بعد فإنّ لأمير المؤمنين أناة فإن لم تغن عقّب بعدها وعيـدا، فإن لم يغن أغنت عزائمـه. و السلام"، و في تقديره هو كلام مع وجازته في غاية الإبداع لأنّه يتناص مع قول الشاعر:

أَنَاةٌ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَّبَ بَعْدَهَا وَعَيْدًا فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ

- الوجه السادس: تشابه الأطراف و مراعاة الفواصل:

تشابه الأطراف من البديع المعنوي يدخل تحت باب مراعاة النظر عند كثير من البلاغيين، و هو " أن يختم الكلام بما يناسب ابتداءه في المعنى"²، و ذلك بسبب كونه:

- علّة لما بدأ به.
- نتيجة لما بدأ به.
- دليلا عليه.
- متعالقا معه بوجه من الوجوه³.

و يعتبر مبحث تشابه الأطراف جزءا خاصا من باب مراعاة النظر، لأنّ هذا الأخير هو مطلق الجمع بين المتناسبين، بينما الأول يعتمد التناسب فيه على نوع العلاقة التي تكون بين أطراف الكلام

¹ - المرجع السابق: ص 102

² - ابن يعقوب المغربي: تلخيص المفتاح، ج2، ص 484

³ - ينظر المصدر نفسه: ج2، ص 484

(بدايته، وسطه، خواتمه)، و الكلام في التحديد السابق لا يقتصر على الجانب التركيبي فقط، و إنما يشمل الخطاب أيضا.

و من أمثلة هذا النوع من مراعاة النظير قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾¹، ففي الآية مناسبة بين أطرافها إذ:

- خاتمة الآية " اللطيف " تناسب بدايتها "لا تدركه الأبصار".
- خاتمة الآية " الخبير " تلائم بدايتها " و هو يدرك الأبصار".

و تعليل ذلك: أنّ من يدرك الشيء يكون خبيرا به، و الخبير من له علم بالمخفيات، و من جملة المخفيات الأبصار فيدركها. "و أمّا مناسبة اللطيف فلا تظهر إلا لو أريد باللطيف اللطيف العربي و هو أن يدق الشيء بحيث لا يظهر فيه فإنه يناسبه أنه لا يرى، لكن لا يراد ذلك هنا لاستحالاته و إنما المراد باللطيف: الرفيق الموصل الأنفاع بلطف و لطف، اللهم إلا أن يراد باللطيف لازمه تجوزا و هو كونه خفيا في ذاته أو أن يكون معنى المناسبة ما يكون باعتبار الأصل على وجه الإبهام"².

و إلى جانب تشابه الأطراف هناك مراعاة الفواصل، و هو من خصائص القرآن الكريم و بخاصة سور المفصل، حيث تأتي الآيات فيها قصيرة متوالية شديدة الإيجاز و الوقع، يصدر فيها المعنى بقليل اللفظ مع وضوحه بحيث يستغنى عن الدليل³، و أمثله في هذا الباب كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾⁴، و في قراءته تشعر بالانسجام الصوتي الذي ينبعث من تسكين الراء في كل فاصلة من فواصله.

-الوجه السابع: المشاكلة:

سبق الحديث عنها آنفا بالتفصيل، غير أنّ هناك من يفصلها عن مراعاة النظير و يجعلها مبحثا خاصا مستقلا، كابن يعقوب المغربي و السجلماسي.

¹ - الأنعام: الآية 103

² - ابن يعقوب المغربي: تلخيص المفتاح، ج2، ص 484-485

³ - ينظر كمال عبد الغني: مراعاة النظير في كلام الله العلي القدير، ص 115

⁴ - الكوثر: 1، 2، 3

-الوجه الثامن: اللف و النشر:

هذا المبحث أدخله الباحث كمال عبد الغني عنوة في باب مراعاة النظير مع ما بينهما من اختلاف، و قد أورده الكثير من البلاغيين مستقلا عن مراعاة النظير.

-المناظرة في كتاب المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع:

المناظرة عند السجلماسي " هي تركيب قول مركب من جزئين كل واحد منهما موافق للآخر في المادة و المثال، و كل جزء منهما يدل على معنى هو عند الآخر بحال ملائمة"¹، و هو تعريف مبني على أسس منطقية يتناسب مع التعريف الذي حدده و بينه سابقوه عن مراعاة النظير، بحيث تدخل المناظرة التركيب اللغوي في جزئي القول شكلا و مضمونا دالة على التلاؤم و التوافق، و هي على نوعين: تصدير و ترديد.

- النوع الأول:التصدير:

يقتصر على آخر الجزئين المأخوذين في القول مقصورا على خاتمة القول و عجزه و نهايته فقط أي أنه مخصوص بالأعجاز دون التضاعيف، و يقع هذا النوع من المناظرة في التراكيب كلها، شعرية كانت أو نثرية²، و من أمثله:

- ما وافق الجزء الأخير من القول الجزء الواقع في فاتحة القول و صدره، و من ذلك قول الشاعر الأقيشر الأسيدي(ت80هـ):

سَرِيْعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَشْتُمُّ عِرْضَهُ وَ لَيْسَ إِلَى دَاعِيِ النَّدَى بِسَرِيْعٍ

فكلمة " سريع" تكررت مرتين، في فاتحة صدر البيت و في عجزه.

¹ - السجلماسي: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، ص 404

² - ينظر المصدر نفسه، ص 406

- ما وافق الجزء الأخير من القول الجزء الواقع في نهاية النصف و القسيم الأول من القول و منه قول الشاعر:

يُلْقَى إِذَا مَا الْجَيْشُ كَانَ عَرْمَرَمًا فِي جَيْشٍ رَأَى - لَا يَقْلُ - عَرْمَرَم

في هذا البيت تكررت كلمة " عرمم " لتدل على التناسب و التوافق المعنوي الموجود بين الجزء الأخير من الصدر و نهاية العجز .

- ما وافق الجزء الأخير من القول بعض ما في أثناؤه و تضاعيفه، و منه قول جرير:

سَقَى الرَّمْلَ جَوْنٌ مُسْتَهْلٌ عَمَامُهُ و مَا ذَاكَ إِلَّا حُبٌّ مِّنْ حَلٍّ بِالرَّمْلِ¹

و تكرر الرمل في التركيب يضيفي على البيت توافقا و تناسبا بين جزئه الأخير و تضاعيف القول في العجز .

و هذا النوع من المناظرة سمّاه القدامى ردّ الأعجاز على الصدور، و قد قسمه من قبل ابن المعتز (ت 296هـ) إلى الأقسام الثلاثة السابقة، و أورد فيها الأمثلة نفسها، و مصطلح التصدير - في نظر ابن حجة الحموي - أخفّ على المستمع و أليق بالمقام من مصطلح ردّ الأعجاز على الصدور، لما فيه من خفة و سلاسة صوتية و اقتصاد لغوي².

- النوع الثاني: الترديد:

الترديد هو " أن يأتي الشاعر بلفظة معلقة بمعنى، ثم يردّها بعينها معلقة بمعنى آخر في البيت أو قسم منه"³، و مثاله عند السجلماسي قول زهير بن أبي سلمى (ت 627م):

مَنْ يَلْقَى - عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَ النَّدى حُلُقًا⁴

و الترديد في البيت السابق يلاحظ في تكرير الشاعر كلمة "يلق" مرتين في مفتتح الصدر و بداية العجز، و قد وردتا مجزومتين بأداة الشرط "من"، و لكن مع اختلاف تعلّقهما:

¹ - الجون: السحاب الأبيض أو الأسود

² - ابن حجة الحموي: خزنة الأدب و غاية الأرب، ج1، ص 255

³ - السجلماسي: المنزح البديع، ص 413

⁴ - على علاته: على قلة ماله

- يلق (في الصدر) متعلّقة بهم.
 - يلق (في العجز) متعلّقة بالسماحة
 و لا يدخل هذا في باب الجنس لأنّ الكلمتين متفقين لفظا و معنى، مع اختلاف ارتباطهما النحوي و الدلالي.

و قد استحسّن أهل الصناعة هذا النوع من المناظرة، و منهم المتنبّي الذي صال فيه و جال، غير أنّه قد تجاوز الحدّ في بعض أشعاره ، و من ذلك قوله:

فَقَلَّقْتُ بِأَهْمِّ الَّذِي قَلَّقَ الْحُشَا قَلَّاقِلْ عَيْشِ كُلُّهُنَّ قَلَّاقِلْ

لقد أفرط المتنبّي في بيته السابق في التردد حتى مقّته و زهد فيه، بحيث كرّر الجذر " قلقل " أربع مرات، مرتين في كل شطر، و كان باستطاعته أن يقتصد في ذلك، و يراعي المعنى على حساب التحسين اللفظي¹.

3.2: التباين:

لم نعر على الدلالة البلاغية للتباين – في حدود بحثنا- إلا عند السجلماسي، و قد ورد عنده بلفظ آخر و هو " المباينة"، على وزن المفاعلة التي تدل على اشتراك شيئين أو تقابلهما في أمر من الأمور.

المباينة عند السجلماسي " قول مركب من جزئين، كل جزء منهما هو عند الآخر بحال منافرية محفوظ الوضع غير متبدّلة"²، و يظهر من خلال التعريف أنّ التباين يكون بين لفظين في تركيب لغوي واحد بينهما علاقة تنافر، بحيث إذا فصل بينهما انتفت الصفة الجامعة المقتضية لتلك العلاقة.

و المباينة جنس متوسط يندرج تحته نوعان، المطابقة و المكافأة، فإذا كان " الجزءان قد أخذنا من جهتي وضعهما في جنس المنافري من الأمور و حمل أمر ما آخر عليهما فقط"³ فإنّ علاقتهما

¹ - السجلماسي: المنزع البديع، ص 413

² - المصدر نفسه: ص 369-370

³ - المصدر نفسه: ص 371

تقتضي المطابقة، و أما إذا " قد أخذنا لا من جهتي وضعهما في الجنس المنفري من الأمور و حمل أمر ما عليهما فقط لكن من جهة المدانة في منصب ما و قصد المقاومة¹ فإنّ علاقتهما تقتضي التكافؤ.

- النوع الأول: المطابقة:

يرسم السجلماسي حدود المطابقة حتى تتميز عمّا ذهب إليه بعض العلماء من اعتبار المطابقة جنس من المشاكلة و الموافقة، فالمطابقة من " طابق و مطابق: خالف و نافر و منافر"²، و على هذه الجهة نقل كثير من حذاق أهل العلم، و منهم الخليل بن أحمد (ت 170هـ) و الأصمعي (ت 216هـ) و عبد الله بن المعتز (ت 296هـ) اسم المطابقة على معنى المنافرة و المخالفة إلى هذا النوع من علم البديع، بينما قوم آخرون، و منهم قدامة بن جعفر (ت 337هـ) الكاتب يرون أنّ المطابقة اشتراك المعنيين في اللفظ الواحد بعينه، فيجمعهما اللفظ لا المعنى، و مثلوا على ذلك بقول الشاعر:

وَ أَقْطَعُ الْهُوَجَلَ مُسْتَأْنَسًا يَهْوَجِلُ عَيْرَانَةَ عَنَّا³س

فالهوجل الأول الأرض، بينما الثانية تدل على الناقة.

و يرى السجلماسي أنّ هؤلاء أخلطوا بين المطابقة و التجنيس، و ما استدلوا به لا يدخل في باب المطابقة، و إنّما هو جناس بين اللفظتين، لأنّ المطابقة هي تركيب القول من لفظين متضادين⁴، و هو ما أكّده ابن سينا (ت 427هـ) في كتابه " الشفاء" بقوله " المطابقة هي جمعك بين الضدين في كلام أو بيت شعر"⁵، و مقارنة مع مقولات المنطق تصبح المطابقة رديفة التقابل في المنطق. و من الأمثلة التي يسوقها السجلماسي للاستدلال على هذا النوع قوله تعالى:

¹ - المصدر نفسه: ص 371

² - المصدر نفسه: ص 371

³ - عيرانة: الناقة الصلبة، عنتريس: الناقة الغليظة

⁴ - السجلماسي: المنزع البديع، ص 375

⁵ - المصدر نفسه: ص 375

﴿ وَ مَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ (19) وَ لَا الظُّلْمَاتُ وَ لَا النُّورُ (20) وَ لَا الظُّلُّ وَ لَا الْحُرُورُ (21) وَ مَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَ لَا الْأَمْوَاتُ ﴾¹

في الآية السابقة ثلاثة تراكيب كل منها تشتمل على جزءين، كل جزء منهما هو عند الآخر بحال منافرية:

" و ما يستوي الأعمى و البصير " الأعمى ركب مع البصير، لإظهار نعمة الإيمان التي هي في مقام الإبصار مع ما يقع منافرا لها، بحيث يكتسب كل من اللفظين دلالة في علاقته مع الآخر في التركيب اللغوي الذي ضربه الله مثلا للمؤمن و الكافر، أي " كما لا يتساوى الأعمى مع البصير فكذلك لا يتساوى المؤمن المستنير بنور القرآن و الكافر الذي يتخبط في الظلام"²

" و لا الظلمات و لا النور " ركب النور مع الظلمات في علاقة تحديدية جامعة، لإظهار نعمة الإيمان التي هي بمقام النور في مقابل الكفر الذي هو في مقام الكفر.

" و لا الظل و لا الحرور " و كذلك الظل هنا في حال منافرية مع الحرور، و كل من الجزئين من خلال علاقتهما التركيبية يكتسبان دلالة من الآخر في البنية اللغوية التي ضمتها، أي " لا يستوي الحق و الباطل و الهدى و الضلال كما لا يستوي الظل الظليل مع شدة حرّ الشمس المتوهجة. قال المفسرون: ضرب الله الظل مثلا للجنة و ظلّها الظليل و أشجارها اليانعة تجري من تحت الأنهار، كما جعل الحرور مثلا للنار و سعيرها و شدة أوارها و حرّها و جعل الجنة مستقرا للأبرار و النار مستقرا للفجار"³.

" و ما يستوي الأحياء و لا الأموات " و هو مثل لعدم استواء العقلاء و الجهلاء، و فيه تأكيد للتركيب السابقة.

" قال أبو حيان (ت414هـ): و ترتيب هذه الأشياء في بيان عدم الاستواء جاء في غاية الفصاحة، فقد ذكر الأعمى و البصير مثلا للمؤمن و الكافر، فذكر ما عليه الكافر من ظلمة الكفر و ما عليه المؤمن من نور الإيمان، ثم ذكر مآلهما و هو الظل و الحرور، فالمؤمن بإيمانه في ظل و راحة،

¹ - فاطر: الآيات من 19 إلى 21

² - محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج2، ص 525

³ - المرجع نفسه: ج2، ص 525

و الكافر بكفره في حر و تعب ثم ذكر مثلا آخر على أبلغ وجه و هو الحي و الميت، فالأعمى قد يكون في بعض النفع بخلاف الميت، و جمع الظلمات لأن طرق الكفر متعددة، و أفرد النور لأن التوحيد و الحق واحد لا يتعدّد، و قدّم الأشرف في المثليين الأخيرين، و هما (الظل و الحي) و قدّم الأوضح في المثليين الأولين، و هما (الأعمى و الظلمات) ليظهر الفرق جليا¹. و هذه الآية هي أبلغ مثال على المطابقة.

و مثال المطابقة في الشعر كثير، و منه قول الشاعر كثير:

فَوَاللَّهِ مَا قَارَيْتُ إِلَّا تَبَاعَدْتُ بِصُرْمٍ وَ لَا أَكْثَرْتُ إِلَّا أَقَلَّتْ

و التباين واضح في البيت السابق بين:

(قاريت، باعدت)

(أكثرت، أقلت)

و يرى السجلماسي أنّ إيراد مطابقات كثيرة في البيت الواحد دليل على فرط المقدرة و التبريز و من أبداع ما ضعفت فيه المطابقة، و جاءت العبارة الدالة عليها في أحسن ترتيب و أبداع تركيب قول أبي الطيب المتنبي (من البسيط):

أَزْوَرُهُمْ وَ سَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَ أَنَّثِي وَ بَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي

يطابق المتنبي بين أربعة أمور:

(أزروهم ، أنثني)

(سواد الليل، بياض الصبح)

(يشفع، يغري)

(لي، بي)

و قد أثار هذا البيت جدالا كبيرا بين البلاغيين و أهل الصنعة حول المصدر الذي استقى منه المتنبي معنى و لفظ هذا البيت، و قد نقل لنا الثعالبي (ت429هـ) ثلاثة احتمالات " إمّا أن يكون

¹ - المرجع نفسه: ج2، ص 525

ألمّ بهذا المصراع فحسّنه و زيّنه، و صار أولى به، و إمّا أن يكون قد عثر بالموضع الذي عثر به ابن المعتز فأرى عليه في جودة الأخذ، و إمّا أن يكون قد اخترع المعنى و ابتدعه و تفرّد به¹، و يرى الثعالبي أنّ أرجحهم هو الاحتمال الثالث، و في ذلك يضيف " فلله دره و ناهيك بشرف لفظه و براعة نسجه ، و ما أحسن ما جمع فيه أربع مطابقات في بيت واحد و ما أراه سبق إلى مثلها"².

النوع الثاني: المكافأة:

التكافؤ هو " قول مرّكب من جزئين، كل جزء منهما يدل على معنى هو عند الآخر بحال منافرية و قد أخذنا لا من جهتي وضعهما في الجنس المنفري من الأمور، و حمل أمر ما آخر و صفة ما أخرى عليهما فقط، لكن من وجهة المداناة في منصب ما و قصد المقاومة"³.
يحدد السجلماسي في التعريف السابق الواجهة التي تتم من خلالها المباينة بين لفظين، فالمباينة هنا على سبيل التكافؤ تعني المداناة و المقاومة بين لفظين في علاقة تركيبية ضامة، ينتج عنها تجاذب تنافري في الدلالة الكلية للتركيب. غير أنّ هناك من يرى أنّ التكافؤ في كتب اللغة يعني المماثلة و المساواة فكيف يستعمل هنا للمباينة و المنافرة؟ و مع ذلك يدافع السجلماسي عن اختياره الاصطلاحي: " إنّما نعني بالمكافأة و تكافؤ الجزئين: المقاومة في أمر ما من الأمور و المداناة في منصب ما من المناصب و التدافع في حال من الأحوال و المغالبة، و هذا إنّما يكون حيث يوجد المعنيان متضادين، و بالجملة متقابلين، و ذلك كما ننزل مثلا في صناعة أخرى أنّ السقمونيا⁴ مكافئة للصفراء، و شحم الحنظل مكافئ للبلغم، خاصة أو قوة فهما مأخوذان بهذه النسبة ضدين من قبل أنّ شفاء الضد - كما قيل - في الضد"⁵.

¹ - أبو منصور الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: مفيد محمد قمحية، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1،

1983، ص 171

² - المصدر نفسه: ج1، ص 171

³ - السجلماسي: المنزغ البديع، ص 381

⁴ - السقمونيا: نبات ملتحف من جنس العليق مادته طيبة

⁵ - المصدر نفسه: ص 382

فالمتكافئان ليسا متساويين بالضرورة، و إنما متواجهان على محور مشترك في وضعيات متقابلة لا يصلح معنى الأول إلا بمقابلته و مقاومته للثاني، و قد استدل السجلماسي على ذلك بأمثلة حسية من ميدان التداوي بالأعشاب، فالصفراء مكافئة للسقمونيا و شحم الحنظل مكافئ للبلغم مكافأة تقابل و تضاد، و لا يتفاعل الثاني إلا مع الأول.

و مثال هذا النوع عند السجلماسي قول المنصور¹ " لَا تَخْرُجُوا مِنْ عِزِّ الطَّاعَةِ إِلَى ذُلِّ الْمَعْصِيَةِ"² و الشاهد في المثال هو التكافؤ بين جزئي القول (عز الطاعة، ذل المعصية)، فكلّ جزء منهما يدل على معنى هو عند الآخر بحال منافرية، غير أنّ بعض البلاغيين المحدثين يدرج معنى التكافؤ تحت مصطلح المقابلة مثلما عليه كتب البلاغة الحديثة، و غيرهم من البلاغيين القدامى يدرجه في باب التطبيق مثلما هو الحال عند أسامة بن منقذ (ت 584هـ) " فالتطبيق هو أن تكون الكلمة ضد الأخرى"³.

نتيجة البحث التراثي:

لعلّ المتابع لتردد مصطلحات " التشاكل و التناظر و التباين" و دلالتها في التراث النقدي و البلاغي القديم يجد أنّ هذه الألفاظ العربية بإمكانها أن تحمل في طياتها بذور التجديد الدلالي بشحنها بالدلالات المستجدة التي حملها إلينا مصطلحا (*Isotopie, Allotopie*)، و يبدو أنّ مصطلح النظير أوسع من التشاكل تقبلا لهذه الشحنة، لأنّ الكثير من البلاغيين العرب القدامى يدرج التشاكل ضمن مراعاة النظير، و يعدّه بابا من أبوابه، كما أنّ دلالاته العلمية قريبة من الدلالة اللسانية و السيميائية.

إنّ بؤادر التفكير في التجديد النقدي العربي اهتدى إليه النقاد و البلاغيون العرب بدءا من العصر العباسي، ولكنّ محاولاتهم كانت فردية متفرقة فرضتها البيئة وانفتاح الثقافة العربية الإسلامية على

¹ - المنصور: أحمد المنصور الخليفة العباسي (136هـ/754م - 158هـ/775م)

² - المصدر نفسه: ص 385

³ - أسامة بن منقذ: البدیع في نقد الشعر، تح: أحمد أحمد بدوي حامد عبد المجيد، ج1، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي الإمارات العربية المتحدة، ص38

علوم وآداب الأمم الأخرى، كما أنّ هذه الأبحاث والمحاولات لم تتخذ شكل العلم الذي يفسّر ويوضّح ويعلّل ضمن منهج وأدوات علمية واضحة. فالتشاكل والتباين إجراءان سيميائيان جديدان، ظهرتا في إطار تفكير ومنهج حدائثي انفتح هو بدوره على علوم أخرى واستفاد من أدواتها وإجراءاتها في البحث والفحص والكشف وطريقة الوصول إلى النتائج. والمفهومان من حيث الأسس والغاية ومجال الاشتغال لهما خيوط تترابط وتتواصل مع التراث النقدي العربي القديم، وتتقاطع معه في كثير المفاهيم والأسس والغايات.

" إنّ التجديد يتم دائما على أساس قديم، والتجديد عملية تنتظم في تراث، وبما أنّ هذا الفكر له ماض، فهو مختزن فينا كبنية عقلية لا مشعور بها، وكتراث. إنّ هذا الفكر مختزن فينا بكيفية لاشعورية وبكيفية شعورية أيضا فلا يمكن تحديثه إلا من داخله، أي من داخل التراث نفسه"¹. وفي كيفية تحديث التراث والاستفادة منه يضيف الجابري: "هذا يتطلب بطبيعة الحال لا استرجاع التراث استرجاعا مرآويا، بل إعادة بناء التراث، و ترتيب العلاقة بين أجزائه وإعادة قراءته بالشكل الذي يجعله ماضيا له نمتلكه بدلا من أن نمتلكنا، وفي ذات الوقت أساسا للنهضة، أي لاستشرافات مستقبلية"².

وهذا ما يبرّر عودة النقاد والباحثين المحدثين العرب إلى التراث والتنقيب فيه من أجل تجديد المفاهيم والمصطلحات والإجراءات في مجابهة تماويل الثقافة الغربية ومناهجها وما تحمله في أرحامها من أنساق ثقافية واجتماعية وإيديولوجية.

¹ - الجابري محمد عابد: في حوار أجراه معه جهاد فاضل، مجلة الجيل، العدد 6 ، جوان 1986، بيروت لبنان، ص 90.

² - المرجع نفسه: ص 90.

الفصل الثالث

الممارسة النقدية العربية للتشاكل في الخطاب الشعري

أولاً: نموذج محمد مفتاح

1- تعريف التشاكل

2- مستويات التشاكل

1.2- تشاكل التعبير

2.2- تشاكل الرسالة

ثانياً: نموذج عبد الملك مرتاض

1- ماهية التشاكل

2- التشاكل و التراث العربي

3- تعريف التشاكل

4- أسس التشاكل

5- إجراء التشاكل

6- أنواع التشاكل

ثالثاً: حدود العلاقة بين النموذجين

1- التشاكل و التباين و إشكالية التأصيل

2- تأسيس مفهوم التشاكل و المصطلحات المرتبطة به

3- تعريف التشاكل و روافد التحديد لدى الناقدين

توطئة:

نقتصر في هذا الفصل على ممارستين نقديتين بارزتين في المشهد النقدي العربي، من خلال نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح، ذلك لأنهما يشكّلان وجهين رائدين متفردين في الممارسة النقدية العربية عامة و المغاربية خاصة، حيث لقيت مشاريعهما النقدية اهتماما كبيرا داخل وطنيهما و خارجهما، سواء على مستوى التنظير أو التطبيق، وما الدراسات التي تناولت متونهما النقدية بالحوارة والدراسة إلا دليل على هذه الشهرة الواسعة و الصوت المسموع..

أولا : نموذج محمد مفتاح

1- تعريف التشاكل :

لم يصغ محمد مفتاح تعريفا شاملا جامعاً مانعاً للتشاكل إلا بعد اطلاعه على التعريفات التي أسس لها الباحثون الغربيون وسبقوا غيرهم إلى إحاطة هذا المفهوم بتصوير لا يكاد ينفك عن خلفيات فلسفية و إبستمية لهؤلاء النقاد .

يُميّز محمد مفتاح بين نوعين من التعاريف: تعريف ضيق و تعريف موسّع. التعريف الضيق رغم أنّهم النقد التي جرّحته إلا أنّه كان دوماً منطلق كل باحث يروم التنظير لهذا المصطلح الوليد.

فغريّما هو الذي ضيق من هذا المفهوم من خلال التعريف الذي اقترحه كإسهام أولي في تععيد هذا المصطلح في حقله الجديد، غير أنّ تعريفه هذا حام من حوله النقاد، و بينوا قصوره ومحدوديته، ولعل جماعة (M) هي أول من تعرضت له بالنقد من خلال إجراء مقارنة بينه و بين راستي .

لقد استفاد محمد مفتاح من النقود التي وجهتها الجماعة لغريّماس إذ نلّفي النقود نفسها لدى محمد مفتاح في معرض تعليقه على تعريف التشاكل، ولكن بنظرة عربية حديثة مطعّمة بتفكير علمي جديد.

يرى محمد مفتاح أنّ كل تعريفات غريّماس للتشاكل فيها قصور و تخصيص، لأنّ هذا الأخير قصر التشاكل على جانب واحد وهو تشاكل المعنى الذي عبّر عنه "بالمقولات المعنوية" التي

يقصد بها المقومّات الأساسية، كما أن التعريف اقتصر على تركيب لغوي واحد وهو الحكاية على الرغم من أنّ التشاكل ملاصق لكل أشكال التعبير الإنساني¹.

و سرعان ما سار النقاد بتعريف غريماس من بعده إلى رحاب أوسع فوسّعوه و أثروه ومن هذه المحاولات يثمن محمد مفتاح محاولة راستي التي سبقت الإشارة إليها في الفصل الأول.

أما جماعة (M) - في تصور محمد مفتاح - فقد سارت على خطى راستي، واقترحت التعريف الآتي: " التشاكل تكرر مقنن لوحداث الدال نفسها، صوتية أو كتابية، أو تكرر لنفس البنيات التركيبية على مدى امتداد قول"².

في التعريف السابق توسيع وتنويع وتقسيم يشمل كافة أنواع الخطاب (العلمي، الفلسفي السياسي) كما أنّ هناك تشاكلا تعبيريا إضافيا خاصا بالشعر يتعلق بتكرار الأصوات بأنواعها والإيقاع والوزن والتبر.

يلاحظ محمد مفتاح أنّ الجماعة قد وجدت في تعريفها السابق مسلكا بينا في انتقاد غريماس الذي رأت أنّه أبعد في تعريفه للتشاكل - صراحة - عنصرا جوهريا وهو التعبير، بالإضافة إلى أنّ الاهتمام بالجانب المعنوي للتشاكل قد جاء في اتجاه واحد، لأنّه أخذ في الاعتبار القواعد المعنوية دون القواعد التركيبية المنطقية .

وبناءً على انتقاداتها لغريماس و راستي استخلصت الجماعة شرطين كافيين لوجود التشاكل هما:
" - التراكم المعنوي لرفع إبهام القول .

- صحة القواعد التركيبية المنطقية"³.

ومنهما صاغت تعريفا جديدا للتشاكل: "خاصة مجموعات محددة من وحدات الدلالة المؤلفة من تكرر لمقومّات متماثلة ومن غياب مقومّات مبعدة في موقع تركيبّي تحديدي"⁴.

¹ - ينظر : محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري ، ص: 20.

² - المرجع نفسه: ص 21.

³ - المرجع نفسه، ص: 23.

⁴ - المرجع نفسه: ص 24.

ورغم هذا التوسيع و التنويع فإنّ التعريف يحتاج إلى نظر وتمحيص لأنّ شمولية التعريف و وساعته تتجاوز الخطاب الأدبي لتشمل كل خطاب علمي وما شاكلة .

إنّ الشرطين السابقين اللذين افترضتهما الجماعة لتحقيق التشاكل يصلحان لأنواع الخطاب التي تعبر بلغة علمية دقيقة، و في تصور محمد مفتاح أنّ الخطاب الشعري و الأسطوري و الإعلاني يتمرد كل التمرد على قبول الشرطين السابقين " لأنّ الشاعر ومن يسير في نهجه يجمع بين المتناقضين و في ذلك الجمع غرابة هي سر قبول الشعر و التلذذ به"¹، ففي تعريف الجماعة تناقض ظاهر، إذ كيف يخضع الخطاب الشعري للقواعد التركيبية المنطقية، وهو لا يأبى إلاّ خرق العادات اللغوية المتوارثة؟ و مع ذلك فإنّ هذا الخرق يجب ألاّ تستهجنه الطبائع السليمة و ألاّ يفرط في الغرابة، بل يكون خاضعا لمبدأ الانسجام، أي يجب أن ينسجم مع الحقل المعنوي و الثقافي الخاص بكلّ أمة.

بعد مناقشة التعاريف الغربية السابقة، و إظهار مواطن الخلل و القصور ومواطن التميّز و التجديد يقترح الناقد تعريفا دقيقا و مؤسعا للتشاكل يغطي ظواهر أخرى خارجة عن النص المحلل بعدما جعلت التعاريف السابقة الخطاب منغلقا على نفسه .

فالتشاكل عند مفتاح هو " تنمية لنواة معنوية سليبا أو إيجابيا بإركام قسري أو اختياري لعناصر صوتية و معجمية و تركيبية و معنوية و تداولية ضمانا لانسجام الرسالة"².

و تبدو الملامح النظرية التي جاءت بها جماعة (μ) واضحة في تعريف محمد مفتاح، فقد أكد على الجانب المعنوي للخطاب الذي لا يمكنه أن يكتمل أو يتضافر في تحقيق الإبلاغ و حصول الدلالة إلاّ من خلال العناصر الشكلية المتمثلة في مستويات التعبير (أصوات + معجم + تركيب). كما أنّ مفتاحا قد أضاف عناصر جديدة من خلال تعريفه المقترح. هذه العناصر تتمثل في الجانب التداولي للخطاب الذي أهمله سابقوه، و هو أمر مهم لا يمكن إغفاله إذ من الضروري الاهتمام بعلاقة المتكلم بالمخاطب في استعماله اللغة في سياق يضمن نجاح عملية التواصل واستمرارها. و العنصر الثاني أيضا ذو أهمية كبيرة إذ يمثل العنوان الفرعي الذي يحمله كتاب تحليل

¹ - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري ، ص: 23.

² - المرجع نفسه، ص: 24.

الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص). إنه التناص الذي لا يخلو منه أي نص، و النص مهما كان ليس إلا إركاما و تكرارا لنواة معنوية موجودة من قبل.

فإذا كان النص السابق يتضمن المقومّات: [أ+] ، [ب+] ، [ج+] فإنّ النص اللاحق الناسج على منواله يتكوّن من المقومّات [أ+] ، [ب+] ، [ص+] ، أو على: [أ+] ، [ص+] ، [ك+]¹. فالاشتراك بين النصوص في المقومّات أمر ضروري لضمان انسجام الخطاب اللاحق مع السابق.

2- مستويات التشاكل :

إنّ المفاهيم الجديدة التي تبنتها الدراسة اللسانية (المدال و المدلول، المهيمن و اللامهيمن، اللعب اللغوي) جعلتنا لا نهمّل بعض القضايا التي كانت تبدو بسيطة ولا دلالة لها سوى الحشو و التكرار، كالتشاكل الصوتي وتراكم وتكرار الكلمات، بل نبهتنا إلى مدلول هذا التشاكل ومقصدية الشاعر في اختيار الأوزان الطويلة و القصيرة، كما جعلتنا نقرأ الجمل و التراكيب باهتمام و تأن وروية بعدما كنا نقرأها ببرودة أو ندير ظهورنا عنها، و من ذلك تبرز قيمة الدراسة التشاكلية.

ففيما تمثل أهمية هذه الدراسة ؟ وما مدى فعاليتها في تتبع خيوط انسجام الخطاب و ترابطه؟ وما هي المستويات التي يشتغل عليها هذا المفهوم ؟

يشتغل التشاكل - عند محمد مفتاح - على محورين بارزين هما : تشاكل المحتوى و تشاكل التعبير و هذا الأخير يأخذ حظّ الأسد من التنظير و التطبيق لأنّه هو الكفيل بتميز الخطاب الشعري عن الخطاب السردي و بقية الخطابات الأخرى، بل ربما يكون هو الشعر ذاته الذي لا يعلم ولا يتعلم.

1.2- تشاكل التعبير :

له مستويات محددة بدءا بالتشاكل الصوتي وصولا عند التشاكل التركيبي .

تشاكل التعبير ← تشاكل صوتي + تشاكل معجمي + تشاكل تركيب.

¹- ينظر محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص: 25.

أ- التشاكل الصوتي :

يرتبط هذا النوع من التشاكل بالقيمة التعبيرية للصوت، إذ لا قيمة لهذا التشاكل عند من ينكرون رمزية الصوت . وبين من يثبت ومن ينكر خلاف كبير و اتجاهات تستعصي على الضبط و التحديد في هذا الفرع الضيق. ومع ذلك يشير محمد مفتاح إلى بعض النظريات و المدارس مزوجا بين التراث النقدي العربي و الدراسات اللغوية الحديثة .

ففي الثقافة العربية يميّز مفتاح بين اتجاهين بارزين :

- اتجاه ابن جني القائل بالقيمة الذاتية للصوت.
- اتجاه البطليوسي(ت521هـ) الذي يرى بأنّ القيمة التعبيرية للصوت قياس غير مطرد منتقدا بذلك ما دعا إليه ابن جني معتبرا تلك الجهود عناءً لا طائل منها¹.
- و بالنسبة للتيارات الحديثة يجمل الناقد القول فيها في نقاط ثلاثة :
- الاتجاه القائل بالقيمة التعبيرية للصوت، و أشهرهم (كرامون).
- الاتجاه الرافض لرمزية الصوت، ومنهم (ديلبويل *Delumbwel*).
- أصحاب الموقف الوسط، و أشهرهم (مولينو و تامين *Jean Molino, Joëlle Tamine*).

و بين هذا وذاك يتخذ محمد مفتاح لنفسه موقفا وسطا يرى فيه " أنّ للأصوات قيمةً تعبيريةً أحيانا تأتيها من خصائصها الفيزيائية و الأكوستكية و من التداعيات بالمشاهدة، مثل تشبيه شيء بشيء، كمحاكاة بعض الأصوات الشفوية الاحتكاكية (ب م) لصوت الريح ... وتشكل صورة

¹- ينظر محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري، ص: 34.

²- المرجع نفسه، ص: 35 .

دائرة أو زاوية أثناء التلفظ ،كالإشمام...¹، غير أنّ هذه الدراسات - في نظره - تبقى ذوقية تختلف من باحث لآخر ومن ثقافة لأخرى.

و يحاول مفتاح أن يضع بعض الشروط و القوانين التي تساعد على تأويل رمزية الصوت الذي لا يجب أن يخرج عن :

- التراكم الصوتي (تراكم أصوات معينة أكثر من غيرها في نص شعري معين) .

- مؤشرات مواكبة (نحوية و صرفية و تداولية) .

- سياق ملائم خاص وعام² .

إنّ إثبات القيمة التعبيرية للصوت يعني إثبات التشاكل الذي يتضافر مع المستويات العليا لتحقيق مقصدية الشاعر.

ب- تشاكل الكلمات :

التراكم الصوتي داخل النص الشعري مرتبط بتكرير عدة كلمات بالأصوات نفسها، و منه يرتبط التشاكل الصوتي بتشاكل الكلمة .

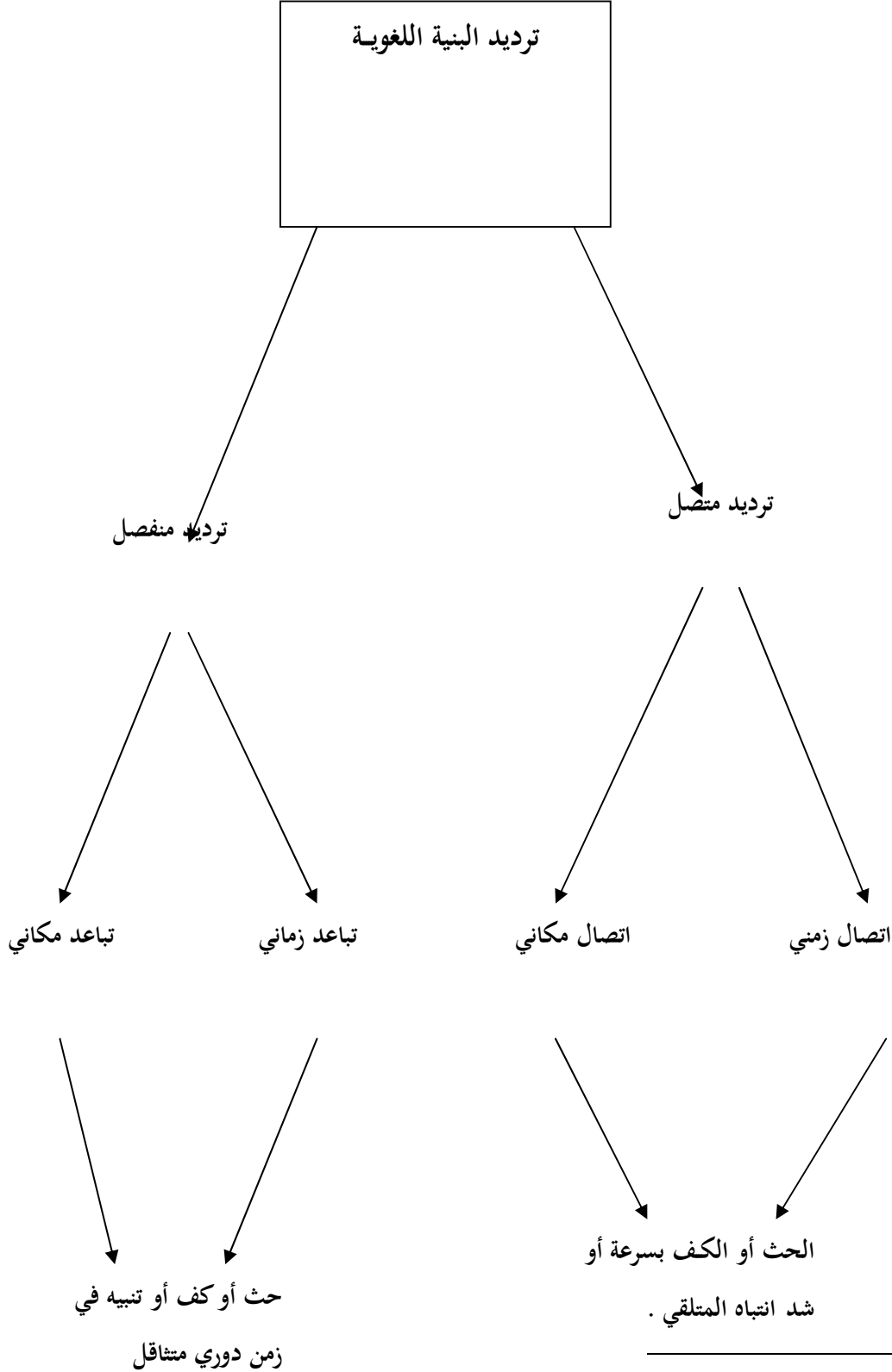
يؤكد محمد مفتاح أنّ اللغويين العرب القدماء اهتموا بظاهرة تكرار الكلمات بالأصوات نفسها و أفردوا لها دراسات خاصة بالتصنيف و المقارنة و التمثيل و من أشهر ما ورد في هذا الكتاب "التجنيس" و أنواعه المختلفة.

وهذه الأصول كلها مستقاة من بحوث ابن جني الذي وجد الناقد في مؤلفاته معينا لا ينضب وهي مؤلفات يراها محمد مفتاح أنّها أقرب إلى الدراسات اللغوية و الشعرية و إلى روح الدراسات المعاصرة فهي تتفق مع كثير من المؤلفات النقدية المعاصرة.

وانطلاقا من الدراسات السابقة يصوغ محمد مفتاح فرضية هامة هي المدار الذي بني عليه التشاكل عنده : " فكلما تقاربت أصوات الكلمات تقاربت معانيها و من ثم التفكير في إمكان الجمع بينها، و إذا صح ذلك على مستوى الكلمة فإنّه يصدق على مستوى التجربة الشعرية التي

²- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص: 36.

تكون مهيمنة على الشاعر الذي يخرج تعابيره متشابهة تلفظاً أو كتابة وبناء على ذلك: كلما تشابهت البنية اللغوية فإنها تمثل بنية نفسية متشابهة منسجمة تهدف إلى تبليغ الرسالة عن طريق التكرار و الإعادة¹. ويمكن اختصار الفرضية في المخطط الآتي :



¹ - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص: 39.

- مثال التشاكل الصوتي : يختار الناقد بيتا من قصيدة ابن عبدون (ت659هـ) الرائية :

الدَّهْرُ يَفْحَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثْرِ فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَ الصُّورِ

يلاحظ مفتاح في هذا البيت تشاكل مجموعة من الأصوات التي تنتمي إلى حيز واحد وهو حيزّ الحلق .

حيزّ الحلق (أ،ه،ع،ح) ← يدل على معنى الحزن و الزجر. "و تتابع العين يوحى بالنعنة التي تفيد الاستمرار و الترتيب و الانتقال من درجة إلى درجة ويدل تتابع الهمزة على التألم والرثاء ..."¹

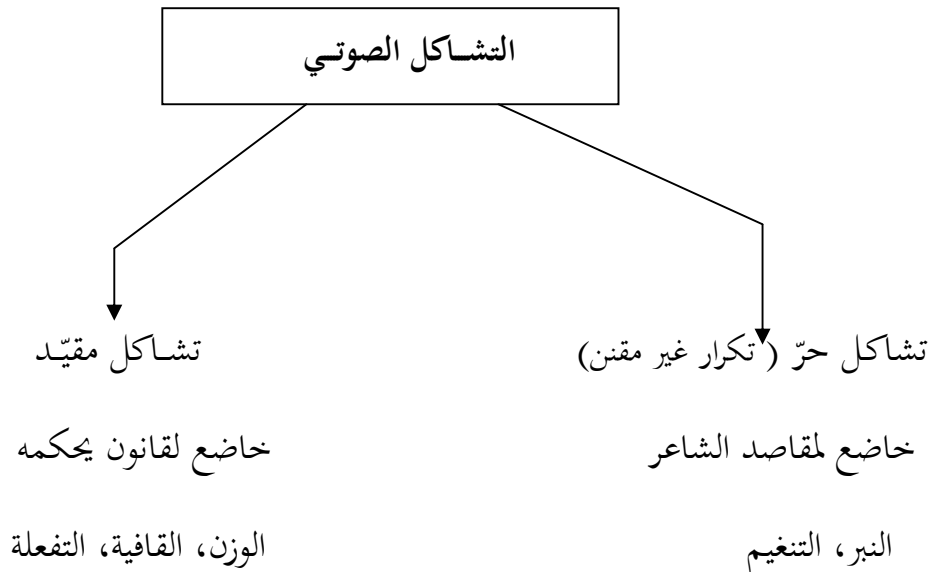
[يفجع - بعد العين] ← استمرار و ترتيب و انتقال .

[الأثر - البكاء - الأشباح] ← التألم و الرثاء.

يُسجل تشاكل الكلمات الآتية لتشاكل أصواتها :

[يفجع - بعد - العين - الأثر - البكاء - الأشباح] ← حالة نفسية مضطربة، تألم ورثاء.

و في هذا المجال يفرّق محمد مفتاح بين نوعين من التشاكل : التشاكل الصوتي الحر و التشاكل الصوتي المقيد .



¹ - محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري ، ص : 125.

إنّ دراسة التراكم الصوتي لا يحقق أي فائدة مرجوة إلا إذا تجلّى في تركيب. و العناصر السابقة تتداخل فيما بينها بكيفيات مختلفة في التحليل التشاكلي للنص الشعري .

ت- التشاكل المعجمي :

لرصد الترددات داخل أي معجم يتمسك مفتاح بالطريقة الإحصائية التي تتبع بعض التكرارات و التراكمات و تقبض على المحاور التي يدور عليها النص الشعري بما يضمن انسجام النص مع نفسه، ومع النصوص التي ينتمي إلى جنسها. وهذا الأمر قاد الناقد إلى التساؤل عن الكيفية التي يتولّف بها المعجم، و الآليات الأساسية التي تحكمه.

إنّ الآليات الأساسية التي تحكم توليف المعجم - في نظر محمد مفتاح - تتلخص في العناصر الآتية:¹

- عن طريق العموم و الخصوص : و فيه تدخل كلمة مع كلمات آخر في علاقة عموم و خصوص. فالدهر لفظ عام تنضوي تحته ألفاظ متعددة مثل : الليل، الأيام ...

- عن طريق الترابط المقيّد أو الحر : وهو نوعان :

ترابط تركيبّي : الأثر يدعو العين تقييدا .

ترابط إبدالي : و يتم بواسطة التقابل: الليل/النهار- يمن/مضر.

- التعبير بالجزء عن الكل أو السبب عن المسبب :

يتمثل فيما يسميه الباحثون بالمجاز المرسل .

لكن هذه الآليات إذا تمت بمعزل عن السياق قد تصير تحصيل حاصل. و لتجنب الخطأ الذي يمكن أن تقع فيه الدراسات اللغوية للمعجم لا بد و أن تكون هذه الدراسات داخل التركيب جنبا إلى جنب مع باقي المكونات التركيبية.

¹- ينظر محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري ، ص: 61.

- بنية المعجم الشعري :

يحدد محمد مفتاح خصائص الكلمات التي يحيا بها المعجم الشعري و يتميز بها عن غيره من أنواع الخطاب، و يحملها في ثلاثة أنواع:

1. **الألفاظ العتيقة :** وهي ألفاظ ذات إحياءات خاصة ترجع لعهود سحيقة كأن يتداول الشاعر العباسي مثلاً بعض ألفاظ الجاهلية.

2. **استعمال بعض الألفاظ المستحدثة :** و هي ألفاظ مستعارة من ميادين معرفية أخرى كمصطلحات الفلاسفة و الفقهاء، أو من لغات أجنبية " مما يحدث تداخلاً في المستويات المعجمية و ينتج عنه عدة معان فرعية عرضية متعددة تقرأ قراءات متشاكلة بحسب نوع المعجم"¹.

3. استعمال أسماء الأعلام :

اهتم الناقد في هذا البحث بدلالة أسماء الأعلام بين القصديّة والاعتباطية ليخلص إلى نظريتين مختلفتين :

- التيار الوضعي : اللسانيون و الوصفيون و المناطقة يقللون من درجة الإحياء القصدي للألفاظ .

- التيار الرمزي : الانتروبولوجيون و الشعريون و الرمزيون و الشكلايون يتبنون قصديّة أسماء الأعلام عن طريق الاشتقاق و يعتبرونها وسيلة لنقل العلامات اللغوية من الاعتباطية إلى القصديّة فتصبح ذات قيمة رمزية.

استفاد محمد مفتاح من الدراسات السابقة ليصل إلى نوعين من الاشتقاق:

- اشتقاق عالم : موجود في الدراسات اللسانية و العقلانية و المعاجم .

- اشتقاق شعبي : يشمل أسماء أعلام الأشخاص و الأمكنة و أسماء الصالحين.

¹- محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري ، ص : 63.

و هو التقسيم نفسه الذي يعثر عليه الباحث في التراث العربي القديم، فالعالم عند كل من ابن جني و الأصمعي وابن دريد، و الشعبي عند القصاص ورواة الأخبار¹.

- مثال التشاكل المعجمي :

يتجاوز الناقد علاقة " الصوت بالمعنى " في البيت السابق إلى " المعجم " الذي استقاه الشاعر من مدونة الغرض. لقد تحكم في حضور كلماته مبدأ التداعي بالمقارنة :

- العين ← تدعو " الأثر "

- الأشباح ← تدعو " الصور "

هذا التجميع بين الكلمات ساهمت فيه ذاكرة المتلقي التي تعرفت على هذه العناصر من خلال المبدأ السابق.

ث - التشاكل التركيبي :

يبرز كثير من النقاد و الباحثين اللغويين بين نوعين من التراكيب : تركيب نحوي و تركيب بلاغي، ومن خلالهما يمكن رصد تشاكل التركيب النحوي و تشاكل التركيب البلاغي.

فتشاكل التركيب النحوي يقتصر على " وصف للتراكيب اللغوية بذكر الآليات التي تجعلها تنمو و تتطور، و تأويل لزمانها ومكانها"²، بينما التشاكل التركيبي البلاغي يفضي إلى دراسة معاني التراكيب اللغوية.

هذا التقسيم لتسهيل الدراسة فقط، لأنه لا توجد حدود فاصلة بين التركيب النحوي و التركيب البلاغي و الدلالة و التداول في الخطاب الشعري الذي تتداخل فيه كل هذه المستويات. فالتراكيب فيه " ليست جامدة، و إنما تؤدي جزءاً من معنى القصيدة وجماليتها"³.

¹- ينظر محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري ، ص 67

²- المرجع نفسه: ص 79.

³- المرجع نفسه: ص 70.

● تشاكل التركيب النحوي :

كل خطاب شعري يتشكل بحسب الأحوال النفسية التي تحيط بالمقام النفسي العام، و القصيدة التي اختارها محمد مفتاح مناط تطبيقاته تتشكل وفقا لذلك، فالقصيدة بكاملها " تتمظهر فيها ثلاث لحظات أساسية، كل لحظة يغلب عليها طابع معين من الصياغة ظاهريا تتحكم في جميعها ثوابت و متغيرات"¹.

- التباين : قد يكون التباين واضحا بارزا "حيثما يكون صراع وتوتر بين طرفين أو أطراف متعددة"² وقد يتخفى و يتأبى أكثر مما يتجلى، وما على الناقد إلا تجهيز العدة لهتك الحجب و القبض عليه في تموجاته و تحولاته.

وقصيدة ابن عبدون الرائية تبدو من الطراز الأول الذي يتجلى في أغلب تراكيبيها عنصر الصراع و التوتر المتمظهر في :

الخبر / الإنشاء - الجملة الاسمية / الجملة الفعلية

الخطاب / الغيبة - الإثبات / النفي

النهي / الأمر - الشيء / مقابله

- التشاكل: يشمل تشاكل التركيب النحوي العناصر الآتية :

تشاكل زمني، تشاكل النفي، تشاكل مكاني، تشاكل الضمائر و غيرها من المتشاكلات النحوية الأخرى .

قد يكون هذا التشاكل ظاهرا على مستوى بيت أو على مستوى مقطوعة شعرية أو قصيدة كاملة.

¹- محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري ، ص: 71.

²- المرجع نفسه، ص: 71.

- مثال تشاكل التركيب النحوي¹: (من قصيدة ابن عبدون)

وَمَا أَقَالَتْ ذَوِي الْهَيَّاتِ مِنْ يَمَنٍ وَلَا أَجَارَتْ ذَوِي الْغَايَاتِ مِنْ مُضَرَ

يرصد محمد مفتاح من البيت السابق التشاكلات الآتية :

التركيب الأول ← وما أقالت ذوي الهيآت من يمن.

يتشاكل مع التركيب الثاني ← ولا أجارت ذوي الغايات من مضر.

في العناصر الآتية :

- تشاكل النفي : (ما - لا).

- تشاكل الفعل : (أقالت - أجارت).

- تشاكل مطابق : (ذوي - ذوي).

- تشاكل صرفي : (الهيآت - الغايات).

- تشاكل صرفي و علمي : (يمن - مضر).

- التشاكلات السابقة لم تحضر اعتباطاً، و إنما جمّعت لتحليل على الدلالة التي سكت عنها الشاعر و أضمّرها في ثنايا القصيدة، وهي دلالة التكرار و الإلحاح و الدوران من حيث الفعل النحوي و دلالة الانسياب و الانهمار الذي لا يحصره حاصر، و الاكتساح الذي لا يعرقله أي شيء على مستوى الفعل الاجتماعي².

• تشاكل التركيب البلاغي :

لم يعن محمد مفتاح في هذا الفرع بمبحث التشاكل في التركيب البلاغي، و إنما تناول بعض الظواهر البلاغية التي لا يخلو منها أي تركيب و بخاصة الخطاب الشعري، و لكنه أشار إلى التشاكل و التباين متى استدعى المقام ذكرهما دون أفراد مبحث خاص لهما.

¹- ينظر محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري ، ص 72.

²- ينظر المرجع نفسه: ص 72.

الاستعارة و الكناية و المجاز من الظواهر البلاغية التي سيطرت على التفكير البلاغي للناقد و غيره من الباحثين. وكانت الاستعارة في المقام الأول من حيث التقصي و الفحص و البحث لاقح فيها الباحث بين التفكير البلاغي العربي القديم و الدراسات اللغوية و البلاغية الغربية الحديثة.

1 - الاستعارة :

عالج مفتاح الاستعارة على ضوء الاتجاه الذي تتعدد نظرياته و تنوع وفقا للآفاق النظرية في منهج تناول و المبدأ الذي يحكم كل نظرية، و مع ذلك كان هذا التنوع إثراء و غنى سلط الضوء على جانب من جوانب مشكل الاستعارة المعقد. و حتى لا تختلط المفاهيم و تتداخل حول مبحث الاستعارة يقترح محمد مفتاح صياغة عامة لهذه النظريات و قولبتها في اتجاهات محددة أهمها:

1.1- النظرية الإبدالية : تتحكم في هذه النظرية أربع قواعد :

- اقتصار الاستعارة على كلمة معجمية واحدة.
 - الكلمة المعجمية لها معنيان : حقيقي و مجازي.
 - تحصل الاستعارة باستبدال كلمة حقيقية بكلمة مجازية.
 - يبنى الاستبدال على أساس علاقة المشابهة.
- و يسوق لنا مفتاح العديد من الأمثلة لتوضيح القواعد السابقة نختار منها بيتا للشاعر الوأواء(ت619هـ) :

فَأَمْطَرَتْ لُؤْلُؤًا مِنْ نَرْجَسٍ وَسَقَّتْ وَرَدًّا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

فاللؤلؤ = الدموع، و النرجس = العيون، و الورد = الخدود، و العناب = الأنامل

و البرد = الأسنان .

فاللؤلؤ و النرجس والورود و العناب و البرد كل منها لها معنيان : مجازي و هو المذكور

و حقيقي هو المستغنى عنه، و قد حصل المعنيان بإبدال الكلمات الحقيقية كلمات مجازية و المسوغ له هو علاقة المشابهة¹.

و الاستعارات السابقة أنواع سيطرت ولا زالت تسيطر على التفكير البلاغي العربي، وخاصة منها ما يعرف بالاستعارة التصريحية و الاستعارة المكنية، لكن هذا الإجراء الإبدالي - في تصور محمد مفتاح - لا يحيط بالمعاني المطلوبة، و الدليل على ذلك اختلاف البلاغيين العرب حوله وعدم إجماعهم على شموليته.

2.1- النظرية التفاعلية : تعتمد على المسلمات الآتية :

- الاستعارة لا تقتصر على كلمة واحدة .
- السياق هو الذي ينتج المعنى النهائي و المحدد .
- الاستعارة تحصل من التفاعل أو التوتر بين بؤرة المجاز و بين الإطار المحيط بها .
- للاستعارة عدة علاقات .
- الاستعارة تعبر عن قيم نحيا بها .

يرى مفتاح أنّ البلاغيين العرب وضعوا مفاهيم تتقاطع في إجرائيتها مع المسلمات السابقة أبرزها: الادعاء، القرينة، النسبة، التعلق، الترشيح، التجريد ... وكلها تقترب من مفاهيم النظرية التفاعلية الحديثة. و مثال ذلك الاستعارة المرشحة الواردة في البيت الآتي :

رَمْتَنِي بِسَهْمٍ رِيْشُهُ الْكُحْلُ لَمْ يَضُرَّ ظَوَاهِرَ جِلْدِي وَهُوَ لِلْقَلْبِ جَارِحٌ

في البيت قرائن لغوية تحول دون ذهاب الذهن إلى تصور المعنى الحقيقي و هذه القرائن هي : [الكحل + عدم إيلاام ظواهر الجلد + جرح القلب] توحى بأنّ السهم مقصود به شيء آخر غير

¹- ينظر محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري ، ص: 83.

السهم الحقيقي، و ترشد الكفاية اللغوية و الثقافية المتلقي إلى أنّ المقصود هو العيون و ليس المعنى الحقيقي¹.

- التحليل بالمقومات :

يعتمد هذا التحليل على مقومات جوهرية ومقومات عرضية للمكونات المجمعة، فالجوهرية هي الصفات و السجاي الملاصقة للمكوّن، و العرضية هي مقومات عارضة منضافة للمقومات الأصلية. ووفقا لهذا التقسيم تقوم الدراسة المعنوية المعاصرة للاستعارة فكلما كثر التوافق صار التشاكل أظهر، وكلما زاد الاختلاف صارت هناك مسافة توتر و تباين .

و إضافة إلى المفهومين السابقين (المقومات الجوهرية و المقومات العرضية) هناك مفاهيم أخرى تحكم في ضوئها الاستعارة، مثل: القرب/البعد ، التوتر/الحل، التوقع / اللاتوقع ، الألفة / الغرابة...

إنّ التحليل بالمقومات يفرز ثلاثة أنواع من الاستعارات :

- استعارة ميتة : تشاكلات كثيرة وبارزة بين الحدين .
- استعارة حية : تشاكلات متنوعة متفاعلة .
- استعارة أبلغ : ذات توتر و تباين بين الحدين، تحدد نوعيتها المقصدية بمعناها التداولي .

1.3- النظرية العلاقية (التركيبية) :

تتم هذه النظرية بالجانب التركيبي للاستعارة و أبرز مؤسسيها " بروك روس² -Brooke Rose" الذي ألف كتابا في هذا المجال يصنف فيه الاستعارة بحسب انتمائها إلى أقسام الخطاب المختلفة .

¹- ينظر محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري ص: 86.

²- بروك روس : ناقد و رومانسي بريطاني (1923م-2012م)

1.4- النظرية الجشطالتيّة :

و هي النظرية التي استحوذت على فكر الناقد محمد مفتاح ورأى فيها مخرجا لمشكل الاستعارة المعقّد، وذلك من خلال اطلاعه على مؤلفات كل من "لاكوف وجنسون"

و بخاصة كتابهما الشهير "الاستعارات نحيا بها" الذي اعتبره غاية في الشراء، فيه مزج بين اللسانيات و الفلسفة و المنطق و الانتروبولوجيا .

لقد انتقد "لاكوف" ¹ وجنسون ² *George Lakoff and Mark Johnson* " النظرية الوضعية (سورل) و أكدا على ما يسمى بالاستعارة الاتفاقية التي تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

- استعارة موجهة مبنية على أساس التوجيه المكاني : فوق/تحت...ومثالها: المباراة ذات مستوى رفيع .

- استعارة أنطولوجية : تشخيص المعاني المجردة بالإحالة عليها و تكميمها و تعيينها ومثالها: نسير نحو السلام .

- استعارة بنيوية جزئية تنعكس في المعجم اللغوي، ومثالها: النظريات بناء. ³

كما أنّ هذه النظرية تؤكد على مبدأ الانسجام، لأنّه الأساس المكين الذي تبنى عليه الاستعارة و هو مبدأ يتعلق بثقافة خاصة و بكيفية اقتطاعات تلك الثقافة من العالم .

" إنّ أغلب القيم الإنسانية في ثقافة ما يجب أن تكون منسجمة مع البنية الاستعارية لأغلب المفاهيم الأساسية في تلك الثقافة " ⁴. فالاستعارة تسمح بفهم ميدان تجربة في ألفاظ ميدان آخر مثل : " الجدل حرب " هذه الاستعارة تبين مفهوم الجدل في حقل الحرب:

الجدال حرب ← [المضمون - القوة - القاعدية - الشفافية - الاتجاهية - الوضوح...]

¹ - جورج لاكوف: لساني أمريكي (و.1941م)

² - مارك جونسون: لساني و فيلسوف أمريكي (و.1949م)

³ - ينظر محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري ص: 93.

⁴ - ينظر المرجع نفسه، ص: 104.

هذه المظاهر في نظر- محمد مفتاح- ذات صبغة تعليمية تقصد جعل الراغب في الجدل يملك وسائل لتحقيق النصر .

الجدال سفر ← بداية و طريقة الإيضاح وتدرج في المراحل للوصول لل غاية .

الجدال وعاء ← مضمون الجدل .

إنّ الاستعارات السابقة تبين أنّ هناك انسجاما بين مظاهر لغوية استعارية متعددة [الجدل - حرب - سفر - وعاء] تظهر في البداية أنّه لا علاقة بينها، ولكن بعد تحليلها لمقومات يظهر الاشتراك بينها بما يضمن انسجاما، وهذا ما يسمى بالاستعارة الاتفاقية.

إنّ النظرية الجشطالتيّة - في تصور مفتاح- هي التي تتلاءم مع طبيعة الخطاب الشعري لأّنها تتيح للإنسان أن يوجه نفسه بنجاح في هذا العالم الذي يحتوي على كثير من مظاهر الانسجام أين يسمح له بالتعبير عن شيء في مفاهيم شيء آخر و نقلها من مكان إلى مكان آخر ومن موضوع إلى موضوع.¹

2- الكناية:

الكناية تركيب يحتوي على معنيين : معنى حرفي مباشر و معنى غير مباشر.

يؤكد مفتاح على أنّ الكناية تركيب مخفف عن الاستعارة، لأنّه يمكن أن يقصد بالكناية المعنى الحرفي الحقيقي عندما نقول مثلا : فلانة نؤوم الضحى، و هذا الرأي يثير كثيرا من التداخل و التقارب بين الكناية و الاستعارة ومع ذلك حاول مفتاح التمييز بينهما .

¹- ينظر محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري ص: 111.

الكناية	الاستعارة	التداخل
تحيل ب(س) على (س) آخر . تحيل بكينيات . غالبا ما تكون مرجعية . تركز أساسا على المطلوب .	تعبر ب (س) عن (س) . تعبر بمفاهيم . غالبا ما تكون تصويرية .	كلاهما يعتمد على الانتقاء (البؤرة المقصودة) . إبراز بعض المقومات و إخفاء أخرى .

تعتمد الكناية كذلك على التشاكل بين المحيل و المحال عليه، وكلّما كان الحدان بعيدين كانت الكناية غريبة، تشد الانتباه، و تدفع بالمتلقي إلى الاجتهاد في البحث عن المقومات الجامعة بين الحدين معتمدا على تجاربه الشخصية، و يوضح محمد مفتاح هذا المعنى بالمثال الآتي:

فالتركيب "فلان مضياف" يمكن أن يحلله المتلقي حسب تجاربه الخاصة تنازليا أو تصاعديا مبتدئا بالمقوم الأقرب و انتهاء إلى الأبعد أو العكس.¹

3- المجاز المرسل :

المجاز المرسل يثير أيضا إشكالية تمييزه عن الكناية، لأنه يصير حالة خاصة من كناية لأن كليهما يتضمنان علاقة بين شيئين اثنين يفترض أن يكون بينهما تشاكل و انسجام، وهو أمر حدا بالناقد إلى اعتبار كثير من العلاقات المنسوبة للمجاز المرسل هي علاقات كنائية ومثال ذلك : علاقة التعبير بالكل عن الجزء، أو الجزء عن الكل :

ومثاله: قوله تعالى : ﴿سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾²

- علاقة التعبير بالحال عن المحل، أو بالمحل عن الحال :

شربت كأسا (خمرا) ، كسرت خمرا (كأسا)

¹- ينظر محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري ص: 112.

²- الأعراف: الآية 149.

فالعلاقات الواردة في الأمثلة السابقة هي علاقات مجاز مرسل ولكن ذلك لا يعني من اعتبارها أيضا علاقات كناية لأنها تحيل على معان ليست هي المعنى الحرفي للفظ، و نتيجة لهذا التداخل يحاول محمد مفتاح تلمس التمايز و الاختلاف الممكن بين المجاز المرسل و الكناية و هو تمايز جزئي .

المجاز المرسل يخرق العادة التعبيرية، و يستعمل بعض الألفاظ في غير المعنى الذي وضعت له لتدل على معان أخرى، ومع ذلك يبقى التداخل واضحا بين هذا الأخير و الاستعارة و الكناية فكلها ظواهر تعتمد على عنصري الاستدلال و الانتقاء في تحليل الخطاب الشعري، ولكن مع بعض التباين، فالكناية قد يقصد بها المعنى الحرفي في بعض الأحيان، و المجاز المرسل علاقته غير المشابهة، وكلاهما يحيلان على كيان في حين أن بعض الاستعارات لا تحيل إلا على مفاهيم¹ .

2.2- التشاكل الرسالة: (تشاكل المضمون)

لم يفرد محمد مفتاح لهذا النوع من التشاكل مبحثا خاصا كما فعل مع التشاكل التعبيري، و هو أمر يؤكّد على الجانب التعبيري في الخطاب الشعري، إذ يتميز عن غيره من أنواع الخطاب الأخرى و هذا ما أشارت إليه جماعة (μ) في كتابها " بلاغة الشعر" في معرض انتقادها لغريماس و ميشال أرنفي اللذين أهملوا هذا المستوى في تحليلها للخطاب .

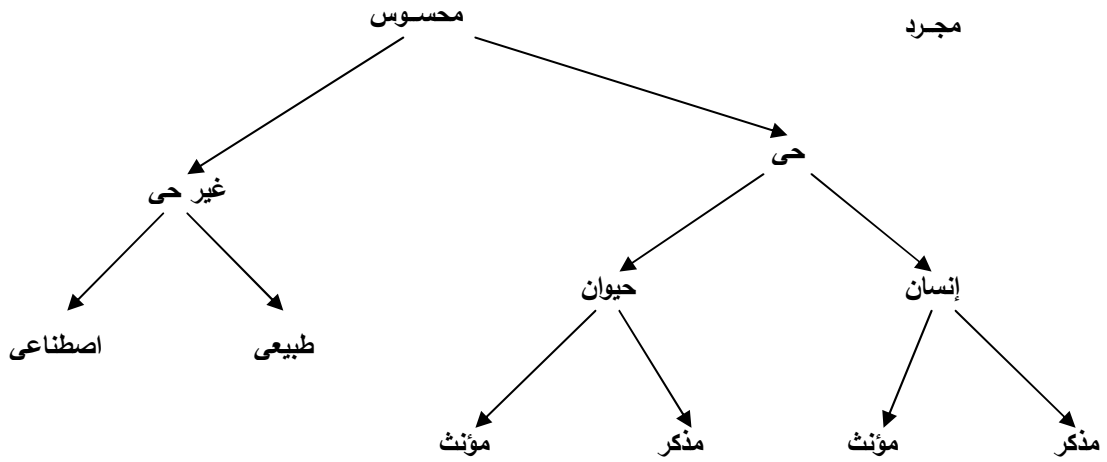
ولكن ذلك لا يعني إهمال الخطاب الشعري مستوى تشاكل المضمون بل هو قطب العملية التواصلية، وعدم الاهتمام به يجعل من النص الشعري أصواتا وكلمات ضجيجا لا معنى له .

يعتمد هذا النوع من التشاكل على تحليل المقومّات للكشف عن بؤرة النص وامتداداتها عبر كامل الخطاب.

إنّ التحليل بالمقومّات تقنية تبنتها البنيوية الأوروبية التي من ممثليها (يامسيلف، جاكسون غريماس) . وقد تخطى هذا التحليل حدود أوروبا ليثبت عالميته بسبب " المسلمة التي تقول بثنائية ظواهر الطبيعية .

¹ - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري ص 90

فكل ظاهرة بناء على هذا المسلمة تنقسم إلى:



وقد يتبين من التحليل أنّ الثنائية التي تتخذ كتناقض أحيانا، قد يكون فيها هناك حد وسط¹. إنّ مفهوم التشاكل يقوم على أساس التحليل بالمقومات الذاتي و المقومات السياقية أو المقومات التفاعلية .

- المقومات الذاتية : هي مقومات خاصة بالحد، و هي نوعان : جوهرية وعرضية .
- المقومات السياقية : هي المقومات التي يكتسبها المكوّن من خلال تفاعله مع باقي المكوّنات في التركيب .

يقدم محمد مفتاح البيتين الآتين للتمثيل على التحليل بالمقومات، وهما بيتان مقتطفان من قصيدة ابن طفيل (ت581هـ) البائية :

أَقِيمُوا صُدُورَ الحَيْلِ نَحْوَ المَعَارِبِ لِعَزْوِ الأَعَادِي وَاقْتِنَاءِ الرِّعَائِبِ
وَ اذْكُوا المَذَاكِي العَادِيَاتِ على العَدِي فَقدْ عَرَضَتْ لِلْحَرْبِ جُرْدُ السَّلَاهِبِ

يقتصر في هذين البيتين على تحليل المفردات التي تستجيب للتحليل بالمقومات الذاتية، ويهمل ما يتعسر .

¹ - محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري، ص: 90.

- الإنسان : (+ حيوان) ، (+ عاقل) ... (+ ذو مقاصد) تدل عليه وا و الجماعة .
- الخيل : (+ حيوان) ، (+ ذات أربع قوائم) ... (+ تستعمل لأغراض خاصة) .
- المغرب : (+ مجال جغرافي) ، (+ يسكنه المسلمون) ، (+ يسكنه النصاري) .
- الحرب : (+ فعل) ، (+ عنيف) ، (+ تستعمل فيه أدوات القتل)

وهناك تكرير لبعض المترادفات :

(الأعدى = العدى) - (الغزو = الحرب) - (الخيل ، المذاكي ، العاديات ، جرد السلاهب)

من التحليل السابق يستنتج محمد مفتاح موضوعين رئيسين هما :

[الحر ، الدين] و ثنائيات ملازمة لهما صريحة و غير صريحة :

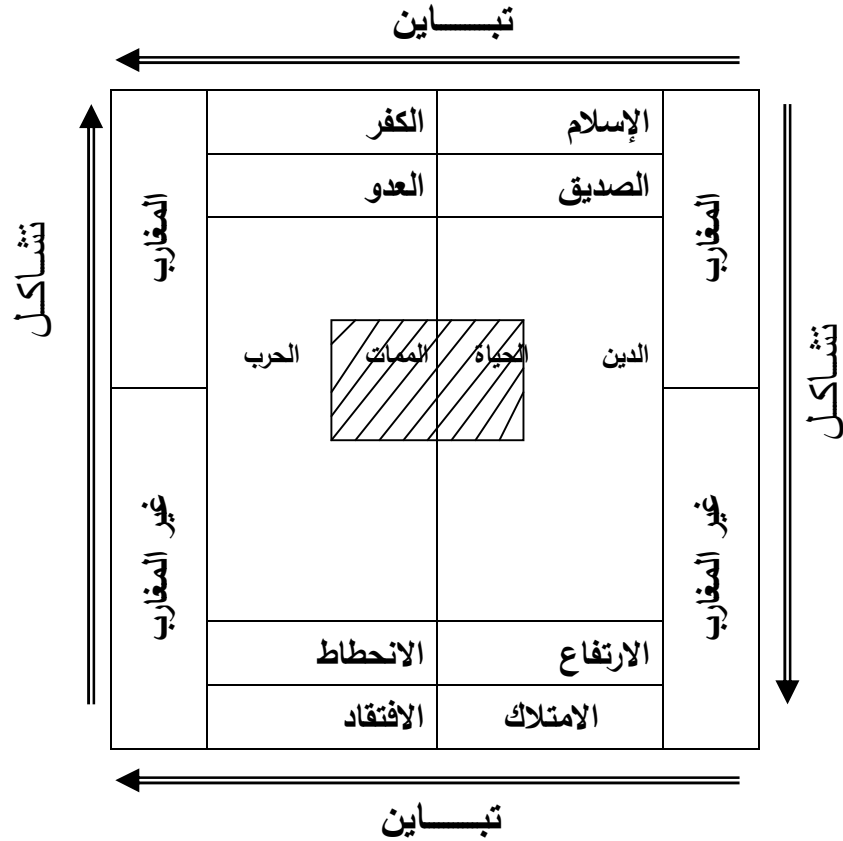
(الصديق ، العدو) + (الإسلام ، الكفر) + (المغارب ، غير المغارب)

(الارتفاع ، الانحطاط) + (الامتلاك ، الافتقاد) .

و يُرجع الموضوعين و الثنائيات إلى بؤرة شاملة تتمثل في [الحياة / الممات]¹

¹ - ينظر محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص 116

يتحكّم في الثنائيات و الموضوعين الرئيسين مبدأ التشاكل و التباين وفق المخطط الآتي :



إنّ درس التشاكل و التباين عند محمد مفتاح درس ثري متنوع يلا قح فيه الناقد بين التراث العربي القديم و ما استجد من الدراسات اللغوية الحديثة عند الغرب محاولا تطعيم الدرس اللغوي العربي الحديث بهذه النظريات واقتراح تحليل شامل للخطاب الشعري من خلال القراءة الأفقية و القراءة العمودية للنص الشعري.

ثانيا: نموذج عبد الملك مرتاض :

1- ماهية التشاكل :

قبل تقديم تعريف شامل و جامع لمصطلح التشاكل يقوم مرتاض بالتأصيل المعرفي و الفلسفي له و هي خطوه لا بدّ منها في كل عمل منهجي يروم البناء المعرفي المتواصل، و بداية وضع القواعد كانت مع غريماس، و حول هذه الخطوة لا يختلف النقاد و الباحثون المحدثون، إذ كلهم يعزّون اكتشاف هذا المفهوم، و إطاره المعرفي إلى شيخ السيميائيين غريماس.

يرى مرتاض أنّ غريماس وغيره اصطنعوا هذا المصطلح ليريدوا به " كل ما استوى من المقومات الظاهرة المعنى و الباطنة، و المتجسّدة في التعبير أو الصياغة الواردة في نسج الكلام : متشابهة أو متماثلة أو متقاربة، على نحو ما: مورفولوجيا أو نحويا أو إيقاعيا أو تراكيبيا أو معنويا، عبر شبكة من الاستبدالات و التباينات بحكم علاقة سياقية تحدد موقع الدلالة"¹، و في هذه الرؤية يختصر مرتاض معظم أنواع التشاكل التي أعلن عنها غريماس و كورتيس في كتابيهما المشترك.

غير أنّ ما جاء به شيخ السيميائيين يشوبه كثير من الاضطراب و الخلل و القصور، و يفتقر إلى بلورة و صقل و تدقيق و يحتاج إلى توسعة و إثراء².

2- التشاكل و التراث العربي :

يؤكد مرتاض على أنّ النقاد و البلاغيين العرب القدماء قد استعملوا التشاكل في قريب من معنى المصطلح السيميائي الغربي، و قد مسّوا فعلا هذا المفهوم من خلال مصطلحات عديدة مشتتة الأطراف : الطباق _ المقابلة _ اللَّفّ _ النشر _ الجمع ... " و لكن أدواتهم الألسنية و غياب منهج واضح في البحث لم يسعفهم في تأسيس نظرية كلية لعلم العلامات، كما أنّهم لم يعنوا إلا بمستوى واحد أو بجزئية واحدة، و لم يهتموا بالإحاطة بشمولية النص ثم القدرة على الاستنباط العلاقتي لأعماق النص عموديا و أفقيا، سطحيا و عمقيا، و تحليلاتهم كلها كانت لا تنهض على خلفية فلسفية أو ألسنية، لأنهم كانوا يفتقدون الصرامة العلمية"³.

¹ - عبد الملك مرتاض : نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن ، دار هومو ، ص: 158

² - ينظر المرجع نفسه ص: 159

³ - ينظر عبد الملك مرتاض : شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، قصيدة القراءة، تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية، ط1، دار

المنتخب العربي، بيروت لبنان، 1994، ص 33-36

و بعيدا عن الدراسات النقدية و البلاغية يعثر الناقد على نص للشيخ عمر بن مسعود ابن ساعد المنذري (ت1160هـ) من كتاب مخطوط عنوانه: «كشف الأسرار المخفية في علم الأجرام السماوية و الرقوم الحرفية» يصطنع فيه هذا الفلكي مصطلحي (المشاكلة المقابلة) ثم يقوم بإجراء منهجي في تصنيف معاني الأشياء سواء بما تشاكلت أو بما تقابلت. فهذا المصطلح في تصور مرتاض كان فكرة موجودة من قبل عند المفكرين و البلاغيين و الفلكيين العرب، وقد تعاملوا معه بوعي منهجي ناضج، وغريماس بعدهم لم يقيم إلا بتجسيد هذه الأفكار المضطربة والمشتتة هنا و هناك بتقنيات دقيقة و مؤسسة مستعينا بالعلوم الإنسانية و خاصة الفلسفة و المنطق¹.

3- تعريف التشاكل :

في اقتراح معادل عربي مناسب لمصطلح « *Isotopie* » يصطنع مرتاض كثيرا من المقابلات والمماثلات العربية استمدتها من التراث العربي القديم، و يبرر هذا الاختيار مؤكدا على أنه من الأمثل أن يكون المصطلح قد ترعرع في البيئة الثقافية و الحضارية ليكون المسعى العلمي استمرارا و ليس انقطاعا.

و المصطلحات التي و ظفها مرتاض هي: التشاكل، المشاكلة. و قد اقتبس المصطلح الأخير من مؤلفات الجاحظ و عمر بن مسعود المنذري، كما أنّ الناقد لم يكتب بهذين المصطلحين. و إغناءً منه للمنظومة المعرفية التي حملها مفهوم « *Isotopie* » يقوم مرتاض بتعريبه، و يستعمله كصفة لبعض الإجراءات و الخطوات المنهجية. فيفضل قراءة إيزوطوبية على قراءة تشاكلية و تعددية إيزوطوبية تارة، و تعددية تشاكلية تارة أخرى².

أمّا بالنسبة لمصطلح « *Allotopie* » فيختار له مرتاض المعادلات العربية الآتية : اللاتشاكل التباين، التقابل. وهذا المصطلح الأخير أخذه مرتاض من الفلكي عمر بن مسعود المنذري³. و بعد تحديد المعادلات العربية للمصطلحات الوافدة يقترح مرتاض تعريفات عديدة للتشاكل وهي تعريفات تختلف من مدونة نقدية لأخرى، كما أنّ اللاحق منها يعيد بناء و تشكيل التعريف

¹ - ينظر عبد الملك مرتاض : نظام الخطاب القرآني، ص 157

² - ينظر عبد الملك مرتاض : التحليل السيميائي للخطاب الشعري: ص: 26 ، 27.

³ - ينظر المرجع نفسه: ص: 26.

السابق برؤية موسّعة و شاملة تواكب مستجدات الساحة النقدية، و من ذلك التنوع نختار التعريفات الآتية:

التشاكل : " تشابك لعلاقات دلالية عبر وحدة ألسنية إمّا بالتكرار أو بالتماثل أو بالتعارض سطحا و عمقا و سلبا و إيجابا"¹.

في هذا التعريف يقوم التشاكل على أساس تبادل العلاقات الدلالية بين الوحدات الألسنية وهو تركيز منه على الجانب المعنوي للخطاب دون الشكلي، كما أنّ هذا التشاكل لا يخرج عن علاقات التكرار أو التماثل أو التعارض على مستوى النسيج السطحي للخطاب، و كذلك المستوى العمودي، و يلاحظ أنّ مرتاضا جعل التباين جزءا من التشاكل، بالرغم من أنّ الأول يقوم أساسا على علاقة التعارض.

و استدراكا منه للجانب التعبيري يقترح مرتاض التعريفين الآتين :

التشاكل هو: " تساوي عنصرين لغويين اثنين داخل وحدة كلامية في جميع الخصائص"² و هو نوعان تشاكل كلي و تشاكل جزئي.

التشاكل: " تبادل الخصائص الشكلية بكل مظاهرها النحوية و المورفولوجية و الإيقاعية إفرادية كانت أم تركيبية"³.

و بالمقارنة بين التعريفين السابقين نجد أنّ التعريف الثاني جاء مخصّصا و مفصّلا لعموم الأول حيث أقحمت في الأول الخصائص دون توضيح أو تفصيل، و في الثاني تم تقييدها. فالخصائص لا تخرج عن المظاهر النحوية و المورفولوجية و الإيقاعية و التركيبية التي تتضافر في خدمة الدلالة عبر الجملة و بالتالي عبر النص و الخطاب الأدبي.

4 - أسس التشاكل :

يقوم التشاكل على مكررات « *Iterativites* » أو متواترات أو أصناف سيميائية تحفظ للخطاب الملفوظ تناسقه، و هو تبين واضح لرأي راستي الذي يعرف المشاكلة بأنّها تكرارية

¹ - عبد الملك مرتاض : شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، قصيدة القراءة، تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية، ص 43.

² - عبد الملك مرتاض : نظرية القراءة : تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية ص 246.

³ - عبد الملك مرتاض : نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، ص 59.

لوحداث ألسنية تنتمي إمّا للتعبير و إمّا للمضمون، و مع ذلك يبدو تعريفه هذا _ في تصور مرتاض _ غامضا مضطربا لا بد من توسيعه.

لا يستسيغ مرتاض مصطلح " التكرار"، و يرى أنّه قاصر في الدلالة على التشاكل القائم على التواتر و البدء ثم الرجوع، و لذلك ينحت من "بدأ" و "عاد" مصطلحا جديدا و هو البدعة من (بَدَعَدَ، يُبَدَعِدُ، بَدَعَدَةٌ)¹ ليكون معادلا للمصطلح الأجنبي « *Iterativites* » و هو مصطلح تقوم عليه المفاهيم اللاحقة التي يقترحها مرتاض كأسس و مكونات لهذا التشاكل.

- ثنائية الانتشار و الانحصار:

اكتشف مرتاض داخل الإجراء التشاكلي أنّ الكلام البشري كلّه يقوم من الوجهة المعنوية على قطبين سيميائيين : قطب انتشاري و قطب انحصاري أو (النشر و الطيّ)، و النص الأدبي وفقا لذلك يقوم على بنيتين أساسيتين : بنية انتشارية و بنية انحصارية. و قد ظلّت هذه الثنائية تسيطر على الفكر الإنساني، سرعان ما تنكشف بعد تحليل و فحص و تدقيق لمضمون هذا الفكر المتواري خلف اللغة²، و مثال ذلك ثنائيات (الليل ، النهار) و(الظلام، النور) و (الخير، الشر).

إنّ علاقة الانتشارية - عند مرتاض - سيرة معروفة من سير الحياة التي تميل في معظم مظاهرها إلى انتهاج هذا السلوك " فالأجسام تنتشر في الفضاء، تستحيل من الطفولة إلى الشباب، و من القصر إلى الطول، و من الفضاضة إلى العرامة ..."³.

الانتشار ← التوسع، الاختيار، مقوم لا يحده حد / مفتوح.

الانحصار ← التضييق، التوقع، ليس له اختيار، مقوم محدود / مغلق.

و بدون هذه العلاقة لا يكون للتشاكل أي معنى.

¹ - عبد الملك مرتاض : شعرية القصيدة ، ص 43.

² - ينظر عبد الملك مرتاض : التحليل السيميائي للخطاب الشعري، ص 27.

³ - ينظر المرجع نفسه، ص 26.

- **التعلق** : هو أيضا أساس متين يقوم عليه التشاكل، ويتصوّر مرتاض أنّ "كل مقوّم يتسلّط على كل المقوّمات التي تأتي بعده، فيتعلق به في الوقت ذاته، فينشأ عن ذلك علاقة متزاوجة أو ثنائية من جهة، كما ينشأ عن هذه العلاقة الثنائية علاقة أخراة جمعانية تتسلط لدى نهاية الأمر على كل المونيمات التي تأتلف منها وحدة ألسنية معينة"¹.

و يقصد مرتاض بالمقوّم العناصر و الوحدات الكلامية التي يتكون منها التركيب، و هذا المصطلح في معناه يخالف ما اصطنعه بعض النقاد المغاربة، إذ يعني عند مفتاح المقوّمات الجوهريّة و المقوّمات العرضية، و هو ما يقابل المصطلح الأجنبي « *Sème* ». إنّ التعلّق عند مرتاض تصوّر أسلوبّي، لا يقصد به التعلّق النحوي و إنّما العلاقة السيميائية بين المقوّمات في الخطاب، و هذه العلاقة تحقّق ما يسمى بالدورة السيميائية .

- **الدورة السيميائية** : كل مقوّم يتعلق بالذي بعده و يشكل معه علاقات سيميائية².

5- إجراء التشاكل:

إنّ رصد التشاكل في علاقاته النسجية ينتج عنه ضرورة التباين. فالتشاكل يرصد العلاقات المتقاربة أو المتماثلة بين مقوّمات النص، و التباين يرصد العلاقات المتنافرة أو المتناقضة، و كلاهما يفضيان إلى تحديد العلاقة السيميائية للمقوّم حال كونه منصهرا في نسيج النص، و هما يقومان على التوصيف المحايد لعناصر الكلام من أجل الكشف عن العلاقات الكامنة في النص و تحديد معالم نسجه لإمكان الإفادة من ذلك بعد حين، و حتى تكون نتائج الوصف تحت تصرف كل الباحثين في أي مجال³.

يقتضي إجراء التشاكل _ في نظر عبد الملك مرتاض _ تفكيك النص إلى وحدات ثم تحليلها تحليلا قائما على التماس ما في هذه الوحدات من عناصر متشاكلّة تظهر في شكل علاقات ثنائية قائمة على الخصائص المرفولوجية و النحوية و الإيقاعية و النسجية و المعنوية الحيزية و الزمنية.

¹ - عبد الملك مرتاض : شعريّة القصيدة ، ص: 39.

² - ينظر المرجع نفسه، ص: 39.

³ - عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، دار هوم، 2001، ص: 120.

و يمثل هذا الإجراء في مقاربتين أساسا:

1.5- المقاربة التركيبية أو النسجية :

" وهي التي تجعل القراءة الأدبية للوحدة من الكلام تنطلق من بداية الوحدة، ثم تدور على عناصرها اللغوية"¹. إنَّ هذا التحليل يُظهر التزاوج بين السمات اللغوية في كل وحدة كلامية من البداية إلى النهاية داخل الدورة السيميائية، ويبين العلاقة التي تربط بين سمتين اثنتين متجاورتين من اللغة ربطا اعتباريا يطلق عليه (المزاوجة) أما العلاقة المحتملة بينهما فتسمى (قابلية التزاوج). يحدث التزاوج - في تصوّر مرتاض - على مستويي الانتشار و الانحصار، حيث إنّ تعويم اللغة ضمن هذا الإجراء ينشأ عنه حتما إمّا تشاكل و إمّا تباين، والزوجان السيميائيان هما كلّ عنصرين اثنتين متجاورين و متجاورين، و يقصد بالعنصر هنا (المعنم) الذي يقابله في الثقافة الفرنسية مصطلح « *Sémème* » و يشمل هذا المقوم عنصرا كلاميا واحدا أو بيتا من الشعر².

- مثال المقاربة التركيبية : يختار مرتاض البيتين الآتيين :

رُبَّ وَرْقَاءٍ هَتُوفٍ فِي الضُّحَى	ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنَنِ
ذَكَرْتُ الْفَأْ وَدَهْرًا سَالِفًا	فَبَكَتْ حُزْنًا فَهَاجَتْ حَزْنِي

يقرأ هذين البيتين قراءة تشاكلية من خلال المقاربة التركيبية، وذلك بالبحث عن التزاوج المحتمل بين عناصر البيتين السابقين، بالنظر في علاقاتها، انطلاقا من العنصر الأول وصولا عند العنصر الأخير، وهو ما أطلق عليه مرتاض " الدورة السيميائية " . تتضمن هذه الدورة العلاقات الآتية :

- (رب مع ورقاء ، رب مع هتوف ، رب مع في ، رب مع الضحى) .

- (ورقاء مع هتوف ، ورقاء مع في ، ورقاء مع الضحى ، ورقاء مع الضحى) .

- (هتوف مع في ، هتوف مع الضحى ، هتوف مع الضحى) .

¹ - عبد الملك مرتاض: نظرية القراءة، ص : 251.

² - المرجع نفسه ص : 252.

- (في مع الضحى ، في مع الضحى)

وكذلك فعل بعناصر العجز.

في العلاقات السابقة يبحث مرتاض عن دلالات التشاكل و التباين ولكن من خلال زاويتي (الانتشار و الانحصار):

- (رب مع ورقاء) ← بينهما تباين لأنهما قائمان على الانحصارية و الانتشارية .

- (رب مع هتوف) ← بينهما تباين أيضا

- (رب مع في) ← بينهما تشاكل لأنهما قائمان على الانحصار¹.

معيار الانتشارية و الانحصارية قائم على الدلالة المعجمية و النحوية و الاصطلاحية و العرفية للمقومات المرصودة للتحليل .

ففي العلاقة (رب مع ورقاء) يمثّل الانحصار و الانتشار من خلال الدلالات الآتية:

- « ربّ » : " قيد وضع في العربية لتضييق دلالة الحدوث و الاقتراب بها من دائرة الشك أو ضعف التوقع و الترقب. فهو يحيل على المعنى الانحصاري صراحة، حيث إنّه يحصر الدلالة و يضيّقها بالقياس إلى السمة"².

- « ورقاء » : " سمة تسم حيوانا حيّا، غير عاقل (طائرا)، و بحكم هذه المواصفات التي توفر فإنّها تتمحّض للمعنى الانتشاري"³.

فالانحصار و الانتشار المتزاوجان في المقومين السابقين يشكّلان تباينا.

¹ - عبد الملك مرتاض: نظرية القراءة، ص 257، 258.

² - المرجع نفسه: ص 254.

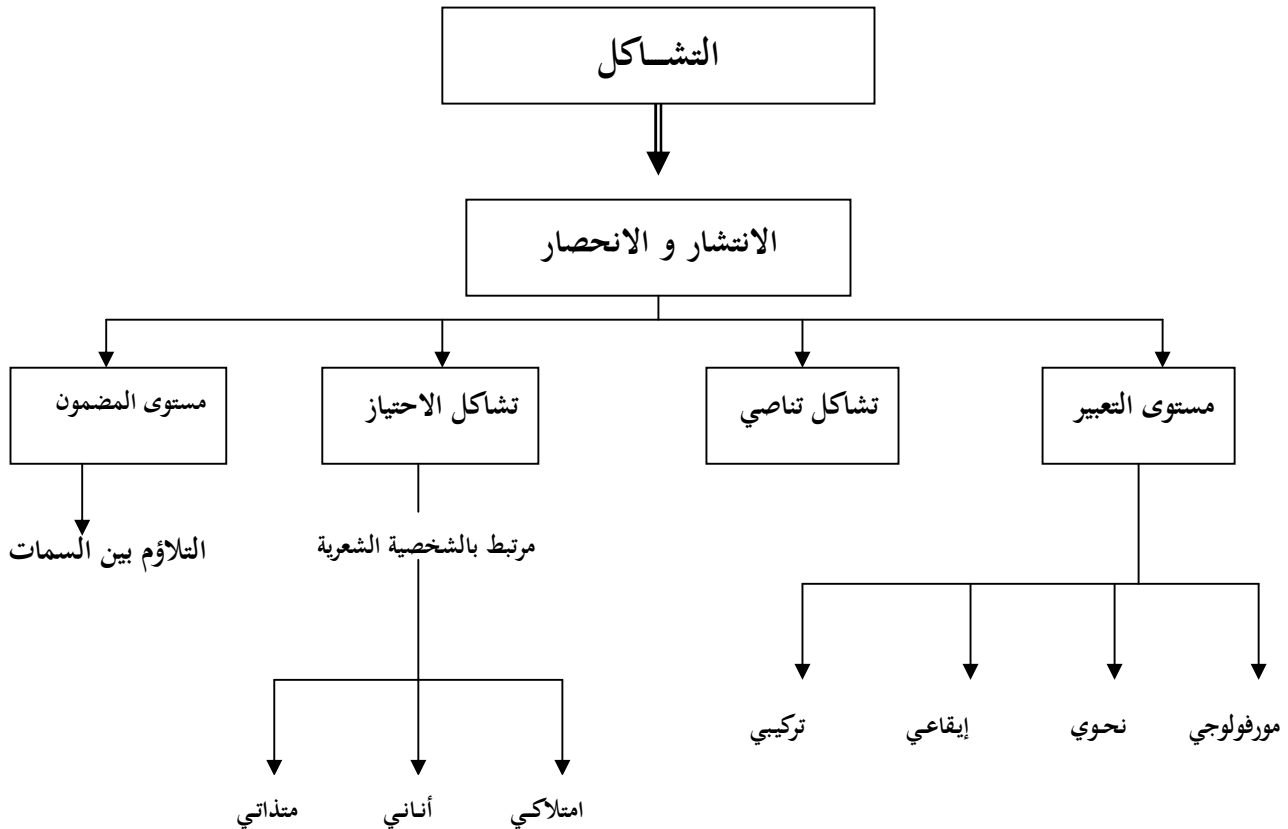
³ - المرجع نفسه، ص 254.

المقاربة السابقة تتوافق إلى حد كبير مع مقاربة التحليل بالمقومات التي يستعين بها كثير من الباحثين العرب في تفصيلهم عن المتشاكلات المعنوية.

2.5- المقاربة الإفرادية: هي مقاربة اجتزائية اختيارية غير خاضعة للتدوير السيميائي، تتم بتحليل المزوجة السيميائية بين سمتين أو أكثر. و هذه المقاربة تتضافر و تتكامل مع المقاربة السابقة.

6- أنواع التشاكل:

على غرار تقسيمات و تنوعات غريماش للتشاكل يقسم مرتاض هذا المصطلح إلى أنواع كثيرة غريبة على النقد العربي الجديد، تتنوع وتتجدد من نص شعري لآخر. و هي أنواع يخالف بها التقسيمات التي ارتضاها مفتاح في بحثه عن التشاكل التعبيري و المعنوي، ذلك أن مرتاضا لم يميز منها ما يقع في مستوى التعبير و ما ينتشر منها على مستوى المضمون كما فعل من قبله مفتاح. هذه الأنواع يفرزها التشجير الآتي:



بدايةً يميّز مرتاض بين نوعين من التشاكل:

1- التشاكل الإفرادي: يتمّ بتوصيف العلاقات الإفرادية بين المقومّات، و فيه تنوع العلاقات السيميائية التشاكلية المبنوثة في ثنايا النص الشعري، تبعاً للأغراض الشعرية المتنوعة و الحالات النفسية للشاعر.

يجد مرتاض في شعر بكر بن حماد التيهري (ت 296هـ) مجالاً خصباً للتدليل على هذه الأنواع التي فرضها المقام النفسي العام للقصيدة، و كذلك يفعل مع بعض الأبيات مجهولة القائل، نختار منها ما يأتي:

سَقَى اللهُ تِيهَرْتَ المَنَى وَ سُوَيْفَةً بِسَاحَتِهَا غَيْثًا يَطِيبُ بِهِ المَحَلُّ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ وَ الدَّارُ جَامِعَةً لَنَا وَ لَمْ يَجْتَمِعْ وَصَلٌ لَنَا وَ لَا شَمْلُ

- (سقى، غيثا) ← تشاكل تلاؤمي.

- (الدار، جامعة) ← تشاكل ترادفي.

فَلَمَّا تَمَادَى العَيْشُ وَ انشَقَّتِ العَصَا تَدَاعَتْ أَهَاضِيبُ النُّوَى وَ هِيَ تَنْهَلُ
سَلَامٌ عَلَى مَنْ لَمْ تُطِيقْ يَوْمَ بَيْنِنَا سَلَامًا وَ لَكِنْ فَارَقَتْ وَ بِهَا تُكَلُّ
وَ مَا هِيَ أَمَاقٌ تَفِيضُ دُمُوعُهَا وَ لَكِنَّهَا الأَزْوَاحُ تُجْرِي وَ تَنْسَلُّ

- (سقى الله ، سلام على من) ← تشاكل دعائي .

- (النوى ، فارقت) ← علاقة انفصالية.

فَرَاغُ الهَوَى شُغْلٌ وَ مَحْيَا الهَوَى مَوْتُ وَ يَوْمُ الهَوَى حَوْلٌ وَ بَعْضُ الهَوَى كُلُّ

- (الهوى ، الهوى ، الهوى ...) ← تشاكل لفظي.

- (يوم ، حول) ← تشاكل زمني .

" إذ نلني في النموذج الأول انحصاريا وتجسده الدار الجامعة للذات و الموضوع جميعا في تقابل
الوحدتين الاثنتين على سبيل التلاؤم، في حين أنّ الأنموذج الآخر انتشاري و يجسده انشقاق
العصا، و تداعي أهاضيب النوى على سبيل التلاؤم بين العلاقتين الاثنتين أيضا"¹.

- التشاكلات التعبيرية :

لم يصنّف مرتاض التشاكل المورفولوجي و النحوي و الإيقاعي تحت مستوى التعبير، وإنما
الدراسة و الترتيب و التوصيف تقتضي جمع هذه الأنواع تحت مستوى واحد لأنها كلّها تشتغل في
محيطه.

- التشاكل المورفولوجي : يتمّ من خلاله رصد التشاكلات الكلامية المتماثلة .

- التشاكل النحوي : ويكون برصد الظواهر و الوظائف النحوية المكررة أو المتماثلة في التركيب
الواحد أو عدة تراكيب .

- التشاكل الإيقاعي : و يكون بتتبع التشكيلات الإيقاعية المتماثلة في التركيب و التي تحدث
تزاوجا إيقاعيا .

و يميّز مرتاض في هذا الضرب التشاكلي بين نوعين من الإيقاع :

- الإيقاع الداخلي .

- الإيقاع الخارجي .

- تشاكل الإيقاع الداخلي : يُلاحظ من خلال الترددات الصوتية و تكرار بعض الوحدات
الكلامية في النص، و يصف مرتاض هذا النوع من التشاكل باللعب الإيقاعي، ويمثل له بالبيتين
السابقين:

فَرَاغُ الْهَوَى شُغْلٌ وَ مَحْيَا الْهَوَى مَوْتٌ وَ يَوْمُ الْهَوَى حَوْلٌ وَ بَعْضُ الْهَوَى كُلُّ
وَ جُودُ الْهَوَى بُحْلٌ وَ رَسْلُ الْهَوَى عَدَى وَ قُرْبُ الْهَوَى بُعْدٌ وَ سَبْقُ الْهَوَى مَطْلٌ

¹ - عبد الملك مرتاض : الأدب الجزائري القديم، ص: 122.

يستخرج مرتاض من الوجدتين السابقين الأزواج السيميائية المتشاكلية :

(غاب، ضاع) ← تشاكل مورفولوجي ونحوي و إيقاعي .

- تشاكل نحوي : الوجدتان الشعريتان فعليتان (غاب، ضاع) .

- تشاكل مورفولوجي: كل وحدة تتكون من ثلاثة مقومات :

غاب القمر المشتاق = ضاع كتاب العشاق

فعل + اسم + اسم = فعل + اسم + اسم

- تشاكل إيقاعي : (غاب، ضاع) ، (مشتاق، عشاق)

- تشاكل خبري : الوجدتان خبريتان .

- تشاكل معنوي : يتجسد في انتشارية كل من معنى : غاب و ضاع .

- تشاكل تلاؤمي : تلاؤم بين (مشتاق، عشاق) . لأتّهما يعبرّان عن موقف واحد و هو

الموقف الغرامي¹ .

- التشاكل التلاؤمي :

يتجسد في توافق بعض المقومات و تلاؤمها من حيث دلالتها على المعنى، و من حيث علاقتها ببعضها بعض . هذا النوع من التشاكل لا نجده إلا عند مرتاض الذي اصطنعه كأداة للكشف عن التلاؤم الخفي الذي يطبع مقومات الوجدات الشعرية من القصيدة التي اختارها للتحليل، و هي

قصيدة أشجان يمانية للشاعر اليمني المقال . نختار منها النموذج الآتي :

- هَلْ عَرَفْتُ أَعْيُنَكُمْ فِي الْأَرْضِ صِفَةَ الْمُهْجُورَةِ مَعْنَى الدَّمْعِ ؟

¹ - ينظر عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة، ص: 49.

يظهر التشاكل في هذه الوحدة الشعرية في شكل تلاؤم متراكب بين عديد من الكلمات :

(أعينكم الدمع) ← " فالدمع يتلاءم مع حضور العين من جهة و قابليتها لإفراز الدمع من وجهة أخراة"¹.

(الأرصفة، الدمع) ← الأرصفة رمز للتشرد، و التشرد يتلاءم مع الدمع.

(الأرصفة، المهجورة) ← تشاكل معنوي على سبيل التلاؤم أو لزوم العلاقة .

ثم يخلص مرتاض إلى أنّ (أعينكم، المهجورة، الدم) مقوّمات ثلاثة تمثّل تشاكلا تلاؤميا. ومن شأن هذا التلاؤم أن يعبر عن موقف نفسي ثابت للشاعر، و تعميق صورة الحزن عبر الوحدات الشعرية .

- تشاكل الاحتياز:

في سياق تحليله السيميائي لقصيدة أشجان يمانية يكتشف مرتاض أنواعا تشاكلية مبتكرة غير متداولة لم يسبق إليها أحد من الناقدين الغربيين و العرب، تبدو هذه الأنواع للوهلة الأولى غريبة غير مستساغة، و لكنّ مرتاضا سرعان ما يبيد هذه الغرابة بالتأصيل و التأسيس الفلسفي و الاستيمية لهذا التشاكل الجديد، و ربما طبيعة الشعر العربي الحديث أيضا أملت على الناقد استخراج هذه الأضرب الجديدة (القالب التعبيري الحديث، المعاني المكثفة، موضوعات معاصرة اهتمامات، آلام و آمال جديدة...).

تتمحور أنواع تشاكل الاحتياز حول الذات و علاقتها بالآخر (الانتماء القابلية، عدم القابلية، التعاون...)، و الجامع بينها ارتباطها بالشخصية الشعرية.

"الاحتياز يقوم على النزعة الذاتية التي تجسدها الأنا المفترسة في النفس البشرية منذ نشأتها الأولى، ذلك لأنّ هذا الأنا ينطلق من حميم الذات الإفرادية، ثم لا يلبث أن يمتد إلى حميم الذات الجماعية (...). إلى أن يشمل الوطن كله"² و هذه النزعة الذاتية لا تقوم على الجانب الشرير

¹ - ينظر عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة، ص 43 .

² - المرجع نفسه : ص 26

الحيث للنفس البشرية، و إنما هي نزعة ضرورية لبقاء الإنسان و استمرار وجوده¹. وكفي يبدد مرتاض كل تشكك و تساؤل ينفي ارتباط التحليل الاحتيازي بعلم النفس. و لعل من السهولة بمكان تتبع دلالات الاحتياز في الوحدات الشعرية حيث تدل عليها ياء المتكلم المتصلة بالكلمات، هذا و يرفض مرتاض تسميتها بياء المتكلم " لقصور هذا المصطلح و عدم استحضاره لما يحتمله، إذ يمكن اعتبار الياء في عبارة (كتابي) مثلا ياء متكلم (...). و لكن ما بال هذه الياء في عبارة (جاءني)، أو (حولي)، وعلى أتمها في (كتابي) أيضا لا ينبغي لها أن تكون ياء للمتكلم، لأننا لو مضينا على هذا المفهوم لوجب علينا أن نطلق على النون في (نكتب) نونا للمتكلم، و على الهمزة في (أكتب) همزة للمتكلم أيضا ... بل إن هذه الياء هنا في مثلنا لهذا الأمر لا تعدو أن تكون ياءً للاحتياز، رأيت أنّ هذا الكتاب بحكم هذه الياء التي لحقته تمحض لذاتي، و لم يتمحض لك، و لا له، و لا لها... فهي تقابل في نحو اللغات الغربية الحية ضمير الامتلاك..."².

وركحا على ما سبق، فإنّ الياء في (كتابي) بموجب هذا التشاكل الجديد تصبح ياء الاحتياز وليست ياء المتكلم، و كلما وقعنا عليها مكررة في النص فإنّ تشاكل الاحتياز يكون حاضرا ذا دلالة محددة.

التشاكل الاحتيازي أنواع ثلاثة: امتلاكي، أناني، متذاتي .

أ- التشاكل الامتلاكي :

يكون بتردد ما يدل على الامتلاك عبر وحدة شعرية أو عبر النص بكامله، و مثاله :

- اِحْتَرَقْتُ عَيْنِي
- صَارَ الدَّمْعُ بِعَيْنِي
- شَرِبْتُ عَيْنِي مَاءَ الحُزْنِ
- شَبَّحُ امْرَأَةً ظَلَّ يُنَادِي وَجْهِي
- حِينَ خَلَعْتُ ثِيَابَ المُنْفَى

¹ - ينظر عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة، ص 87

² - المرجع نفسه: ص 87، 88

- مَهْلًا يَا قَدَمَيَّ الدَّائِرَتَيْنِ

يظهر تشاكل الامتلاك من خلال الكلمات : (عيني، بعيني، وجهي، خلعت، قدمي) حيث تمثل بياء و تاء الامتلاك الرابط التشاكلي للوحدات السابقة¹.

- هَذَا حِصَانِي وَ شِعْرِي وَ سَيْفِي

- فَخُذُوا لَعْنِي

- وَ كِتَابَ حَيَاتِي

تتضمن هذه الوحدات الشعرية تشاكلين :

- التشاكل الأول : انتهاء الكلمات (حصاني، شعري، سيفي، لغتي، حياتي) بياء الامتلاك.

- التشاكل الثاني : اقتران القيم الواردة في الوحدات السابقة ببعضها على سبيل التطلع إلى اكتمال المرءة لدى الرجل العربي.

- الحصان يتشاكل مع السيف.

- السيف يتشاكل مع الشعر .

- الشعر يتشاكل مع اللغة .

- الحياة تتشاكل مع الحصان و السيف و الشعر و اللغة².

ب-التشاكل الأناني:

الأناني نسبة إلى الأنا، و الأنا هنا لا يمنحه مرتاض خلفية فرويدية، و إنما يطبعه بطابع فلسفي يقصد به " إثبات وجود الأنا وإنكار وجود الأشياء"³.

إنّه _ في تصور مرتاض _ مجرد سمة، ذكرها يفضي إلى تمثل مجموعة من الساكنين في هذا الوجه من الأرض.

الأنا ← نحن، الجماعة، القبيلة، الساكنة .

أنا (النص) ← أنته، نحنه، هو، هيه، ضمير الجماعة ...⁴

¹ - عبد الملك مرتاض : شعرية القصيدة ، قصيدة القراءة . ص 90

² - ينظر المرجع نفسه: ص 100

³ - المرجع نفسه : ص 108

⁴ - ينظر المرجع نفسه: ص 109

فالتشاكل الأناني لا يوحى بالأنانية و حب الذات والتفرد أو الأنا المريضة و إنما "الأنا" التي تتألم و تأمل بروح الجماعة، تفكر بضمير الجماعة و تعيش هموم الجماعة و اهتماماتها، حيث يرتسم هذا الأنا الجمعي على لوحة النص فتظهر الخيوط و تختفي التفاصيل.

و مثال هذا النوع من التشاكل الوحدات الشعرية الآتية :

- حِينَ خَلَعْتُ ثِيَابَ الْمُنْفَى

- كَلَّمَا قُلْتُ إِنَّ هَوَاهُمْ سَيَقْتُلُنِي

يظهر التشاكل الأناني في المقومين (خلعت، قلت) و هما متشاكلان من حيث إن كلا منهما الأنا الدال على الجماعة الدالة على عامة المتساكنين المنتمي إليهم هذا النص، ثم إنهما يعنيان معنيين متقاربين متشابهين. و يضبط مرتاض هذا التشاكل من خلال تركيزه على التاء المتصلة بالفعلين (خَلَعْتُ وَ قُلْتُ)¹.

- أمشي وراء صوته

- حيناً أصير ظله

يتجسد التشاكل الأناني في العنصرين (أمشي، أصير) و هنا أيضا الأنا تنخلع من أنانيتها لتعبر عن الأنا الجمعي الدال على انتماء الشاعر .

ت- التشاكل المتداتي :

يبدأ مرتاض في بداية اصطناع هذا المصطلح الغرابة التي تحيط بهذا المصطلح الوليد. فالمتداتي جاء من الذات، ثم اتخذ منه الناقد فعلا للمشاركة " تذااتي، يتداتي، تذايتا، متداتٍ، و التذاتي _ في نظره _ هو الاشتراك في صفة الذات، و هو الذي يحاول الذوبان في الذات الأخرى أو الإذعان لها، أو السير في سبيلها طوعا أو اختيارا، فهو يجسّد الخضوع و الاستسلام. يرصد هذا النوع من التشاكل بتتبع اليباءات و الحروف الدالة على الذات و الحميمية من طريق العلاقة مع الآخرين.

في هذا الصنف التشاكلي تظل الشخصية الشعرية و تبقى سلبية لا إيجابية، و متأثرة لا مؤثرة و منفعة لا فاعلة².

¹ - ينظر عبد الملك مرتاض : شعرية القصيدة ، قصيدة القراءة ص 121

² - ينظر المرجع السابق: ص 121

و مثاله :

يَتَمَلِّكُنِي حُزْنُ كُلِّ الْيَمَانِينَ
يَفْضَحُنِي دَمْعُهُمْ
كُلَّمَا قُلْتُ : إِنَّ هَوَاهُمْ سَيَقْتُلُنِي

إنّ الذات تغتدي في هذه الوحدات الشعرية موضوعا لتأثير خارجي عنها طارئ عليها، فاعل فيها هو (حزن كل اليمانيين) و يشاكلة في ذلك (يفضحني دمعمهم)، ما تبديه الذات تجاه اليمانيين من شعور مرتبط بأطراف أخرى و بعلاقة خارجية جاثمة على النفس.

يتجسّد التشاكل المتداتي في العناصر (يتملكني، يفضحني، يقتلني) ووفقا لذلك تتعرض الذات أولا لوقوع الحزن، و ثانيا للفضيحة، و ثالثا للقتل، و كأنّ هذا التشاكل يبدأ نشوئيا ثم تطوريا ثم تدريجيا¹.

و يسجّل مرتاض بين هذه المتشاكلات تباينا بين (يتملكني، يفضحني)، فالتملك _ في تصوره _ "استقبال لعلاقة خارجية، و هو حال مجسّدة لحدوث شيء ينطلق من نحو الخارج إلى الداخل، بينما نلفي المعنى في عنصر (يفضحني) مبينا لذلك، إذ الفضح هو حال يتحوّل عبرها ما بالداخل إلى الخارج فإذا كان منكتما مستترا، يغتدي متكشفا مبتديا"².

يعيد مرتاض تشكيل الوحدات الشعرية التشكيلية على النحو الآتي :

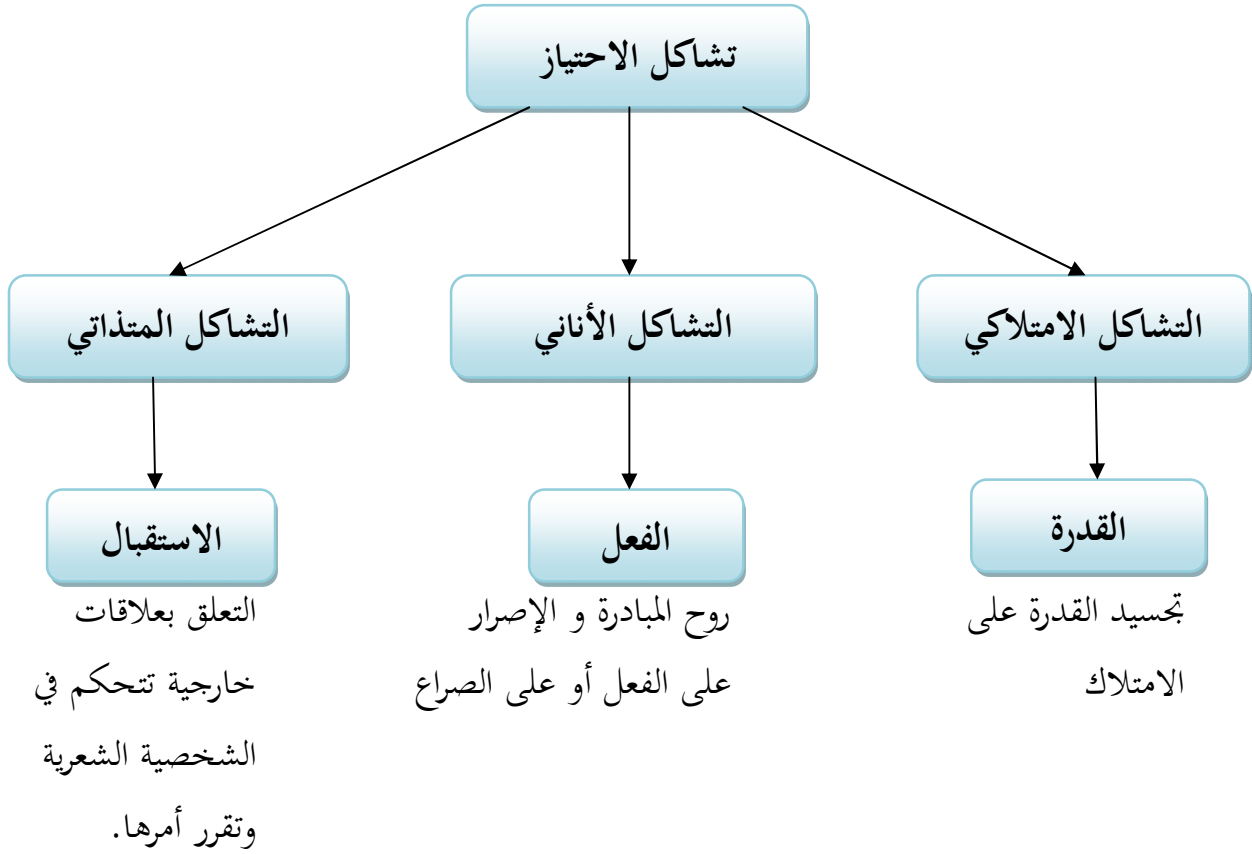
يَتَمَلِّكُنِي حُزْنُ كُلِّ الْيَمَانِينَ
يَفْضَحُنِي دَمْعُهُمْ
كُلَّمَا قُلْتُ : إِنَّ هَوَاهُمْ سَيَقْتُلُنِي

إنّ المتأمل لأنواع التشاكلية التي اصطنعها مرتاض تحت تشاكل الاحتياز يلفي التماثل ظاهرا بين هذه الأضرب، إذ أنّ الباحث يهتدي لهذه التشاكلات من خلال الكلمات الدالة على الامتلاك المتصلة ببياء الامتلاك أو التاء أو القرائن الضمنية الدالة على ذلك.

¹ - المرجع نفسه، ص 123

² - ينظر عبد الملك مرتاض : شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، ص : 122

غير أنّ مرتاضاً و مع هذا التنوع سعى جاهداً للفصل بين هذه الأنواع، وهو ما يظهر في المخطط الآتي :



ووفقاً للتمييز السابق يخصي مرتاض في قصيدة أشجان يمانية :

29 - متشاكلاً دالاً على الامتلاك.

26 - متشاكلاً دالاً على الأنا .

20 - متشاكلاً دالاً على المتدات¹ .

يحاول مرتاض من خلال هذا الجهد بناء نظرية عربية نقدية جديدة ترتبط بأصولها العربية القديمة و تمتح من مخزون التراث الحي، و تتلاقح بما استجد من بحوث و نظريات و دراسات نقدية غربية و ما الدرس التشاكلي إلا دليل على هذا المنزع المرتاضي.

¹ - ينظر عبد الملك مرتاض : شعرية القصيدة ، قصيدة القراءة ، ص : 121

ثالثا: حدود العلاقة بين النموذجين

توطئة :

يشهد معظم النقاد المغاربة المشتغلين بحقل نقد النقد أنّ المغربي محمدا مفتاحا كان على رأس من واجهوا المفهوم الغربي للتشاكل تنظيرا و ممارسة ثم جاء من بعده مرتاض "ليتلّف هذا المصطلح بشراهة علمية عجيبة فكان أكثر السيميائيين تعاطيا لهذا المفهوم وأجرأهم تصرفا في دلالاته"¹. غير أنّ هذه الريادة التي حازها مفتاح لا تعني أنّ جهود مرتاض في هذا الباب كانت نسخة منقولة متأثرة بجهود الأول، بل هناك كثير من التمايز بينهما تتخلله بعض المواقف التوافقية رصدناها في المحطّات النقدية الآتية :

1 - التشاكل و التباين و إشكالية التأصيل :

أ- مع عبد الملك مرتاض:

الدرس التشاكلي عنده تأسس على النتائج التي توصلت إليها النظريات النقدية الغربية المعاصرة وعلى ما جاء به التراث العربي القديم جنبا إلى جنب في عجين مكين يوحى ببوارد بناء نظرية نقدية عربية حديثة .

لقد أشاد مرتاض في كثير من مناسبة إلى مصادره النقدية معلنا عن تأثره بالمنهج الألسني "أنا ناقد ألسني والألسنية هي علم اللغة، وتحت مظلة علم اللغة تأتيك البنيوية و تأتيك السيميولوجية و تأتيك التشريحية، وتأتيك الأسلوبية. هناك أربعة مناهج تحت مظلة النقد الألسني"². وقد كان اللسانيون والسيميائيون الفرنسيون أساتذته الأولين الذين أخذ عنهم المفاهيم و الإجراءات النقدية الحديثة، و بخاصة في مطلع الثمانينات ولعل أبرزهم (دي سوسير وتودوروف و جاكبسون و رولان بارت و جوليا كريستيفا) وعلى رأس كل هؤلاء شيخ السيميائيين غريماس الذي تأثر به تأثرا شديدا و أعجب بالمفاهيم و التقسيمات التي أحاط بها فرعية التشاكل، و التي بلورت رؤيته النقدية الفاحصة التي تتمثل الصالح من الطالح، تنظر في المتغيرات و تقف عند الثوابت و الحدود و يوضّح مرتاض هذا المنهج بقوله: " أمّا مانودّ نحن فهو أن نفيد من النظريات الغربية القائم كثير منها على

¹ يوسف و غليسي: إشكالية المصطلح في النقد العربي الجديد، ص 265-266

² عبد الملك مرتاض : في حوار أجراه معه جهاد فاضل نشر ضمن أسئلة النقد، الدار العربية، ص 210

العلم، كما نفيد من بعض التراثيات و نخضم هذه وتلك ثم نحاول أن نتناول النص برؤية مستقلة مستقبلية¹.

وإثراء لمنظومته المفاهيمية و المصطلحاتية و الإجرائية أفاد مرتاض من كثير من المعاجم اللسانية الغربية و العربية، محاولاً ترسيم معالم بعض المصطلحات الخاصة بالتشاكل و التباين، كالدورة السيميائية، الزوج السيميائي، المقوم، التباين، الانزياح، وقد حظي معجم غريماس و كورتيس السيميائي ومعجم جان ديوي و أصحابه بكثير من الفحص و التقيب و المقارنة عند الناقد و ذلك كله لتأسيس منظومة التشاكل و التباين، ولكن بنظرة عربية أصيلة من خلال البحث عن أصول هذه المفاهيم و الإجراءات في التراث العربي القديم، ويؤكد مرتاض هذه الخطوة بقوله: "سواء علينا أمثّلنا هذا المفهوم في ثوبه البلاغي القديم (العدول) أو في ثوبه السيميائي الجديد (الانزياح) فإنّه في الحالتين الاثنتين يكاد يعني شيئاً واحداً لدى ريفاتير و غريماس و جان ديوي و أصحابه، وغير هؤلاء من اللسانيين و السيميائيين المعاصرين"²

و الجدير بالذكر أنّ مرتاضاً لم يقف عند حدود الدرس السيميائي الفرنسي بل تعداه إلى الاهتمام بالدرس و التطبيق للمفاهيم و الإجراءات السيميائية التي أشتهر بها الأمريكي (شارل ساندرس بيرس³ *Charles Sanders Peirce*) و خاصة فيما يتعلق بمفاهيم الإقونة و القرينة و الرمز و الإشارة.

هذه التراكمات المعرفية و النظرية المتواصلة ساهمت في تشكيل رؤيته النقدية التي انبنت على الانتقائية في التركيب بين بعض المناهج بما يصلح ويتوافق مع خصوصيات و ثوابت النص العربي وقد علّل مرتاض ذلك بأنّ فرعية التشاكل لا يمكن أن تحصر في إطار السيميائيات كما فعل غريماس و إنّما يجب أن تتاح لها مساحات شاسعة و مستويات مختلفة يعمل فيها التشاكل و التباين دون توقّف، كما يؤكد على أنّ التهجين في هذه الحالة أمر ضروري لتنشيط أدوات المنهج و تفعيله إجراءاته، ليكون خصيباً، وذلك لا يتأتى إلا بتعميق الرؤية النقدية وتطوير القراءة

¹ - عبد الملك مرتاض: ألف ليلة و ليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية «حمّال بغداد»، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993.

ص: 11

² - عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة، ص 120

³ - بيرس: سيميائي و فيلسوف أمريكي (1839م-1914م)

التأويلية و توسعتها إلى أقصى الحدود، و الاعتماد على الكفاءة الذاتية بتفجير كل ما هو كامن، و تجلية كل ما هو مستتر.

غير أنّ الكثير من النقاد العرب لم يستغ ما قام به مرتاض من تركيب بين المناهج بحجة أنّها لم تبني على توحد ابستمولوجي، و جعلوا من ذلك مطية للتداول على الناقد، ووسم مقارباته التركيبية بالخلط الشنيع الفاضح بين السيميائية و التفكيكية و المستوياتية و الإحصائية، دفع بعضهم إلى التأكيد على غياب وعي صارم بماهية المنهج من جهة و حدود التركيب و التكامل من جهة أخرى¹.

ب- محمد مفتاح و روافد الدرس التشاكلي :

إنّ اللسانيات و السيميائيات عند مفتاح تمثلان خير أداة في الكتابة و التدريس، ولكن التقيد بالمنهج الواحد و العكوف على نظريات مدرسة بعينها دون الأخرى في تصوره يوقع في الكثير من المشاق و المزالق كما أنّ " أية مدرسة لم تتوقف إلى الآن في صياغة نظرية شاملة، و إنّما كلّ ما نجده هو بعض المبادئ الجزئية والنسبية"²، و نتيجة لذلك يرفض مفتاح الالتزام بمنهج واحد ويفضّل التعدّد و التركيب "رغم ما يتضمه من مشاق و مزالق"³، لأنّ استيعاب نظرية واحدة يتطلب الكثير من الجهد و الوقت في حين أنّ " تفهّم نظريات مختلفة يفوق ذلك أضعافاً مضاعفة"⁴.

يرفض مفتاح التلفيقية التي نعت بها بعض النقاد العرب المحدثين عملية التركيب المنهجية، و يتمسك بالانتقائية، مؤكّداً على أنّ " آفة التلفيقية لا تصيب إلا من كان ساذجاً مؤمناً إيماناً أعمى بما يقرأ غير متفطن للظروف التاريخية والإبستمية التي نشأت فيها النظريات، و غير قادر على تمييز الثوابت من المتغيرات في كل منها"⁵. و يبدو أنّ الانتقائية ليست بالأمر الهين، بل هي عمل شاق يقتضي الإطلاع على الظروف المصاحبة لنشأة كل منهج، هذا من جهة، و من جهة أخرى التفطن إلى حدود الثوابت و المتغيرات و حصافة التعامل معهما.

¹ - ينظر يوسف و غليسي: الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، ص 93

² - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص 7

³ - المرجع السابق: ص 7

⁴ - المرجع نفسه: ص 7

⁵ - المرجع نفسه: ص 7

إنّ التركيب المنهجي عند محمد مفتاح يتغذى من روافد فلسفية وإبستمية ويسقى بقنوات معرفية متعددة المشارب، أفاد منها الناقد في لغتها الأصلية أو عبر وسيط ثقافي، بإعمال الفحص و الكشف و التمحيص، و تشكل اللسانيات و فروعها أكثر الروافد و أخصبها مجالا عنده لممارسة البحث والتنقيب ثم البناء وقد أعلن عنها الناقد في مناسبات كثيرة في معرض تقديمه لعناصر تحليل الخطاب الشعري. ولعل أبرزها :

-التيار التداولي: يبرز مفتاح في مستهل كتابه (تحليل الخطاب الشعري) النظريات التداولية التي تستدعي البحث الدارسة، أشهرها:

-نظرية الذاتية اللغوية التي من أبرز روادها (موريس¹ *Charles W. Morris*)

-نظرية الأفعال الكلامية التي أسسها فلاسفة أوكسفورد (أوستين² *John Austin*، سول³

John Searle، كرايس⁴ *Herbert Paul Grice*)

- التيار السيميائي: وأهم ممثل له غريماس، حيث أصبحت نظريته أوسع وأشمل نظرية في تحليل الخطاب الإنساني، وذلك لتعدد روافدها و أسسها (أنثروبولوجية، لسانيات بنيوية و توليديّة و منطقية) غير أنّها لم تكن النظرية الوحيدة التي تأثرت بها مفتاح، بل نهل مدارس سيميائية أخرى أهمها:

- جماعة (μ): يثمن مفتاح جهود هذه الجماعة، من خلال كتابهم المشهور (بلاغة الشعر) الذي يعد كتابا "متنوع القنوات المعرفية: الجشطالتيّة، التحليل النفسي، الأنثروبولوجيا السيميوطيقا، اللسانيات، وجوهر الكتاب يسير في تيار غريماس"⁵.

- سيميوطيقا الشعر: يرى مفتاح مع ميكائيل ريفاتير⁶ *Michael Riffaterre* أنّ التناول السيميائي للشعر أخصب من التحليل اللساني له"⁷.

¹ - شارل موريس : سيميائي و فيلسوف أمريكي (1901م-1979م)

² - أوستن: فيلسوف بريطاني (1911م-1960م)

³ - سول : فيلسوف أمريكي (و. 1932)

⁴ - كرايس : فيلسوف بريطاني (1913م-1988م)

⁵ - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص 10

⁶ - ريفاتير : لساني فرنسي (1924م-2006م)

⁷ - المرجع نفسه: ص 4

- معجم غريماس وكورتيس: يجد مفتاح في المعجم عدة مداخل تتعلق بالشكل (الوقائع النغمية والإيقاع)، وأخرى خاصة بالمضمون (التشاكل، المعنى العرضي، الاستعارة، الانزياح)، و مع ذلك وجه لهما نقدا لاذعا فيما يخص العلاقات التي تضمّنها مربعهما السيميائي إذ يعترّيهما الكثير من التناقض و التضارب .

و يستخلص مفتاح بعد هذا العرض القواسم المشتركة بين المنظرين السيميوطيقيين للشعر يتمثل أغلبها و أظهرها في:

"_ قراءة النص الشعري من وجهي التعبير و المضمون .

- تعدد القراءات للنص الواحد بناء على تطبيق مفهوم التشاكل .

- النص الشعري لعب لغوي.

- النص الشعري منغلق على نفسه له عامله وحياته الخاصان به فلا يحيل على الواقع إلا ليخرقه.

- جدلية النص و القراءة"¹.

- تيار الشعرية:

اطّلع الناقد ضمن هذا التيار على بعض النماذج الغربية في تحليل الخطاب الشعري، و الاهتمام بمصطلح الشعرية، و من أشهر المساهمين :

أ- جاكبسون² *Roman Jakobson*: من أولئك الذين ساهموا في تأسيس النظرية الشعرية رغم ما اتسم به تحليله من البساطة والتقليد.

ب- جان كوهن³ *Jean Cohen*: اهتم بمفهوم اللغة الشعرية، و الشعر عنده يقوم على المجاز، و بخاصة الاستعارة و من ثم فهو يقوم بخرق العادة اللغوية .

ج- مولينو و تامين: يتحفّظ مفتاح على رفضهما اللسانيات، و مهاجمتهما للمدعين بأنّها الحل السحري لكل مغاليق الخطاب الشعري، و يرى أنّ دعواهم واهية لأنّها قائمة على غير بيّنة⁴.

¹ - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري: ص: 12

² - رومان جاكبسون : لساني روسي (1896م-1982م)

³ - جان كوهين : فيلسوف و لساني فرنسي (1919م-1994م)

⁴ - ينظر المرجع نفسه: ص 13

هذا وقد انتهج مفتاح خطة متميّزة في تحليل ومناقشة ومحاور ما توصلت إليه التيارات السابقة حيث لم ينتهج طريقة (خالف تعرف)، وإنما وقف إزاءها ثلاثة مواقف:

- تقديم ما ثبت الإجماع عليه، مثل المقاطع و نبر الكلمات .

- مناقشة النموذج لتبيين ثغراته لإعادة تصنيفه عن طريق الإضافة أو الحذف، مثل: الأفعال الكلامية، نموذج غريماس.

-إعادة صياغة المشاكل مما ينتج عنه بنية جديدة، مثل: التشاكل، التناس.

وعموما، فإنّ تركيبه المنهجي يتأسس على الثنائيات الآتية:

1- اللغة محايدة بريئة شفافة ↔ اللغة مخادعة مضللة تظهر غير ما تخفي

(تشومسكي، كرايس...) (بارت و أضرابه)

2- اللغة الواقع و تعكسه ↔ اللغة تخلق واقعا جديدا

(الوضعيون والماركسيون) (الجشطالتيون، الشعراء)

3- الذات المتكلمة هي العلة الأولى ↔ الهيئة المتلقية لها دور كبير في إيجاد الخطاب

و الأخيرة في إصدار الخطاب و تكوينه .

(سورل، نظرية المقصدية) (نظرية التفاعل)

4- الثنائية الضيقة ↔ الثنائية الموسعة

(المناطقة و العلماء) (الاحتماليون)¹

وبعد هذا العرض المختصر للروافد و المرجعيات المعرفية و الفلسفية للناقدين تطفو إلى سطح

الموازنة العناصر المشتركة الآتية:

- استفادة الناقد من معظم النظريات اللسانية.
- انطلاقيهما في التأسيس لدرس التشاكل مما جاء به غريماس .
- اطلاع الناقد على مناهل السيميائية على اختلاف ألوانها و أعلامها الغربيين والأمريكيين و بخاصة (دي سوسير، غريماس، بارت، بيرس).

¹ - محمد مفتاح تحليل الخطاب الشعري، ص: 14

- اهتمام الناقدین بالمعاجم اللسانية والسیمیائیة الغریبة، و الاعتماد علیها فی التأسیس و التحدید و التطبيق، و من أبرز هذه المعاجم (معجم غریماس و کورتیس السیمیائی، معجم اللسانیات لجان دیو و أصحابه، القاموس الموسوعي لعلوم اللغة لتودروف و دیکرو، معجم لاروس، معجم روبیر).
 - مراعاة الناقدین خصوصية الثقافة العربية و ثوابتها عندما يتعلق الأمر بتبیئة المناهج أو إعداد المنظومة المصطلحاتية و المفاهیمیة لهذه المناهج بالعودة للتراث و إحياء الصالح منه للحدثة العربية .
 - التمسك بالتركيب المنهجي و رفض التلیقیة.
- غير أنّ هذا التوافق ليس كلياً، بل هناك تمايز بينهما، وهو أمر طبيعي راجع لاختلاف التفكير بين البشر، إضافة إلى اختلاف عوامل التكوين وظروف التعلم، و كذا اختلاف البيئة و معطياتها واهتماماتها، و نتيجة لذلك نسجل التباينات الآتية بين محمد مفتاح و عبد الملك مرتاض:
- انغلاق مرتاض شبه كلي على ما جاءت به الدراسات و الأبحاث الفرنسية، و تأثره بالسیمیائیین الفرنسيین، و بخاصة مدرسة باريس، بينما يفتح مفتاح على الكثير من الثقافات الغریبة، و يفيد من الدراسات اللغوية الفرنسية و الألمانية و الإيطالیة و الأنجلوسكسونية، و هو ما نجده واضحاً جلياً في مفتاح كتابه (تحليل الخطاب الشعري)، حيث يكتظ بالكثير من العلماء و المناطق و اللغويين الغربيين و الأمريكيين.
 - تهجين مرتاض الكثير من المناهج الغریبة دون الأخذ بعین الاعتبار الحدود الابدسیمیة و الفلسفية، في حين يتحوّل التهجين عند مفتاح إلى بناء ابدسیمولوجي يفيد من مواضع الالتقاء و الخصب و النماء.

2- تأسيس مفهوم التشاكل و المصطلحات المرتبطة به:

يختلف مرتاض و مفتاح اختلافاً بيناً في كيفية اصطناع المصطلح النقدي المرتبط بالتشاكل والتباين، وهذا الاختلاف ليس رهناً عليهما فقط، وإنما هو فتنة ابتلي بها النقد العربي المعاصر و افتتن بها كثير من نقادنا العرب المحدثين، إذ كل له منظومة مصطلحية و مفاهیمیة يراها مناسبة و قمينة بمواجهة المفاهيم و المصطلحات النقدية الغریبة الوافدة، و لعلّ مرتاضاً كان الأجرأ في

انتهاج هذا السبيل، واصطناع كثير من المصطلحات التي تبدو غريبة. وعلى العكس من ذلك لا نجد عند مفتاح ذلك الكم من المصطلحات النقدية اللافتة للانتباه، و الداعية إلى الغرابة، و يمكن توضيح هذه الفروقات بينهما في الجدول الآتي:

المصطلح الأجنبي	نموذج عبد الملك مرتاض	نموذج محمد مفتاح
<i>Sémiotique</i>	سيمائية	سيمائية، سيمياء، سيميوطيقي
<i>Isotopie</i>	تشاكل، مشاكلة، إيزوطوية	تشاكل
<i>Allotopie</i>	تباين، لا تشاكل تقابل، مقابلة	تشاكل
<i>Sème</i>	سمة	مقوم
<i>Sèmèe</i>	مقوم، معنم، موضوع	المفردات المملوءة
<i>Iterativites</i>	بدعة	تكرار
<i>Communication</i>	تبليغ، إبلاغ	تواصل

وقد تم الاقتصار في هذا الجدول على بعض المصطلحات دون غيرها لارتباطها بمصطلح التشاكل وتداولها عبر المدونات النقدية للباحثين عندما يتعلق الأمر بإجراء التشاكل و التباين.

-المصطلحات الخاصة بكل ناقد:

أ-مصطلحات مرتاض:

ينفرد مرتاض عن جميع النقاد العرب المحدثين بمنظومة مصطلحاتية غنية و متنوعة، بعضها معرّب و بعضها الآخر مبتدع، فرضته خصوصيات الثقافة العربية وحاجاتها الملحة لتجديد أدواتها و مفاهيمها و إشكالاتها النقدية و المعرفية، و من المصطلحات التي ارتبطت بمفهوم التشاكل عنده نذكر:

- الانتشار و الانحصار: مفهومان مركزيان، لا يتم التشاكل و التباين إلا من خلالهما .
- الدورة السيميائية: تقتضي هذه الدائرة ارتباط العناصر السيميائية ببعضها ارتباطاً وثيقاً و تكون العلاقات بينها إما قائمة على التشاكل أو التباين.
- التعلق: كل عنصر سيميائي يتعلق بالعنصر الذي يليه و يتحاور معه تحاوراً تشاكلياً أو تقابلياً.

- الزوج السيميائي: ارتباط زوجين سيميائيين ببعضهما و تلازمهما في التركيب .
 - التشاكل التلاؤمي: تشاكل قائم على التلاؤم و التوافق بين كلمتين أو تركيبين .
 - التشاكل الاحتيازي: تشاكل أساسه الامتلاك، و الاهتداء إليه يكون بتتبع كل ما يدل على الامتلاك في النص، وهو ثلاثة أنواع: التشاكل الامتلاكي، التشاكل الأناني، التشاكل المتداتي
- ب- مصطلحات محمد مفتاح :

تغلب على مصطلحات مفتاح سمة التراثية و الاعتدال في اصطناع المصطلح، و محاولة الأخذ بما تم الاتفاق عليه، و ما تم تداوله في الساحة النقدية العربية، و مثال ذلك: تشاكل التعبير تشاكل المعنى أو التشاكل الرسالة، تشاكل الصوت، تشاكل الكلمة، تشاكل المعجم، تشاكل التركيب النحوي، تشاكل التركيب البلاغي، المقوم، التحليل بالمقومات، الكلمة المحور، جناس التصحيف، التكرير، التراكم ...

و لا يلجأ مفتاح إلى تعريب المصطلح الأجنبي إلا إذا وجد فيه زيادة في التوضيح و التوصيف و تقريب المفهوم، ووصله بما يناسبه من التراث العربي القديم، ومن هذه المصطلحات يلفت انتباهنا - الأناقرام: "و نترجم هذا المفهوم بجناس القلب"¹
 - الباراغرام: "كلمة محورية مصنوعة أو مذكورة"²
 ومع ذلك فإنّ مفتاحا لا يستعمل هذين المصطلحين معربين إلا مرة واحدة حينما ألقى إلينا المفهومين كممارسة نقدية جديدة دخيلة، ثم لا يألو إلا أن يتمسك بالمقابل العربي المناسب للمصطلح الوافد.

3- تعريف التشاكل و روافد التحديد لدى الناقلين :

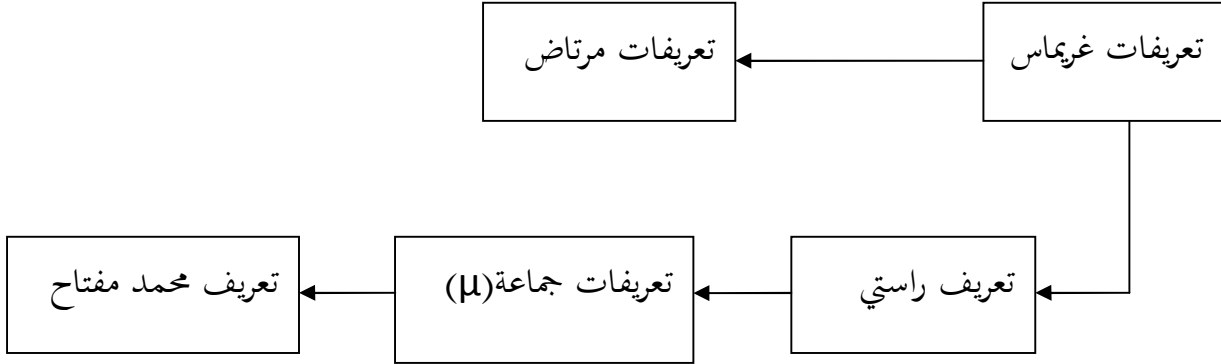
لا خلاف بين مفتاح و مرتاض في أنّ مصدر صياغة تعريف شامل و كامل للتشاكل هو التعاريف التي أحاط بها غريماس هذا المفهوم في معجمه السيميائي المشترك مع كورتيس

¹ - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص 42

² - المرجع نفسه، ص 42

و لكن مع هذا التباين:

- مرتاض أفاد من غريماش مباشرة دون تتبع آراء و اقتراحات نقاد غربيين آخرين، بينما مفتاح بنى تعريفه للتشاكل على النقود التي وجهها لكل من غريماش وراستي و جماعة (μ)، و يمكن توضيح ذلك في المخطط الآتي:



و يتضح من المخطط استفادة مفتاح من قنوات معرفية متعددة لصياغة تعريف شامل وواضح للتشاكل يساعد على تحليل فعال و ناجع للخطاب الشعري ضمن مستويات نصية متعددة. و التعريف الذي اقترحه مفتاح هو " التشاكل تنمية لنواة معنوية سلبيا أو إيجابيا بإركام قسري أو اختياري لعناصر صوتية و معجمية و تركيبية و معنوية و تداولية ضمنا لانسجام الرسالة"¹، بينما مرتاض يقترح التعريفين الآتين :

- التشاكل: "تشابك لعلاقات دلالية عبر وحدة ألسنية إما بال تكرار أو بالتماثل أو بالتعارض سطحا و عمقا و سلبا و إيجابا"²
- التشاكل: "تبادل الخصائص الشكلية بكل مظاهرها النحوية والمورفولوجية و الإيقاعية إفرادية كانت أم تركيبية"³.

¹ - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص 25

² - عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، ص 43

³ - عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني، ص 159

بالمقارنة بين النموذجين تنتج لدينا العناصر الآتية :

- التشاكل عند مفتاح يحصل من خلال تنمية النواة النصية أو البؤرة المعنوية، أمّا عند مرتاض فتتشكل من تكرار أو تماثل الوحدات الألسنية في النص .
- التشاكل عند مفتاح يشتغل في مستويين متكاملين :المستوى الشكلي و المستوى المعنوي، و الأول يشمل :تشاكل الصوت و تشاكل الكلمة و تشاكل المعجم و تشاكل التركيب، و هو عند مرتاض كذلك غير أنّ العناصر الشكلية تقتصر على المظاهر النحوية المورفولوجية و الإيقاعية و التركيبية دون الصوتية.
- يتضمّن تعريف مفتاح عناصر جديدة تتمثل في التناص و التداولية، و هما عنصران أغفلهما رواد التشاكل من قبل، و كذلك فعل مرتاض في التعريف، غير أنّه لجأ إليهما اضطراراً من خلال بروزهما بشكل لافت للانتباه في النصوص الشعرية التي قام بتحليلها .
- التشاكل عند الناقدین یضمن انسجام الرسالة و ترابط مقولاتها .

4- أنواع التشاكل :

يصطنع مرتاض أنواعاً متعددة من التشاكل لا نجد لها أثراً عند النقاد الغربيين و العرب والمحدثين ويرى مرتاض أنّها أنواع لا مناص من تحديدها و التأسيس لها، لأنّها شكّلت ظاهرة بارزة في الشعر العربي المعاصر، و ارتبطت بالشخصية الشعرية الحديثة، ولا يلجأ مفتاح إلى هذا التقسيم و التنويع المبتدع، وإّما يقتصر على التفريعات التي أقرّها جماعة (μ) في كتابها (بلاغة الشعر).

إنّ الأنواع التشاكلية التي اقترحها مفتاح هي الأنواع نفسها التي دعا إليها راستي، ومن بعده جماعة (μ) التي تأثر بمنهجها تأثراً شديداً، من خلال التقسيم الثنائي الذي جدّدت به الجماعة البلاغية الغربية (تشاكل التعبير، تشاكل المضمون)، بينما نموذج مرتاض غلبت عليه نظريات مدرسة باريس السيميائية، و بخاصة مقترحات غريماس في هذا المجال بالإضافة إلى اللمسة المرتاضية المتفردة المنتهجة لسلوك الإبداع و الاكتشاف وكسر حواجز التوصية و التثبيط.

5- مجال تطبيق التشاكل عند الناقدین:

أ- عند محمد مفتاح :

يقتصر تطبيق التشاكل عند مفتاح على نوع واحد من الشعر وهو الشعر الأندلسي و المغربي، و بخاصة ذلك الذي صاحب انهزام المسلمين وتراجعهم أمام المد المسيحي الإسباني المتواصل، وهو الشعر الذي سجّل الاضطرابات السياسية والاجتماعية و الثقافية التي كانت سائرة آنذاك، و يعزو مفتاح سبب هذا الاختيار إلى أنّ هذا الشعر مشحون بكثافة دلالية مخزّنة داخل الوحدات الشعرية التي تضمّر الكثير وتتستر عن التجلي و تتأبى عن البوح، كما أنّ هذه النصوص الشعرية وصفت بدقة تفرّق الدول الإسلامية في الأندلس و المغرب العربي، وما اعترها من فوضى فكرية و سياسية وهو الأمر الذي أغرى مفتاحا بإعادة قراءة قصيدة ابن عبدون الرائية، برؤية حديثة تركز على " ثلاث بنيات أساسية هي: بنية التوتر، بنية الاستسلام، بنية الرجاء و الرهبة"¹. و كذلك التسلل إلى الجوامع الخفية التي نسجت قصيدة ابن طفيل البائية، و هي قصيدة يصنّفها مفتاح ضمن القصائد الاستنفازية ذات توجه سياسي و إيديولوجي يدعو إلى وحدة الأمة ووحدة الدولة، أو الدعوة إلى المصالحة بين الدويلات حتى يمكنها من القيام بفريضة الجهاد. وقد ساهم التشاكل بما يوفّره من إجراءات في الاطلاع على بؤر هذه النصوص الشعرية و تتبع ارتداداتها و تكتفها، و من ثم الوقوف على الوظيفة الايديولوجية التي حملها الخطاب الشعري.

الوظيفة الايديولوجية و السياسية	الظرف التاريخي	القصيدة
- اتخاذ البشرية الجدل بالسيوف و الرفع بالرمح قانونا بدلا من الدفع بالتي هي أحسن ²	دولة بني الأفضس (ملوك الطوائف بالأندلس)	القصيدة الرائية لابن عبدون
محاولة التوفيق بين فئات المجتمع و تعزيز السلطة لمواجهة العدو ³	الدولة الموحدية	القصيدة البائية لابن طفيل

¹ - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص 339

² - محمد مفتاح: التلقي و التأويل، ص 214

³ - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص 342

ب- عند عبد الملك مرتاض:

إذا كان تطبيق التشاكل عند مفتاح يقتصر على مرحلة تاريخية واحدة فقط لاستخراج الوظيفة الإيديولوجية و السياسية التي طبعت تلك المرحلة، فإنّ مرتاضا مارس التشاكل في نصوص شعرية في مراحل تاريخية مختلفة :

- أبيات لامية مجهولة القائل، قيلت إمّا في أواخر القرن الثالث للهجرة، و إمّا في بدايات القرن الرابع للهجرة، و هي الفترة التي صاحبت قيام الدولة الرستمية بتهيرت. و لقد كان الغرض من دراسة هذه الأبيات إبراز الاحترافية الشعرية التي يقف أمامها الناقد حائرا من أمر هذا الشعر المبكر الذي جعل الشعر الجزائري القديم يختص بتلك الخصائص الأنيقة اللطيفة الرهيفة¹.

- قصائد شعرية معاصرة: قصيدة (شناشيل ابنة الحلبي) للسياب²، و قصيدة (أشجان يمانية) للشاعر اليميني المقالح، و أبيات من قصيدة (قلب شاعر) لأبي القاسم الشابي³، و قد ولج مرتاض إلى قلوب هذه القصائد من خلال إجراء التشاكل و التباين باحثا عن سمات التفرد و كفاءة الشعراء المعاصرين في اللعب باللغة و التجديد في الصور الفنية التي تستوعب الاهتمامات والتحديات التي تشغل بال الإنسان العربي المعاصر، وهي صور في غالبها تتمحور حول الذات و علاقتها بالآخرين (علاقة الشاعر ببني جلدته، الشاعر و المنفى، الشاعر والسلطة، الشاعر و الدين، الشعور بالآخرين و التفكير في قضاياهم...)، ومع ذلك يؤكد مرتاض على أنّ اختياره لبعض القصائد لتجريب هذه الفرعية السيميائية لم يكن إلا اعتبارا⁴.

¹ - ينظر عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم، ص 110

² - بدر شاكر السياب: شاعر عراقي (1926م-1964م)

³ - أبو القاسم الشابي: شاعر تونسي (1909م-1934م)

⁴ - عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري، ص 41

و الجدول الآتي يختصر هذه المتغيرات بين الناقدین في مجال تطبيق سيمياء التشاكل و التباين:

نموذج مفتاح	نموذج مرتاض
اختيار القصائد مجال التجريب اختيارا قصديا للاطلاع على الوظيفة الإيديولوجية والسياسية و الفكرية التي حملتها هذه النصوص الشعرية .	اختيار القصائد و النصوص الشعرية مجال التطبيق اختيارا اعتباريا.
الاهتمام بتشاكل الرسالة ثم بتشاكل التعبير .	أغلب التشاكلات التي استخرجها الناقد تشاكلات تعبيرية و أخرى مرتبطة بالشخصية الشعرية.
ربط التحليل التشاكل بالظروف التاريخية و الاجتماعية التي قيلت فيها القصيدة .	إغفال الظروف المحيطة بالنصوص الشعرية المحللة.
الاقتصار على الإبداع المحلي و الإقليمي الممتدة جذوره في التاريخ.	الاهتمام بالإبداع المحلي و العربي عموما.

- نتيجة الموازنة :

لقد أفرزت الموازنة التي أقيمت بين مرتاض و مفتاح مدى تمايز و تغاير الدرس التشاكلي تنظيرا و تطبيقا عندهما، بالرغم من اشتراكهما في بعض السمات و الإجراءات التي فرضتها طبيعة التأسيس و التأصيل لثنائية التشاكل و التباين، و انطلاقا من هذا الاشتراك و التمايز نسجل النتائج الآتية:

- يختلف الناقدان اختلافا ظاهرا في التنظير و التطبيق لفرعية التشاكل تعريفا و تحديدا و تقسيما و ممارسة .

- ينزع مفتاح للبناء و الضبط بعد الفحص، و يفضل الاستفادة من التجارب التي سبقته، بينما مرتاض يتمرد و يثور ليتجاوز و يتكرر و يبدع .

- الدرس التشاكلي عند مفتاح ذو مشارب و مداخل متعددة في مقابل انغلاق مرتاض على ما جادت به المدرسة الفرنسية.

- حضور الأوليات الرياضية و المنطقية بقوة في أبحاث مفتاح في التحليل و التحديد و ترسيم المعالم.
- جوهر التشاكل عند مرتاض قائم على ثنائية الانتشار و الانحصار .
- التشاكل المعنوي عند مفتاح هو قطب العملية التواصلية بينما ممارسات مرتاض معظمها يقتصر على التشاكل التعبيري .
- تأكيد مفتاح على عنصري التداولية و التناص في توسيع مفهوم التشاكل و التباين .
- اعترافهما لغريماس بأسبقية التفكير و التأسيس لمصطلح التشاكل، و نقله من الميادين العلمية إلى حقل اللسانيات .
- استفادتهما من الدراسات الغربية، و محاولة ملاقحتها بالتراث العربي القديم.
- محاولة الناقد إرساء دعائم نظرية نقدية عربية حديثة.

الفصل الرابع

سيمائية تشاكل الخطاب السردى

أولاً: التشاكل كمعيار تقطعي في الخطاب الروائي

- 1- آلية التراكم و التوارد في الخطاب السردى
- 2- التشاكل و الخطاب الروائي

ثانياً: نماذج تحليلية لتشاكل الخطاب السردى

- 1-المقاربة التشاكلية لرواية (اللجنة) لعبد المجيد نوسي
- 2-النموذج التشاكلي في رواية (ذات) للناقد محمد الداھي
- 3-سيمائية التشاكل في المسرحية الأمازيغية (ثوافيت/الأحجية) لجميل حمداوي

توطئة:

اهتمت المدرسة السيميوطيقية بمفهوم التشاكل، و دأبت على إجرائه بتجريبه على الخطاب السردى، ضمن ثلاث بنىات متضافرة، بنية التجلي (الخطاب الظاهر)، البنية السطحية، البنية العميقة.

على مستوى البنية الأولى يقوم النموذج السيميوطيقي على تقطيع الخطاب إلى مقاطع سردية متسلسلة و متكاملة، يصدر كل مقطع بموضوع دلالي شامل تساهم في تشكيله مجموعة من التكرارات و التواردات البارزة، و التي تؤسس قاعدة تشاكية أولى، و يعدّ التشاكل في هذه المرحلة معيارا هاما محددا للعمل التقطيعي، إضافة للمعايير السيميائية الأخرى (المعيار المكاني، المعيار الزمني، المعيار السردى، المعيار الفاعلي، المعيار الأسلوبي، المعيار الطبوغرافي...)، أما على مستوى البنية الثانية فيهتم المحلل السردى بدراسة المكوّن السردى و المكوّن الخطابى، بينما على مستوى البنية الثالثة تتحدّد النسخة المجردة العميقة الثابوة وراء البنىات السطحية، و تبرز الأسس الجوهرية المنطقية التي تقوم بإنتاج المعنى و التي تكون سببا في المدّ التنوعى و الاختلافى للخطابات و النصوص¹، و في هذا المستوى يدرس السيميوطيقي المقوّمات النووية ضمن المستوى السيميولوجى و المقوّمات السياقية ضمن المستوى الدلالي، و من خلالهما يكتشف التشاكلات السيميولوجية و الدلالية.

أولا: التشاكل كمعيار تقطيعي في الخطاب الروائي:

يعتبر التشاكل من المعايير الهامة التي يستعين بها المحلل السيميوطيقي في تقطيع الخطابات السردية على مستوى الوحدة الدلالية، برصد أهم التواردات التي تطفو على السطح و تبرز من خلال تراكم مقوّمات نووية و سياقية مشتركة في مقولات دلالية تساهم في النسيج الاتساقى و الانسجامى للملفوظات السردية، مما يؤدي إلى قراءة موحّدة بعيدة عن الإبهام و الغموض و يعتمد التشاكل في هذه الحالة على التحليل الدلالي للمقوّمات.

¹ - ينظر جميل حمداوي: السيميوطيقا و العنوان، مجلة عالم الفكر، مجلد 25 رقم 3، الكويت، ص 79

- و يهدف التقطيع التشاكلي في هذه المرحلة إلى:
- تتبع التشاكلات الدلالية لكشف انسجام و اتساق الملفوظات السردية و الخطابيــــــــــــــــة و تجنّب كل تأويل مشتت يتسم بالغموض و الإبهام يهدّد انسجام هذه الملفوظــــــــــــــــات.
 - رصد الحركة الدينامية للخطاب السردى، من لحظة التكوّن و الميلاد و التناسل إلى غاية التشظي و التشكّل النهائي للصورة السردية العامة، عبر وسائط التمطيــــــــــــــــط و الإثراء و التفاعل، حيث تنتظم التشاكلات "داخل مسارات تصويرية هي التي تؤدي إلى تصوير البرامج السردية، و المسارات السردية لعوامل السرد"¹، و بفعل التوارد الاختيــــــــــــــــاري و القسري للعناصر اللسانية التي تولّد المقومّات السياقية تنتج الشبكة التشاكلية للملفوظات.

1-آلية التراكم و التوارد في الخطاب السردى:

هناك آليتان أساسيتان يعتمدهما التشاكل في اشتغاله على طول السلسلة التركيبية لضمان انسجام الرسالة: آلية التراكم القسري، و آلية التراكم الاختياري.

أ-آلية التراكم القسري:

يتم التراكم و التوارد بداية على مستوى البنية السطحية التي تستند إلى مكونين أساسيين مستقلين متمفصلين، فالمكوّن السردى يتناول الأفعال و الحالات و التحوّلات و منطق الجهات و البنية العاملة، أمّا المكوّن الثانى فيقارب التسلسل التصويرى الذى تقترحه الوحدة المعجمية المحدّدة لتوليد و تنمية الخطاب. و هذان المكوّنان -في نظر غريماس- يحلان مشكلة الخطوة الغامضة لفعل السرد الذى ينهج مسارين تركيبين متوازيين: مسار البرنامج السردى المحدد بتوزيع الأدوار العاملة، و مسار التصوير الخطابي².

¹ - عبد المجيد نوسى: التحليل السيميائي للخطاب الروائى، ص 92

² - Voir :Greimas : Du sense 2 op, cit, P61

فالمساران على الرغم من انفصلهما منهجيا، هما متصلان و متوازنان، لأنّ التسريد لا يمكنه أن يرتبط فقط بالبنية العاملة و البرنامج السردى فقط، و إنّما يشتغل بتضافر مع المكوّن السردى لإنتاج الملفوظات السردية و تناسلها.

" إنّ وضع و تحقيق وحدة معجمية تتعلّق بتشاكل الخطاب العام، يفضي إلى تسلسل قسري لمجموعة من الوحدات المعجمية التي تكون متعلقة بالتشاكل العام للخطاب. و تراكمها الذي يؤدي إلى التمطيط و التوسع لوحدة ترتبط بقاعدة موحدة من المقوّمات السياقية هو الذي يضمن انسجام النص و اتساقه"¹. و على ذلك تكون أول آلية لتحقيق التشاكل المرتبط بالخطاب العام هي آلية التراكم القسري للصور المعجمية التي تساهم في تكوين مسارات تصويرية على طول السلسلة التركيبية للملفوظات السردية.

ب- آلية التراكم الاختياري:

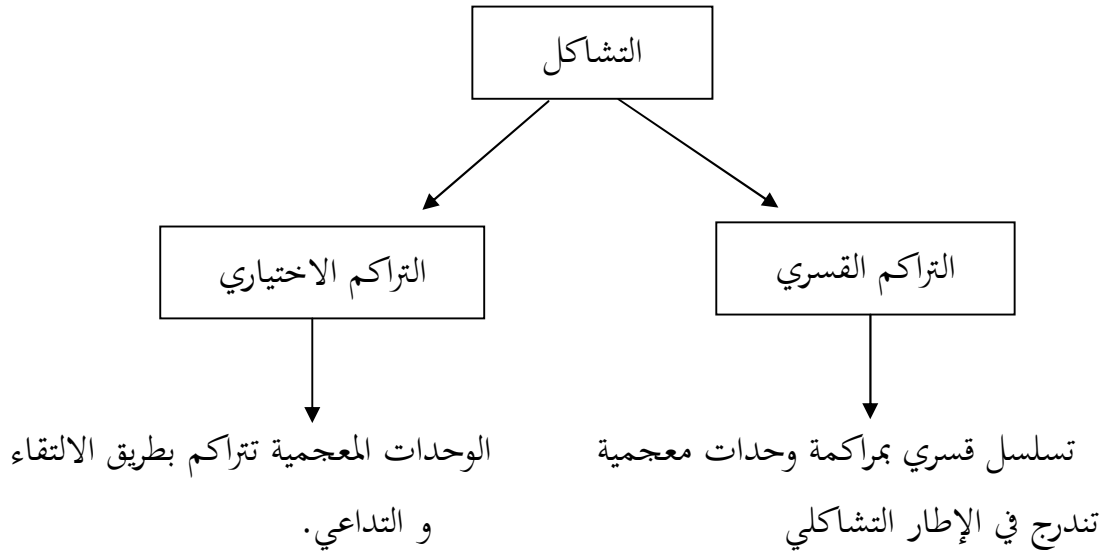
الصور المعجمية ليست صورا محدودة ضيقة، و إنّما تتسم بالمرونة و الاتساع و قابلية التمدد بتفعيل و تحيين مقوّماتها السياقية عن طريق التجاور الالتقائي أو الاختياري ضمن المسار الخطابي و ذلك كلّه لتجميع مشهد تصويري له تنظيمه و اشتغاله الخاص.

يوضح غريغاس هذا التداعي بمثال عن الوحدة المعجمية (الشمس) التي تستقطب إلى حقلها مجالا تصويريا يتضمن الوحدات الآتية: الأشعة، الضوء، الحرارة، الوضوح... " فإذا كانت الوحدات المعجمية تتمظهر مبدئيا في إطار الأقوال، فإنّها تتعالى بكل سهولة على هذا الإطار و تؤسس شبكة تصويرية علائقية على المقاطع في كليتها و تكوّن مجموعة تصورات خطابية"²، و هو ما نلاحظه في المثال السابق حيث قامت الوحدات المنضوية في مجال الشمس بتأسيس كوكبة تصويرية يمكنها أن تتعلّق مع وحدات أخرى في مقاطع متسلسلة، مشكّلة نموذجا تراكميا بطريق التداعي و التوارد.

¹ - عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص 106

² - المرجع نفسه: ص 106

فالتراكم الذي يحصل به التشاكل يتم باليتين:



2-التشاكل و الخطاب الروائي:

لقد حاول النقاد العرب تطبيق هذه المفاهيم على الخطاب الروائي، بكيفيات متعددة، و من زوايا محددة، مع اختلافهم في الهدف المنشود من كل دراسة، فهناك من حاول إثبات الانسجام و الاتساق في بعض الروايات التي أثارت جدلا واسعا في الساحة النقدية، مثل رواية (ذات) لصنع الله إبراهيم، و التي حاول من خلالها الناقد المغربي محمد الداوي دحض مزاعم بعض المتابعين للمشهد الروائي العربي بأنّ رواية ذات لا تقوى على خلق عملية الترتاب العضوي بين الأجزاء المكوّنة لها، و من خلال إجراء التشاكل أثبت محمد الداوي أنّ المقاطع السردية للرواية متسقة و منسجمة فيما بينها، و من جهة أخرى قام نقاد آخرون بالبحث عن التشاكلات بين مجموعة من الروايات التي تصدر عن مبدع واحد، بالبحث عن الانسجام الخارجي بين هذه الروايات و تحديد بنيتها المتعالية.

و لإبراز هذا التنوع و الاختلاف اقتصرنا في بحثنا هذا على بعض النماذج النقدية التي وظّفت مفهوم التشاكل في مقارنة بعض الخطابات الروائية.

ثانيا: نماذج تحليلية لتشاكل الخطاب السردي

1- المقاربة التشاكلية لرواية (اللجئة) لعبد المجيد نوسي:

يقدم لنا عبد المجيد نوسي في كتابه (التحليل السيميائي للخطاب الروائي) دراسة سيميائية للخطاب الروائي العربي، و يتخذ من رواية (اللجئة) للروائي المصري صنع الله إبراهيم¹ نموذجا محمدا لتحليله، و قد برّر هذا الاختيار بالمسار المتميز للروائي الذي شكّلت نصوصه تحولات حاسمة في تاريخ الرواية العربية عامة و المصرية خاصة من خلال طرح أسئلة الكتابة، و تأسيس عناصر بناء و اشتغال بكيفية جديدة، تتضافر فيها مستويات الخطاب السردية²، و هو ما حاولت السيميوطيقا السردية تجلّيته، بما وفرته من إمكانات تحليلية و أدوات علمية جديدة، و قد شكّل ذلك المرجعية النظرية للناقد الذي دأب على استثمار مفاهيم و إجراءات مدرسة باريس السيميائية، غير أننا سنركز متابعتنا هذه فقط للتحليلات التشاكلية التي قدّمها عبد المجيد نوسي بمناسبة مقارنته لرواية (اللجئة) مقارنة سيميائية.

تشغل الدراسة التشاكلية للناقد الفصل الثالث من الكتاب تحت عنوان: (تشاكلات الخطاب الروائي: نحو الانسجام الدلالي)، يتزوج في هذا الفصل النظري بالتطبيقي، و النظرة الشاملة بالنظرة الخاصة، و الإجراء الغربي بالإجراء العربي.

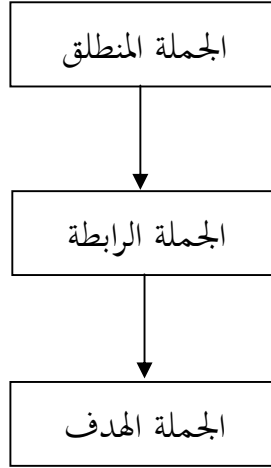
بعدها يقدم لنا عبد المجيد نوسي التصورات النظرية الغربية التي أسست مفهوم التشاكل تحديدا و تنوعا و توسيعا، يحاول تفعيل هذا المفهوم بإجرائه على رواية (اللجئة)، و يفتح تحليله التشاكلي بأول عتبة نصية يتحقق فيها التشاكل العام، هي عتبة العنوان (اللجئة).

يشرف العنوان على المقاطع الروائية كوحدة معجمية رئيسة تتناسل منها المسارات التصويرية للملفوظات الخطابية التي تنتج تشاكلات سياقية تتوالد من التشاكل العام الذي أسّسه العنوان باعتباره " تجميع مكثّف لدلالات النص. إنّ البؤرة قد يستقطبها العنوان ثم يتم ترادها في مقاطع النص، فتأتي تلك المقاطع تمطيلا للعنوان و تقليبا له في صورة مختلفة، فالكلمة المحور و التي هي العنوان تتحوّل إلى الجملة المنطلق لتناسب النص عبر تشاكلات و تقابلات عدة ليمرّ على الجملة

¹ - صنع الله إبراهيم (مواليد القاهرة 1937م) روائي مصري يميل إلى الفكر اليساري ومن الكتاب المشيرين للجدل وخصوصاً بعد رفضه استلام جائزة الرواية العربية عام 2003 م، والتي يمنحها المجلس الأعلى للثقافة.

² - عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص 5

الرابطة و تتلاقى هذه الآليات جميعها في الجملة الهدف"¹، و الجملة هنا لا يقصد بها المستوى التركيبي للخطاب، و إنما تتعين للكلية التي تسم الملفوظات في انطلاقها و تدرجها و غايتها، و هو ما يوضّحه المخطط الآتي:



و مادام العنوان كذلك فهو ينطوي على مستويات مترابطة و متضافرة عضويا، لا بدّ من فصلها فصلا إجرائيا حتى يسهل تتبع و تحليل العناصر المكوّنة للوحدة المعجمية الرئيسة. إنّ تحليل العنوان - حسب عبد المجيد نوسي - يمرّ عبر المستويات الآتية:

-المستوى التركيبي:

يتمّ فيه " تحليل مجمل العلاقات بين مختلف الدلائل المكوّنة للعنوان"²، بدراسة و تحليل البنية التركيبية للعنوان.

-المستوى الدلالي:

يتناول " مجموع العلاقات بين الدلائل المكوّنة للعنوان و بين التمثيلات الذهنية لهذه الدلائل"³ بفحص بنيته الدلالية.

¹ - عبد الجليل منقور: المقاربة السيميائية للنص الأدبي، أدوات و نماذج، محاضرات الملتقى الوطني الأول (السيميائية و النص الأدبي) قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2001، ص61

² - عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص 111

³ - المرجع نفسه: ص 111

-المستوى المرجعي:

يهتم بـ " العلاقات التي توجد بين الدلائل المكوّنة للعنوان و بين الأشياء التي تحيل إليها"¹ بالنظر إلى البنية المرجعية التي تربط الدلائل بالأشياء، و يكون هذا الارتباط ارتباطا غير مباشر، أي أنه يتحقق بواسطة (أثر المعنى) الذي تفرزه البنية الدلالية للعنوان.

-المستوى التداولي:

يكنم في " العلاقات التي توجد بين دلائل العنوان بصفته قولاً و بين مستعملي العنوان"² و يتم دراسة ذلك من خلال البنية التداولية للعنوان، من جهتين، من جهة السارد الذي يحدد العنوان، إمّا كموقع نجدة للقارئ لاستيعاب العمل الروائي، أو كموقع مضلل يخلط حسابات المتلقي حينما تتوافد عليه المقاطع السردية الأخرى، و من جهة القارئ الذي يتمركز في المنظور المناسب لتقبل ما سيقوله له السارد.

1.1-المستوى التركيبي لعنوان الرواية (اللجنة):

يتميز عبد المجيد نوسي في هذا المستوى ثلاث بنيات أساسية:

-البنية الأيقونية للعنوان:

إنّ شكل الوحدة المعجمية (اللجنة) يظهر في غلاف الكتاب " أيقونا يتكوّن من حروف تيبوغرافية غليظة، مائلة و مثبتة في أعلى صفحة الكتاب. و يحتل حيزاً نصياً واسعاً بالمقارنة مع عناصر الغلاف الأخرى: اسم الكتاب و اسم دار النشر"³، و هو ما يسم العنوان طبولوجياً بالبروز و التميّز في مواجهة العناصر الشكلية الأخرى، مما دفع الناقد إلى استخلاص جملة من المؤشرات الخطابية و التداولية:

-العنوان يمثّل علامة إخبارية موجهة للقارئ.

-العنوان يعبر عن مقصدية الكاتب الضمنية في علاقته بالقارئ من حيث الإقناع

أو التأثير.

- هو عامل تهيئة لاستقبال ما سيرد عليه من دفعات سردية.

¹ - عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص 111

² - المرجع نفسه: ص 111

³ - المرجع نفسه ، ص 112

-يكتسي بعدا تداوليا متميزا يجرّض على قراءة الخطاب الموجّه إليه عبر الرواية¹.

-البنية الصوتية:

اللجنة تحيل على مجموعة من الفونيمات (ال+ل+ج+نة) ترتبط ببعض آثار المعنى الافتتاحي المتعلق بشيء عام و جماعي²، غير أنّ هذا التحديد يبقى عاما و غامضا، إذ لم يوضّح الناقد كيف تشغل هذه البنية الصوتية المشرفة على الرواية، و العلاقة التي تساهم بها في تأسيس الإطار العام للتشاكل و ما يتفرع عنه.

-البنية التركيبية:

يلاحظ عبد المجيد نوسي أنّ العنوان تركيبيا يتميّز بالإضمار السياقي، أي بإضمار بعض العناصر المكوّنة للجملة في اللغة العربية، و بناء على هذه الملاحظة يرى الناقد أنّ:
-الوحدة المعجمية (اللجنة) غير مسبوقه بفعل، و هو أمر مفترض من خلال فحص بنية التركيب في الجملة .

-هذه الوحدة لا تتعالق مع عنصر آخر بعلاقة الإسناد.

-الإضمار السياقي:

ينفصل العنوان في شكل جملة توحى بإضمار سياقي يتمحور حول العلاقة بين اللجنة و مترشحها السارد، و انطلاقا من هذا الإضمار يقترح الناقد قراءة تأويلية للعنوان بإضافة اسم معطوف للوحدة المعجمية لتصبح (اللجنة و المترشح)³، فيما يرى محللون آخرون أنّ (اللجنة) مبتدأ خبره محذوف يدل عليه خطاب الرواية بعد قراءته⁴.

و غرض هذا الإضمار - في تقدير عبد المجيد نوسي- هو التبيير على العنوان و إبراز الهيمنة التي يمارسها على المسارات التصويرية المؤسسة في المقاطع السردية، " فالتبيير التركيبي للجنة يجعل

¹ - ينظر عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي: ص 112

² - ينظر المرجع نفسه: ص 112

³ - ينظر المرجع نفسه، ص 112

⁴ - ينظر جميل حمداوي: السخرية في رواية اللجنة لصنع الله إبراهيم، الحوار المتمدن، 2006/10/25،

دلالتها ستكون أساسية بالنسبة لدلالة خطاب الرواية، لأنها تمثل بصفتها عنوانا النواة الاستهلال التي سيتولد عنها خطاب الرواية"¹.

و انطلاقا من هذه الجزئية التركيبية يعيد الناقد ترتيب المؤشرات التي تؤسس التشاكل العام بين العنوان و المقاطع السردية التي تليه، و التي تتناسل منها تشاكلات فرعية ترتبط بخيوط متشابكة مع التشاكل العام، وفق ما يأتي:

"- التميز الأيقوني مع العناصر الأخرى.

-التبئير بإضمار العناصر التركيبية و السياقية"².

و بناء على النتيجةين السابقتين يصبح العنوان " نواة أساسية تمثل دلالتها إطارا عاما ترتبط به كل الدلالات الجزئية الأخرى التي ينتجها الخطاب، مما يجعل من العنوان نقطة توالد و انسجام الخطاب"³.

1.2-المستوى الدلالي للعنوان:

البنية الدلالية تنبثق من عنصرين متعالقين يمثلان بداية تناسل الخطاب و توالده:

-العنصر (أ): يتكوّن من الدلائل اللغوية التي تركّب العنوان.

-العنصر (ب): يشمل التمثيلات الذهنية الدلالية التي تتصل بالمركبات اللغوية عندما تتفاعل بالسياق السوسيوثقافي للدلالات⁴.

إنّ العلاقة بين (أ) و (ب) يمكن تحليلها تحليلا سيميوطيقيا كالاتي:

-تحليل البنية الدلالية لمكوّنات العنوان يفترض فحص العلاقة بين التركيب اللغوي

و التمثيلات التي تحيل إليها في علاقتها بدلالة الرواية.

-الاعتماد على التحليل المقوّماتي للعنوان لتتبع خيوط التشاكل، بتحليل الدلالة

السيميائية المرتبطة بالمقوّمات النووية و الدلالة السياقية المرتبطة بالمقوّمات السياقية¹.

¹ - عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي ص 113

² - المرجع نفسه: ص 113

³ - المرجع نفسه: ص 113

⁴ - ينظر: المرجع نفسه: ص 113

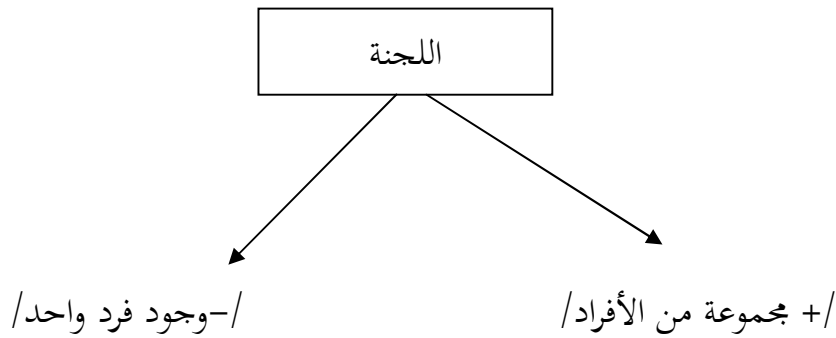
-المقوّم النووي للعنوان:

(اللجنة) تتركب من مجموعة من المقومات النووية:

+أناس/، /+عاقلون/، /+أحياء/، /+مجموعة أفراد/، /+عام/، /+مجرد/، /+غير معدود/،
-فرد واحد/، /-مخصصة/

تعتبر هذه المقومات الجوهرية مقومات ملتصقة بالوحدة المعجمية للعنوان، و هي التي تشكّل نواة الوحدة المعجمية، و هذه النواة تتسم بالثبات و الاستقرار، و مع ذلك تتشكّل منها مجموعة من المسارات المقوماتية، بحيث يجعلها السياق ممكنة و محتملة على مستوى الملفوظات السردية للرواية.

و بعد هذا التحليل يكتشف الناقد الدلالة الجامعة للمقومات النووية السابقة. إنّها تحيل على مجموعة من الأفراد و تلغي وجود فرد².



يبقى هذا التجميع عاما و مجردا لا يدل على سمة خاصة تميّز جماعة الأفراد المكوّنة للجنة، و هو أمر يثير في القارئ التساؤل عن هوية اللجنة و وظيفتها و مجالها. إضافة إلى المقومات النووية السابقة يستخلص الناقد- بعد تتبع المسارات التصويرية لخطاب الرواية- مجموعة من المقومات الناشئة التي ولّدتها المقولات المقوماتية المتدرجة و المتعددة وفق ما يلي:

"- اللجنة يمكن أن تحيل إلى فضاء قانوني يحكمه إطار معيّن.

-تحيل إلى أفراد عاديين ينجزون نشاطا ما.

-تحيل إلى أفراد عسكريين.

¹ - عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي ص 114

² - ينظر المرجع نفسه: ص 115

- تدل على أفراد مدنيين يقومون بعمل إداري.
- تؤشّر على مجموعة أفراد بيتون في ملفات.
- تحيل إلى أفراد يصدرن أحكاما.
- تمثّل مجموعة مسؤولين "1".

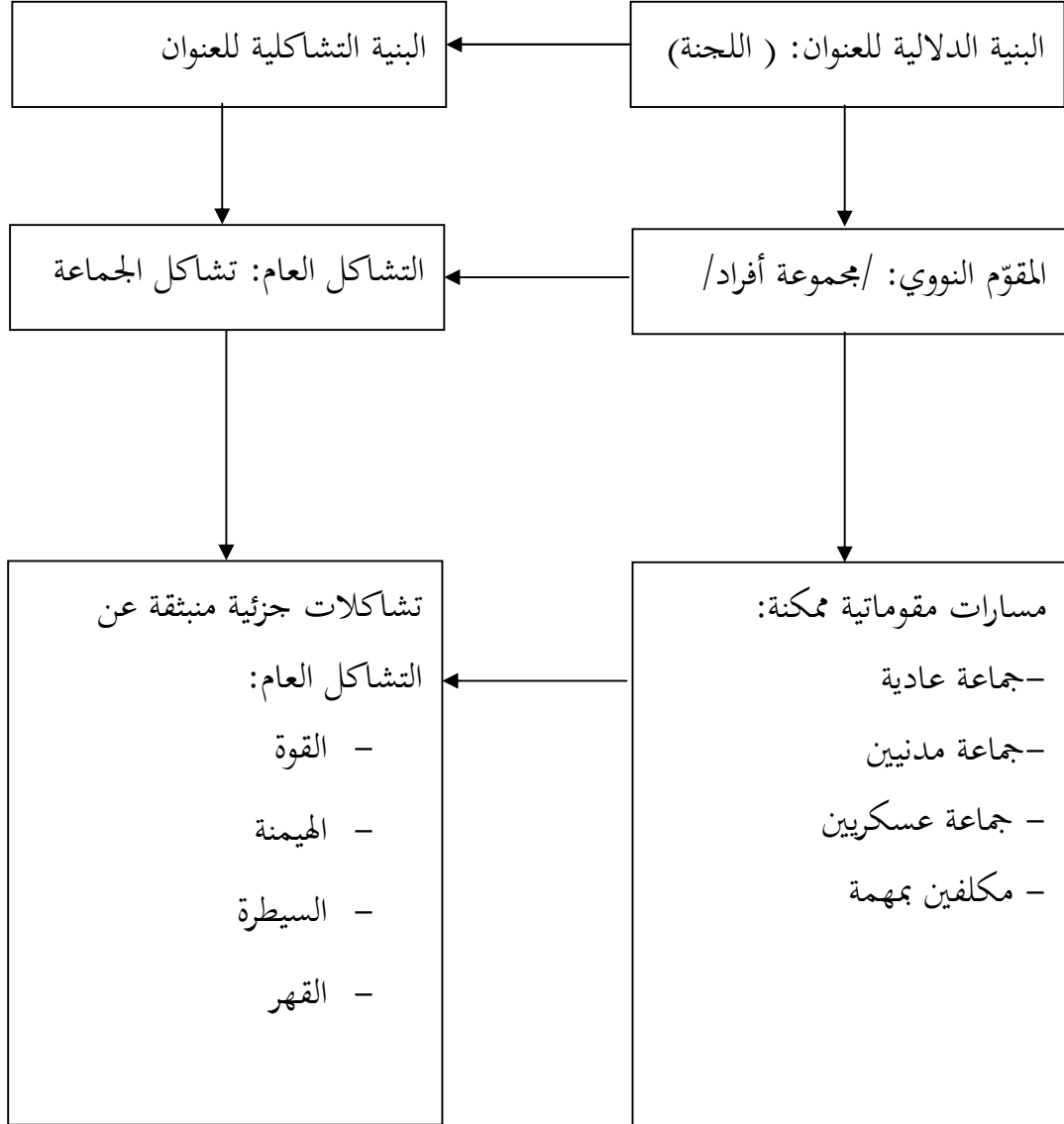
هذه المقولات المقومّاتية نشأت من رحم النواة الجوهرية، و نمت في السياق التصوري للخطاب باعتبارها مسارات ممكنة و محتملة، و هو ما تؤكدُه مقولة غريماس في هذا السياق: " الوحدة المعجمية تمثّل تنظيما مقومّاتيا ممكنا لا يتحقّق -باستثناءات قليلة- (حينما يكون أحاديا على مستوى الدلالة) أبدا على هذه الشاكلة داخل الخطاب المتمظهر في كل خطاب، في الوقت الذي يحدّد فيه تشاكله الدلالي الخاص، لا يمثّل إلا استثمارا جزئيا جدا للإمكانات الكبيرة التي يتيحها له المستودع المعجمي. و إذا كان يتابع طريقه، فإنّما يتركه مزروعا بصور العالم التي لفظها، و هي التي تستمر في ممارسة وجودها الممكن، و هي قابلة للانتعاش و التمظهر إثر أقل مجهود للتذكر"2

تبرز المقولة الغريماشية السابقة التنظيم الدلالي للوحدات المعجمية التي تشتمل على مقومات جوهرية و أخرى واردة ناشئة عن المسارات المقومّاتية المزروعة في السياق الخطابي، و التي نمت و تناسلت انطلاقا من المقومّ النووي الأصيل، كما أنّ أقساما جزئية منها ترتبط بالتشاكل العام الذي تفرزه المقومّات النووية المهيمنة على الخطاب في افتتاحيته و المسيطرة في توجيهه. و مع ذلك تبقى هذه المسارات تأويلية ممكنة و محتملة قد لا يتحقّق بعضها على مستوى المقاطع السردية.

1- عبد المجيد نوسي : التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص 115

2- المرجع نفسه: ص 116

اعتمادا على ما سبق يرى الناقد أنّ العنوان يتمظهر في شكل بنية دلالية يمكن تمثيلها في المخطط الآتي:



إنّ التشاكلات الجزئية السابقة المنبثقة عن التشاكل العام سوغتها المؤشرات التي حددها بنية العنوان التركيبية و الأيقونية و الدلالية: " - الإضمار التركيبي و التبئير للجنة.

-التميز الأيقوني.

-الإضمار السياقي.¹

1.3- الإطار العام المنظم للخطاب (تشاكل اللجنة):

باستثمار المفاهيم التي جاءت بها النظرية الكارثية، و بناء على الفرضية الموقعية حاول عبد المجيد نوسي تقديم مقارنة سيميائية للعنوان في علاقته بالخطاب ككل، من حيث البناء المقولي المتميّز و التجريد الخالص و موضعه الطوبولوجية في مواجهة العناصر الشكلية الأخرى.

" إنّ الخطاب، بصفته نسقا، يتمفصل إلى مجموعة من الحالات الداخلية التي توجد بينها مجموعة علاقات تحكمها سيرورة داخلية، و أول هذه الحالات هي الحالة الأولية المتمثلة في العنوان: اللجنة"²

و طبقا للاعتبار الطوبولوجي و الفرضية الموقعية فإنّ العنوان يشرف على الخطاب الروائي كوحدة رئيسة تتحكّم في استقرار و تناسل النسق السردى من خلال المؤشرات الآتية:

- يحتل العنوان موقعا بارزا على صفحة الغلاف بالمقارنة مع العناصر الأخرى، و هو ما يوحي باستقلاليته في علاقته مع خطاب الرواية، و بذلك يشكّل أول نقطة التقاء بين الخطاب و المتلقي بحيث يتحاوران في علاقة مباشرة.

- " يشكّل العنوان النواة الاستهلاكية التي تمثّل دليلا إخباريا و إقناعيا و دلاليا، فهو يخبر عن وجود خطاب من جنس الرواية"³.

- يتسم العنوان بالهيمنة الخطابية، أي بالتبئير عليه من خلال إضمار العناصر التركيبية الأخرى المشكّلة للجملة.

¹ - عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص 117

² - المرجع نفسه: ص 121

³ - المرجع نفسه: ص 122

كلّ هذه العناصر تؤكد على احتلال العنوان موقعا مركزيا منظمًا للخطاب تتوالد منه المسارات التصويرية السردية، و انطلاقا منه تنمو مقاطع الرواية و تتناسل لتخصيص تشاكل اللجنة العام، و ذلك بـ:

" -تحديد العناصر الجزئية و المكوّنة لهذه الكلية و العمل الجماعي.

-التأشير على جملة السمات و الصفات التي تخصّص العامل الجماعي"¹. و تبعا لهذين العنصرين يحدّد عبد المجيد نوسي تشاكلات فرعية تابعة للتشاكل العام، و هي تشاكلات تتوزع عبر مقاطع الرواية لتضمن انسجام الخطاب و اتساقه، ثم يقوم بتحليل آليات التراكم التي التي تقيم التشاكلات.

1.4- آليات تولد التشاكل:

- التشاكل العام:

يتجسد التشاكل العام في الوحدة المعجمية الرئيسة التي تنصدر الخطاب الروائي، و المتمثلة في العنوان (اللجنة) حيث يتأسس على مستواه تشاكل الجماعة طبقا لموقعه الأيقوني و التركيبي و الدلالي.

و يمثل العنوان من خلال هذا الوصف حالة أولية (أ) تحتل المجال الأول مج1.

-التشاكلات المتناسلة:

التشاكل كما هو معروف يعتمد على خاصيتي التوارد و التراكم اللتين تتحكمان في إثراء الخطاب و تولده بواسطة آلتين أساسيتين:

- التراكم القسري: حينما يتحدد في الخطاب تشاكتلا تتسلسل منه تسلسلا ضروريا وحدات معجمية تنشئ في السياق مقومات سياقية مرتبطة بالمقوم النووي.

- التراكم الاختياري: من خلاله تتداعى الوحدات المعجمية بتلك المتعاقبة بالتشاكل العام للخطاب عن طريق التقارب أو الترادف أو التشابه².

¹ - عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب السردي، ص: 124

² - ينظر المرجع نفسه: ص 124-125

عن طريق الآليتين السابقتين يتدرّج الخطاب نحو التحوّل من الحالة الأولية (أ) إلى حالة ثانية (ب) تتعالق بالأولى انطلاقاً من المسار الداخلي الذي يتحكم في كل الحالات حيث يتمطّط الخطاب و يتوالد من الحالة الأولية (أ)، و يبدأ بتشكيل مقوّمات سياقية جديدة تؤسس تشاكالاً فرعياً مرتبطاً بالتشاكال العام، و اعتباراً لهذا حاول عبد المجيد نوسي تتبع المسارات التصويرية و تحليلها لاكتشاف التشاكلات الفرعية الأخرى المنبثقة عن الإطار العام للتشاكال الذي أفرزه العنوان، و من هذه التشاكلات يمكن أن نذكر:

أ- تشاكال العضوية:

يلاحظ الناقد في الوحدات المعجمية:

(الحارس ص5، أعضاء اللجنة ص5، واحد منهم ص6، لجمع المعلومات عن أعضائهم ص10، كان عددهم كبيراً ص11، أعضاء اللجنة ص61، بقية أعضاء اللجنة ص65)¹.

تراكم مقوّم سياقي يتناسل من المقوّم النووي الجوهرى للعنوان.

أعضاء اللجنة : /+ عضوية/، /+ أفراد/

عددهم كبير : /+ أفراد/، /+ الكثرة/

تحيل هذه المقوّمات الناتجة على مقوّم سياقي متراكم هو مقوّم العضوية الذي ينسجم في تعالقه بوحداث المسار التصويري الأخرى:

(يدخلون منه ص6، لقد حرصنا في كل أعمالنا ص106)².

ب- تشاكال غرابة و سرية اللجنة:

يتدرج الناقد في فحص المسارات التصويرية لاستخراج المقوّمات السياقية المتولدة و المتفرعة عن المقوّم النووي، و التي تؤسس تشاكلات فرعية تخصّص تشاكال الجماعة المحدد للإطار العام التشاكلي في مركزه الخطابي الموجّه و المنظّم للمقاطع السردية المتسلسلة و المتوالدة.

¹ - ينظر عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص: 126

² - المرجع نفسه: ص 126-127

بعد الملاحظة و الفحص يجد الناقد أن المسارين التصويريين:
 - (لغة اللجنة ص9، عمل اللجنة ص10، ستار من السرية المحكمة قد أسدل على أسمائهم و مهنهم ص10)
 - (هناك باب آخر يدخلون منه ص9، ليس ثمة قاعدة محدّدة لعمل اللجنة ص10، فعكفت على دراسة اللغة التي تستخدمها اللجنة في مقابلتها ص9)¹

يقومان على وحدة خطابية مركزية تتمثل في الوحدة (وجدت ستارا من السرية) و التي تطبع باقي الوحدات بسمة الغموض و السرية التي تكتنف وضعية اللجنة، مما ينشئ مقوّما سياقيا جديدا يتمحور حول السرية يقود إلى تأسيس تشاكل فرعي هو تشاكل السرية يخصص و يحدد سمة الجماعية التي يتمركز حولها التشاكل العام.

ج-تشاكل قوة اللجنة:

يستخلص الناقد هذا النوع من التشاكل من المسار التصويري الآتي:
 (كانت الشرائط الحمراء الموشاة بالذهب فوق ياقات ستراهم تنطق برفعة شأنهم ص11)²
 بحيث تحيل الوجدتين (الشرائط، رفعة شأنهم) على مقوّم سياقى ناشئ هو العلو في هرم السلطة.

أمّا المسار التصويري: (و ليس معنى هذا أيّ الذي سعيت إلى هذا اللقاء، و إنّما قيل لي إنّّه لا مندوحة منه، و لهذا جئت ص8) فتحيل وحداته على نوعية العلاقة التي تربط اللجنة بالسارد العامل، و هي علاقة غير متكافئة المواقع تقوم على الثنائيات الآتية:

● اللجينة (العامل الجماعي)	● السارد-الذات-العامل
● القوة	● الضعف
● المهيمن	● المهيمن عليه

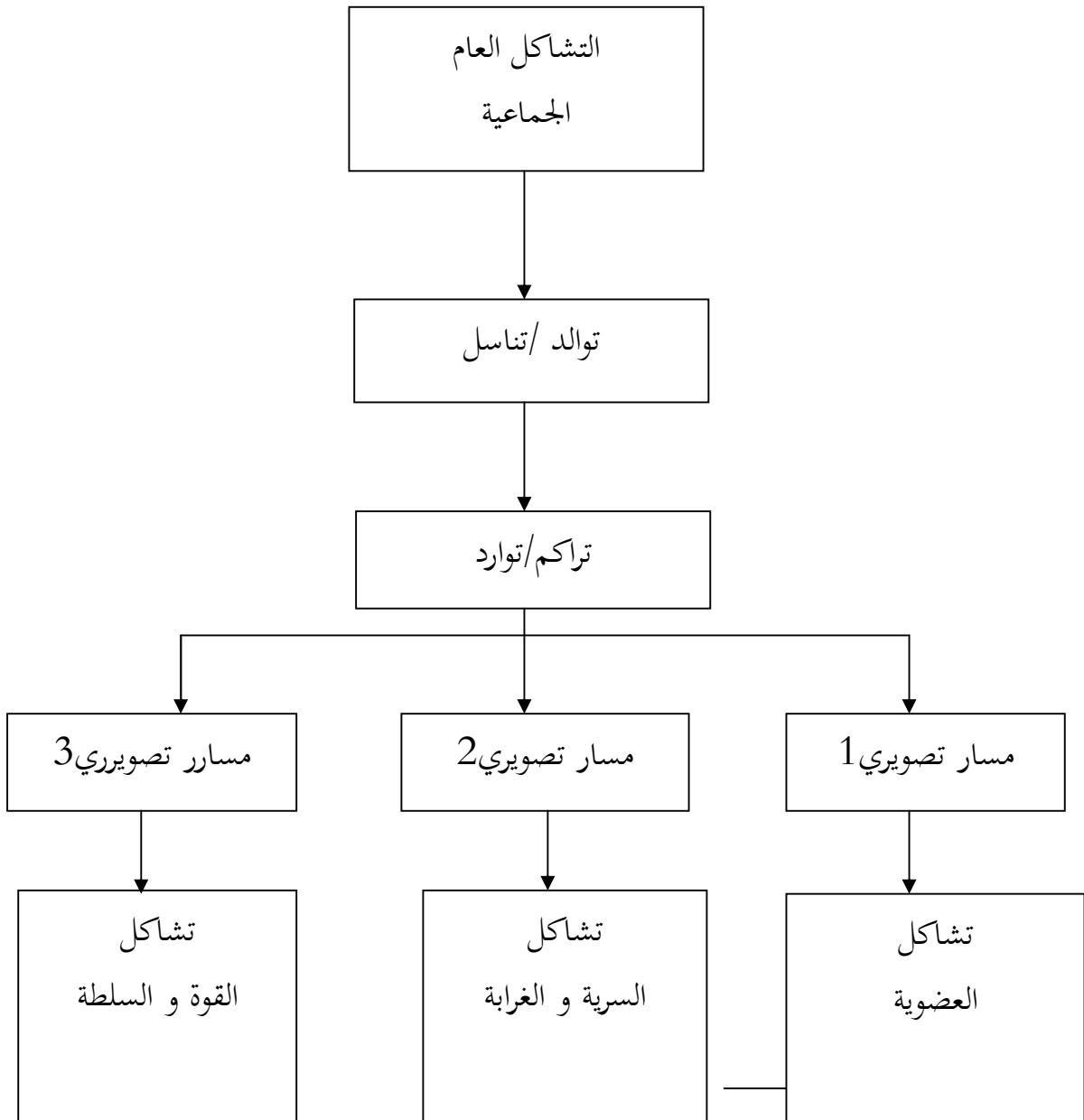
¹ - عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي ص 127

² - المرجع نفسه: ص128

تثبت هذه الثنائيات في تعالقتها مكانة اللجنة و علاقتها بالسارد الذات، فهي ليست لجنة عادية تتسم بالجماعية فقط، و إنما لجنة ذات مكانة عالية في هرم السلطة، و هو ما يؤشّر على تشاكل فرعي جديد يتمثل في تشاكل القوة و السلطة.

لقد مكنّ تحليل تشاكلات الخطاب الناقد من تحديد " تشاكلات: الجماعية، غرابة و سرية اللجنة، قوة اللجنة، و قد نتجت عن تحليل التراكم الحشوي للمعجم و التراكم الدلالي للمقومات السياقية. و تعد هذه التشاكلات متعاقبة، و يظهر تعالقتها في الوظائف التي تحققها على مستوى خطاب الرواية بتحديد قراءة موحّدة و منسجمة"¹.

يمكننا اختصار هذا المسار التحليلي للناقد في المخطط الآتي:



1.5- التشاكل الدلالي و نظرية الكوارث:

اعتمادا على نظرية الكوارث يميز عبد المجيد نوسي نوعين من الكوارث يحددان القيمة الطبولوجية للتشاكلات الدلالية، كارثة المواجهة و كارثة الشعب.

- كارثة المواجهة: (الصراع و الجدلية):

لا يقتصر دور التشاكل الدلالي على إبراز آليات التوالد و الانسجام داخل الخطاب فقط، بل يتعدى ذلك إلى تتبع دينامية الملفوظات الخطابية، " و تسهم هذه الدينامية القائمة على التفاعل بين العوامل و المواقع في توالد الخطاب و في ضمان انسجامه"¹. و في رواية اللجنة يبرز الناقد دينامية المقاطع السردية من خلال تشاكل القوة الذي يميز العامل الجماعي: اللجنة، و يحيل - في تقدير الناقد- تركيبيا إلى عامل ثان:

- تشاكل قوة اللجنة: يمثل تركيبيا إشارة للعامل الجماعي الثاني (اللجنة و السارد-العامل الذات)

- تشاكل قوة اللجنة: دلاليا يشكل سمة من سمات العامل الجماعي².

و هذا باعتبار المقومّات السياقية الجزئية التي تبني هذا التشاكل:

" - سلطة اللجنة.

- الاستخبار عن المترشح.

- اقتحام الفضاء المكاني للعامل-الذات.

- محاصرة العامل الذات داخل الفضاء المكاني الذي يرتبط به.

- إصدار قرار لمعاقبة العامل الذات"³.

يلاحظ الناقد مما سبق أنّ تشاكل القوة يحيل تركيبيا إلى وجود عاملين:

- العامل الذات في ارتباطه بالعامل الجماعي الثاني.

- تشاكل القوة يحيل تركيبيا إلى السارد-العامل الذات1/العامل الجماعي2

¹ - عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص 130

² - ينظر المرجع نفسه: ص 130

³ - المرجع نفسه: ص 130

و من هذه العلاقة التركيبية يستخلص الناقد نوعية العلاقة الرابطة بينهما، و هي علاقة مبنية على الصراع و المجابهة " لكون العامل الجماعي يحاول الهيمنة على السارد-العامل الذات. و هذه العلاقة القائمة بين عاملين داخل خطاب الرواية، و المبنية على الصراع و الجدل هي في الأصل علاقة من علاقات التركيب العملي، لكن يمكن النظر إليها من المنظور الكارثي بوصفها تحقق على مستوى الحالة الثانية: بعد المركز المنظم"¹.

من خلال هذا التحليل يظهر جليا تأثر الكاتب بمفاهيم سيميوطيقا السرد و خاصة نظرية العوامل التي يحاول ملاقحتها بمفاهيم النظرية الكارثية في التوزيع الطبولوجي لفضاء الخطاب مستفيدا مما توصل إليه روني توم و جون بيتينو في هذا المجال.

تقوم النظرية الكارثية على مبدأ أساسي يتخذه الناقد منطلقا لتحليله الموقعي و الطبولوجي للخطاب، و مؤدى هذا المبدأ أنه " حين التوفّر على عنصرين غير منهارين عا1 و عا2 لوظيفة ممكنة و يكونان على نفس المستوى (عا1) و (عا2). إنّ هذه الوضعية اللامستقرة يمكن أن تستقر بطريقتين: يمكن ل عا1 أن يهemin على عا2 و العكس"².

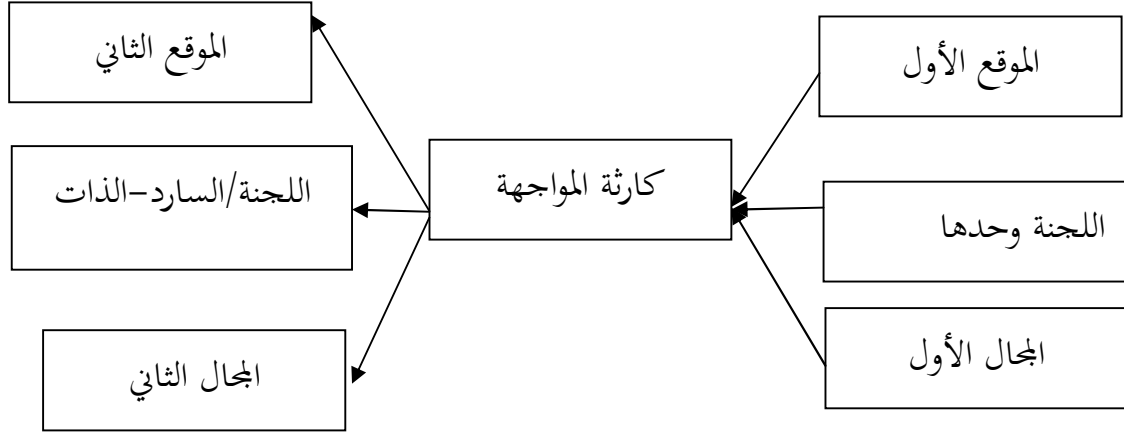
يؤكد المبدأ السابق أنّ الخطاب الروائي خطاب يتميّر بالدينامية التي تقوم على عناصر الانسجام و التناسل و التوالد و الحوار و الصراع و الحركة و التحول و الانتقال و القوة و التغيير و التغير... و في رواية اللجنة يتمظهر الحوار و الصراع و الحركة في فضاء الخطاب في العلاقة القائمة بين العامل الأول (اللجنة) و العامل الثاني (السارد-الذات)، مما يؤدي إلى حدوث كارثة المواجهة " لأنّ الخطاب ينتقل من المركز المنظم: العنوان، إلى حالة ثانية بعد دخول قيمة جديدة هي قيمة توالد و تناسل الخطاب، و هذا يعني أنّ الخطاب ينتقل من موقع، على المستوى الطبولوجي إلى موقع آخر من الموقع الذي يحتله العنوان و الذي يتميز بوجود تحقّق عامل واحد هو العامل الجماعي: اللجنة، إلى موقع يتميّر بتعددية العوامل المتصارعة، و يشكّل انتقال الخطاب إلى هذه الحالة الثانية انتقالا كارثيا يحدّد كارثة المواجهة التي تقوم على احتلال مجال جديد هو المجال الثاني"³.

¹ - عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص 130

² - المرجع نفسه: ص 131

³ - المرجع نفسه: ص 131

أي أنّ القيمة الطبولوجية للتشاكلات المحددة تظهر كمايلي:



يوضّح المخطّط السابق كيفية انتقال الخطاب من المجال الأول إلى المجال الثاني انتقالاً كارثياً، و ذلك بالانتقال من عنصر فاعل واحد إلى عنصرين فاعلين، هما : العامل الجماعي المتمثّل في اللجنة، و السارد الذات، و هو ما يقيم الاستقرار انطلاقاً من العلاقة الجديدة المنتجة في المجال الثاني، أي علاقة التضاد النوعي بين اللجنة و السارد و التي تدخلهما في مواجهة و صراع تظهر في:

-المواجهة

-السارد الذات: يواجه اللجنة و يستخدم كل أساليب الإقناع، انطلاقاً من موقعه كمتكفّف و باحث عن المعرفة يحاول تفسير بعض الظواهر الاجتماعية و الواقعية.

-اللجنة: لا تقتنع بما يقدّمه، و تواجهه ببعض الأفعال و التصرفات التي تعرقل حركته، من خلال جمع معلومات عنه، محاصرته في أماكن تموقعه، إصدار قرارات قاسية بشأنه.

- مواجهة اللجنة:

- العاملان يظهران في مستوى واحد بناء على المواجهة القائمة بينهما.

- عدم استقرار الخطاب لتساوي الطرفين.

-نتيجة المواجهة:

بناء على التشاكل الأخير الذي حلّله الناقد (تشاكل القوة) يتجه الخطاب نحو الاستقرار بيمنة العامل الجماعي (اللجنة) على السارد الذات، مما يقود الخطاب إلى تحقيق انسجامه الداخلي تبعاً للتشاكلات الدلالية التي تحقّقه و التي تخصّص العامل الجماعي (اللجنة):

-تشاكل الجماعية.

-تشاكل العضوية.

-تشاكل الغرابة و السرية.

-تشاكل القوة.

تحليل كل هذه التشاكلات على قراءة منسجمة و متشاكله يهيم فيها العامل الجماعي (اللجنة) على العامل الذات وجودا و موقعا و امتدادا، لأنّ أغلب المقاطع السردية التي ترّكّب المجال الثاني تتمحور حول سمات العامل الجماعي (اللجنة).

يترّكّب المجال الثاني من خمسة مقاطع سردية يلخّص الناقد محتواها كالاتي:

-م1: تتمحور المسارات التصويرية فيه حول اللقاء بين اللجنة و العامل-الذات، غير أنّ

أغلب هذه المسارات تسم اللجنة بسمة الجماعية و سريتها و غرابتها.

-م2: يتميّز بتمحور مساراته التصويرية حول بحث السارد- العامل الذات في سيرة

الدكتور، و حول علاقة المواجهة التي تربط بينه و بين اللجنة.

-م3: تتمحور مساراته التصويرية حول قوة اللجنة التي تفتح الفضاء المكاني للعامل

الذات و تأمره بتوقيف بحثه في سيرة الدكتور.

-م4: تتمركز المسارات التصويرية المكوّنة له حول حصار القصير عضو اللجنة العامل

الذات داخل الفضاء المكاني المرتبط به: البيت لإرغامه على التخلي عن موضوع البحث

في مسار الدكتور.

م-5: تتميز المسارات التصويرية المكوّنة لهذا المقطع بتوجيه الأسئلة من طرف العامل الجماعي للسارد-الذات حول إنجازه لفعل القتل ضد الممثل: القصير، عضو اللجنة و يقرّر العامل الجماعي إلحاق العقوبة القاسية بالعامل الذات¹.

يلاحظ الناقد من خلال هذه المسارات التصويرية اتساع مواقع تواجد العامل الجماعي (اللجنة) في مقابل انحصار موقع السارد-الذات داخل الفضاء الروائي، مما يؤشّر على هيمنة العامل الأول و فرض الاستقرار على الخطاب في جميع مقاطعه، و هذا إن دل على شيء إنّما يدل على الانسجام الذي يسم الخطاب في كليته².

يصل نوسي بعد ذلك إلى نتيجة مهمة، مفادها: أنّ " علاقة المواجهة بين العاملين هي التي تجعل خطاب الرواية ينمو انطلاقاً من المركز المنظم الذي يحدّد العامل الجماعي: اللجنة إلى المجال الثاني الذي يخصّص هذا العامل في علاقته بالسارد-العامل الذات. فالخطاب لا يمكن أن ينمو خارج علاقة المواجهة، لأنّ تمطيته و تناسله من مقاطع و مسارات تصويرية عن طريق التراكم القسري للوحدة المعجمية، إنّما يتم لتخصيص العامل الجماعي بمجموعة من السمات: -الجماعية.

-الغرابة و السرية.

-القوة.

في علاقته بالسارد-العامل الذات³.

¹ - عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص 133

² - ينظر المرجع نفسه: ص 133

³ - المرجع نفسه: ص 134

2- النموذج التشاكلي في رواية (ذات) للناقد محمد الدا هي :

تحاول الدراسة التشاكلية في رواية (ذات) عند الناقد المغربي محمد الدا هي إثبات عنصرين أساسيين متعلقين بالرواية، يتصل العنصر الأول بالتشاكل الخارجي أو الثقافي، أما العنصر الثاني فيرتبط بالتشاكل الداخلي للمقاطع السردية الروائية و التي أثارت جدلا كبيرا حول مدى تحقق انسجامها و اتساقها.

أ-التشاكل الخارجي (الثقافي):

تختلف رواية (ذات) عن غيرها من الروايات العربية الأخرى، و ذلك بسبب تكديس السارد الرواية بالأخبار الصحفية جنبا إلى جنب مع النسيج المقطعي الروائي، و هو عمل شاكل فيه صنع الله إبراهيم الكثير من الروايات الغربية بالشكل نفسه و طريقة السرد نفسها، بتوظيف تقنية توليف الجذاذات الصحفية للأخبار و الإعلانات الإشهارية، مثلما نجد في رواية (الداعية الأصلاح) 1923 لفيليب صوبولت¹ *Philippe Soupault* و رواية (البريق و البياض) 1967 لوالتر لوفينو² *Walter Levino* و كذلك في رواية (أنسات أ) 1980 لريفي³ *Yak Rivais*⁴

ب-التشاكل الداخلي:

إنّ هدف التحليل التشاكلي لهذه الرواية بالذات يتمثل بالدرجة الأولى في دفع النقود الكثيرة التي حامت من حول رواية (الذات) و التي شكّكت في انتماء هذا العمل الإبداعي لجنس الرواية من جهة، و انتقصت من قيمتها الفنية و السردية بحجة افتقارها للتسلسل و الترابط و الانسجام في بعض مقاطها السردية من جهة أخرى.

ينطلق محمد الدا هي في تكذيب كلّ هذه الشكوك و إثبات عكسها من المقولة النقدية لصالح فضل " لكن المشكلة الرئيسة التي تمثّلها هذه الجذاذات أنّها بالرغم من انسجامها في كثير من الأحيان فإنّها تظل من وجهة النظر السردية نتفا مشتتة من مئات الحكايات التي لم تتم يقوم المؤلف بإدخالها في نسيج مقطعي جديد و مصطنع، مما لا يوحي بالثقة و لا يضمن صدق التمثيل

¹ - فيليب صوبولت: شاعر و كاتب فرنسي (1897-1990)

² - والتر لوفينو : صحافي و روائي فرنسي (1924م-2013م)

³ - ياك ريفي: رسّام و روائي فرنسي (و. 1939م)

⁴ - ينظر: محمد الدا هي: سيمائية السرد، بحث في الوجود السيميائي المتجانس ، دار رؤية، القاهرة، ط 1، 2009، ص 115

الموضوعي للواقع الخارجي (...) و هذا يعني أنّه ليس ثمة رابط عضوي حميم بين فصول السرد و الأخبار، بل إنّ بوسعنا أن نتلاعب في تحريكها بأقصى قدر من الحرية دون أن يمس ذلك جذريا سياق النص أو دلالاته الناجمة. و هذا أخطر مظاهر التشتت، لأنّه يطعن في بنية النص الدرامية و يجعله مثل قصيدة الشعر العمودية التي يقوم فيها كل بيت بدوره مستقلا عما يسبقه و يليه من أبيات، و معنى هذا أنّ رواية (ذات) لا تقوى على خلق عملية الترتاب العضوي بين الأجزاء المكوّنة لها، بل ترصّ الفصول و الاستشهادات كما يتراءى لها اعتباطا، بحيث لا نلمس عملية التنامي الضرورية في السرد و وصوله إلى ذروة أو ما يشبهها لا بين الأجزاء الخيرية و السردية فحسب، و إنّما حتى في صميم تكوين هذه الوحدات ذاتها، مما يجعل الرواية مسطحة، قد لصقت أجزاؤها كيفما اتفق، و امتلأت مساحتها بكمية ضخمة من الأصوات المتنافرة، دون أن تكون لحنا متعدد الإيقاع، اللهم إلّا النغم الجنائزي العام¹.

تقوم المشكلة أساسا في رواية (ذات) - عند صلاح فضل - على انعدام الترابط و الانسجام بين عالمي الرواية: الأخبار التي تتكدّس داخل الرواية و التي تتمثل في الجذاذات و القصصات الإعلامية و الإشهارية، بحيث يجسّد معظمها فترات تاريخية سياسية حاسمة مرّت بها دولة مصر و انعكاس أثرها على الوضع الاجتماعي و الثقافي و الاقتصادي في البلاد، و عالم السرد المتمثل في قصة (ذات) الشخصية الروائية التي انبثقت من رحم الحياة المصرية، و التي غدّت خيال و فكر الروائي بآلاف الصور الواقعية عن المجتمع المصري الذي تراكب فيه قيم و معتقدات تتحكّم بفكره و حياته تتفاعل مع التحوّلات السياسية و الاقتصادية الداخلية و الخارجية.

و مع هذا التزاوج يلاحظ صلاح فضل أنّ هذه الرواية:

-تبدو من وجهة النظر السردية مركّبة من حكايات مقطوعة مشتتة، لا يجمع بينها إلّا الظروف السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية التي أنتجتها، أمّا من الناحية السردية فتفتقر للمتعالية السردية التي تجمعها.

-تتسم بالاعتباطية و الاصطناع في كثير من مقاطعها السردية، و هو ما لا يضمن معه صدق التمثيل الموضوعي للواقع الخارجي.

¹ - صلاح فضل: (ذات ... لصنع الله إبراهيم)، أساليب السرد في الرواية العربية، دار سعاد الصباح، ط1، 1992، ص 212-217

-انعدام الرابط العضوي و الموضوعي بين عالمي الرواية (فصول السرد و الأخبار) ممّا يطعن في بنية الخطاب الروائي.

-لا نلمس فيها عملية التنامي الضرورية في السرد، و إن كانت تفتتح بوضعية انطلاق و سيرورة سردية، فإنّها تتجاهل عنصر التغيير و الذروة التي تفضي إلى نهاية محددة.

-يغلب عليها النغم الجنائزي العام من افتتاحيتها إلى ختامها.

يرى الناقد محمد الداوي أنّ ما يجمع النقاد السابقة التي قدّمها صلاح فضل هو معجميات (التنافر و التشتت و الاعتباطية) بين عالمي الرواية (فصول الحكاية و موضوع الجذاذات) باستثناء بعض المقاطع السردية التي يلاحظ فيها ترابط و اتساق، " كما هو الشأن في الفصل السادس الذي ركّز فيه على مشكلة تلوث شواطئ الإسكندرية و فضائح المقاولات و امتلاء الشوارع بالطفح، و جعل كمقدمة لانتقال ذات إلى الإسكندرية لزيارة رفيقي الدراسة (صفية عباس و عزيز عبد الله)"¹.

و إلى جانب ما وسم به صلاح فضل هذه الرواية يجد الناقد أيضا مبادرات جريدة الاتحاد الاشتراكي المصرية التي قامت بنشر رواية (ذات) عبر حلقات تظهر فيها المقاطع السردية مشتتة و مفصولة عن بعض الأخبار الصحفية التي كانت ترافقها، مما يعزّز الشعور معه بأنّ الجذاذات التي استعان بها صنع الله إبراهيم في تدعيم فصوله السردية ليست إلا حشوا يفكك البنية الدرامية للرواية، و لا يقيم اتصالا بين المقاطع السردية للرواية، و قد برّرت الجريدة هذا البتر بأنّه ضرورة من ضرورات العمل الصحفي و لضمان تواصل القارئ مع أحداث الرواية².

و لتفسير هذا العمل الذي قام به صنع الله إبراهيم (التوازي بين الحكيم و التوثيق المتضمن لإشارات و وقائع من التاريخ المصري الحديث) يثبت الناشر في افتتاحية الرواية أنّ الغرض من هذا التوازي بين عالمي الرواية " ليس هو التأكد من صحتها أو المساس بمن تناولتهم، و إنّما عكس الجو الإعلامي العام الذي اكتنف مصائر الشخوص فيهم"³.

¹ - محمد الداوي: سيميائية السرد، ص 118

² - ينظر المرجع نفسه: ص 119

³ - المرجع نفسه: ص 119

يعتبر محمد الداھى أنّ النظرات النقدية السابقة التي تنتقص من قيمة هذا العمل الفني هي نظرات قاصرة غير مطلعة على المكتسبات المنهاجية الحديثة " التي تسلّم بأسبقية الكلّ على الجزء و البنية على البعثة، و الوظيفة على العطالة، و النسق على الانتشار"¹، و هي منهاجية ترسخت أكثر في عصرنا الحديث بفضل " الانتقال من الواقعية المادية (التصور الميكانيكى للذرة) إلى الواقعية الرياضية، أي التفكير في الواقع كلّ من زاوية انبئائه و انتظامه الرياضى العلائقي"²، أي أنّ هناك علاقة جدلية بين الأجزاء و الكلّ، فمعرفة الأجزاء يستتبع معرفة الكلّ، و معرفة الكلّ تفضي بالباحث إلى معرفة الأجزاء ككلّ متكامل في نسق دينامي متفاعل، و هذا ما لا تنأى عنه رواية (ذات)، فهي حسب محمد الداھى " تشيّد على صرح الانتظام و الاتصال و التضام، و تندّ عن العماء و الانفصال و اللانظام، و هذا ما يقتضي التعامل معها كنسق"³، و هذا النسق يتركب من من مجموعة من الأجزاء (الحكى و التوثيق) يتربط بعضها ببعض و تناعم في تفاعل دينامي قصد تحقيق غايتها.

1-بنية التشاكل الحكائي:

ينطلق محمد الداھى كغيره من الباحثين العرب من العتبة النصية الأولى المشرفة على تصدير الخطاب، و هي عتبة العنوان (ذات) الذي ينهض بوظيفة مزدوجة (تلفظية و إشارية) و بوظيفة ثانية مشوّقة.

ينزع عنوان الرواية (ذات) إلى توحيد خطاب الرواية و تكثيفه و اختزاله عبر بنية مشفرة ملخّصة، ليضطلع الخطاب السردى بعده بمهمة التفصيل و التمطيط و التشعيب محافظا على انسجامه و استقراره البنيوي.

و بناء على ما سبق يحلّل محمد الداھى عنوان الرواية (ذات) معجميا و أيقونيا و تركيبيا و دلاليا محاولا الكشف عن الإطار العام الذي ينطوي فيه التشاكل باعتباره مركز الجذب و النواة التي تتناسل منها كلّ التشاكلات الفرعية المنتشرة عبر خطاب الرواية.

¹ - محمد مفتاح: التشابه و الاختلاف، نحو منهاجية شمولية، المركز الثقافي العربي، ط1، 1992، ص60

² - سالم يفوت: مفهوم الواقع في الفكر العلمى المعاصر - مظاهر النزعة الاختيارية لدى الوضعيين الجدد و شتروس، منشورات كلية

الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الأطروحات و الرسائل7، 1980، ص117

³ - عبد المجيد نوسي: سيميائية السرد، ص121

1.1- البنية المعجمية:

إنّ البحث المعجمي في دلالة (ذات) قاد الناقد إلى اكتشاف معاني كثيرة في الاستعمال اللغوي لهذا اللفظ، فهي قد تعني:

- الجنس: مذكرها ذو، اسم ناقص يفسّر بكلمة (صاحبة)، و لا تستعمل إلا مضافة.
- الزمن: الساعة أو الوقت، إذا أضيفت إلى ما يدل على ذلك.
- الحال: في معنى اللهم أصلح ذات البين، أي أصلح الحال التي يجتمع عليها المسلمون.
- حقيقة الشيء و خاصته، مثل: ذات الشيء.

- حقيقة القلوب من المضمرات في قوله عز و جل ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾¹.
- ذات الجهة: كما في قوله تعالى ﴿ وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ﴾²، أي جهة ذات يمين الكهف و ذات شماله.

يتبين من كل هذه المحطات اللغوية سعة العنوان و كثافته الدلالية في استيعاب الأحداث و الأوضاع المكانية و الزمانية التي أودعها الكاتب في روايته، فذات كلمة حبلى أودعها السارد "حسب هواه اسم علم لامرأة، و تواضع مع القراء عليه بعدما أرفقه بالمقومات السياقية و المسارات التصويرية التي جعلت حاملته تضطلع بأدوار موضوعاتية"³، حيث تتسم هذه الأدوار بطابع:

- أسري (زوجة لها أولاد).
- سياسي (ناصرية الاتجاه).
- مهني (تعمل بالبنك).

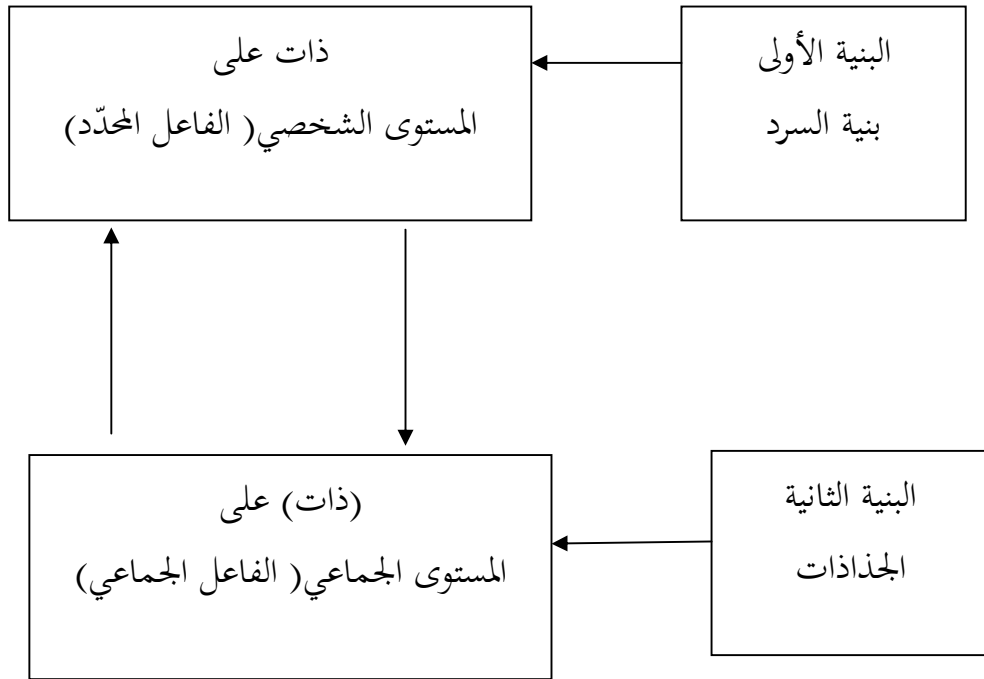
هذه السمات - في تقدير محمد الداوي- تضيف على العنوان صفة التذويت (العناوين المذوّتة) أي التي تشير إلى أنّ أحداث الرواية تدور حول ذات معينة في علاقاتها المختلفة و في أوضاعها المرتبطة ببنيات المجتمع من أعلى هرمه إلى أخمصه، و هو ما يجعلها أيضا تتسم بالموضوعاتية التي تتصل بالخطاب الروائي في كليته.

¹ - الأنفال : 43

² - الكهف: 17

³ - محمد الداوي: سيميائية السرد 125

لقد شغل صنع الله إبراهيم هذا العنوان في مستويين متضافرين، مستوى شخصي متفاعل مع مستوى جماعي، حيث تظهر (ذات) على المستوى الشخصي فاعلا " يسعى إلى تحقيق البرنامج السردى الأساس و الموضوع الذي تدور عليه الرواية"¹، و أمّا على المستوى الجماعي فترتقى (ذات) إلى فاعل جماعي، و بذلك يؤسس المستويان بنيتين متباينتين متناوبتين ديناميتين، تتبادلان التفاعل و تحققان التوازن و الانتظام داخل المتن الحكائي² وفق المخطط الآتي:



التناوب و الانتظام بين البنيتين " أعطى العنوان حمولة رمزية و إيحائية (ذات مصر) فالتاريخ المصري يشخص من خلال مسيرة ذات، فكلّ فترة من حياتها تعكس الحالة السياسية و الوضعية الاجتماعية أثناء حكم أحد أقطاب الثلاث الرئاسي"³، و هذا ما أوصل الناقد إلى النتيجة الآتية: " تخلي ذات عن سياسة التأميم و المصادرة يصادف دخول مصر في مرحلة استغلال الاستثمارات الأجنبية و العملات الصعبة و توسيع هامش الملكية الفردية لوسائل الإنتاج و فتح اسواق داخلية و خارجية، كما أنّ نهج مصر سياسة الهدم و البناء لتصفية الإرث الاشتراكي

¹ - محمد الداوي : سيميائية السرد، ص 125

² - ينظر المرجع نفسه: ص 126

³ - المرجع نفسه: ص 126

الناصرى و لاستتباب القيم الرأسمالية في التربة المصرية حتم على (ذات) و غيرها بذل قصارى الجهود للحاق بالمسيرة و الانخراط فيها قصد التوفّر على المال الضروري لتأثيث المنزل بأفخر الأثاث، و استبدال المعدات و الأجهزة القديمة و المتآكلة بأخرى جديدة و فعّالة¹.

2.1- البنية الأيقونية:

يستند محمد الداھى في تحليل هذه البنية إلى مقولة كل من كلود ليفي ستراوس التي تعتبر العناصر اللغوية تركيباً دلاليًا مبيناً في الأساس على فرضية المواقع، و مقولة جيل دولوز² Gilles Deleuze المرتبطة بالنظرة الطبولوجية و العلاقية في التفكير البنيوي.

بناء على التصرّين السابقين يجد الناقد أنّ العنوان (ذات) يحتل موقعا طبولوجيا متميزا في فضاء غلاف الرواية إلى جانب صورتين أيقونيتين بارزتين.

الأولى: مواد استهلاكية " مسحوق أرييل، و قنينة ماء معدني، و قنينة معدنية لمشروب كوكاكولا، و قنينة زجاجية لمشروب السبعة الصاعدة، و علبة قهوة نسكافي... موضوعة فوق رف خطط له أن يقوم بالدور الذي تلعبه واجهات العرض في البوتيكات"³ و هي علامات سيميائية أوصلت الناقد إلى الافتراضات الآتية:

- تشير طريقة تنظيم المواد الاستهلاكية و غطاء الرف المتكون من أوراق الجرائد أنّ المكان متواضع يدلّ على انتماء صاحبه إلى الطبقة المتوسطة.

- تظهر المواد المعروضة مدى مسايرة الأسر المصرية لسياسة الانفتاح الاقتصادي على السوق الدولية، و هو تشاكل يشد البنتين المتناوبتين إلى بعضهما البعض داخل المتن الروائي.

- المواد المعروضة ليست للاستهلاك و إنّما الغرض منها التباهي و الانفتاح.

- ترتبط المواد الاستهلاكية السابق ذكرها برابط دلالي من خلال مقوم سياقي هو مقوم +/ الأمركة/ .

¹ - محمد الداھى: سيميائية السرد، ص 126

² - جيل دولوز: فيلسوف وناقد أدبي وسينمائي فرنسي (1925م-1995م)

³ - المرجع نفسه: ص 128

-ترسخ هذه المواد في ذهن المتلقي للصورة نمط عيش جديد يتسم بالليبرالية و اقتصاد السوق.

الثانية: تتموقع في الفضاء السفلي، و فيه تظهر صورة امرأة متحجبة في شكل عصري، توحى بذلك شفتها المصبوغتان بأحمر الشفاه، و فيه إبداء المرأة لزينتها لغير بعلمها، و في هذا الوصف - في تقدير الناقد- بلورة لمقوم سياقي جديد إضافة للمقوم السابق، و هو مقوم /+العصرنة/ الذي يفهم من الجمع بين التبرج و الحجاب¹، و هذا ما يميّز الفتاة ذات " فهي رغم تحجبها لم تكن من المتعصبين الذين يحرمون التعامل مع العدو التاريخي"².

فالصورتان المحتلتان لغلاف الرواية توحيان منذ البداية أنّ المتن الحكائي ستتناوبه بنيتان، تخضع فيه البنية الثانية للأولى، و ترتبط بها في الوقت نفسه، كما يشير إلى ذلك المقومان المستخرجان من التحليل الأيقوني لبنية العنوان و تموقعه الطوبولوجي، و هو ما يؤسس تشاكلا عاما بين البنيتين سرعان ما يتشعب إلى تشاكلات فرعية مع بداية المسارات التصويرية للمقاطع السردية.

3.3- البنية التركيبية للعنوان:

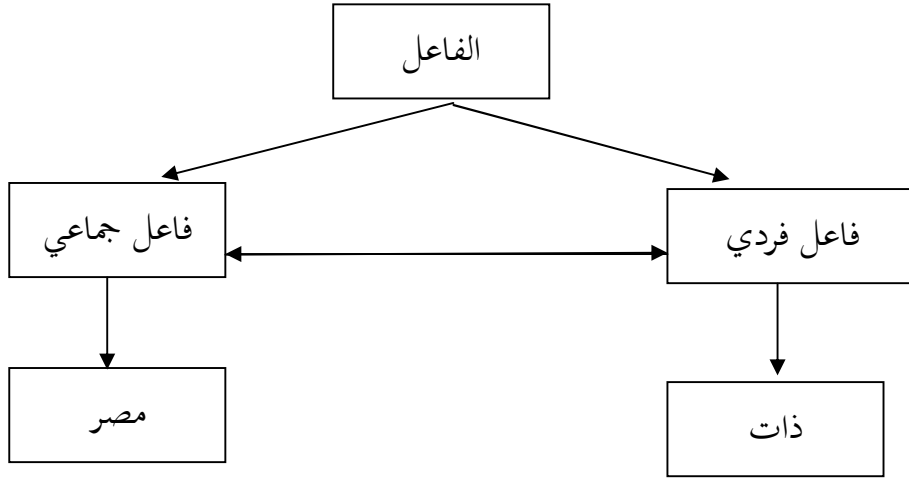
تركيبيا "لا يتكوّن العنوان إلا على مكوّن واحد من مكوّنات العقدة اللغوية و هو الفاعل"³ و الفاعل حسب الناقد يتجسّد في شكلين، فاعل فردي و الذي يبرز في سرد الأحداث التي عاشتها الفتاة ذات، و فاعل جماعي و يتمثل في الانتماء السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي لذات.

¹ - محمد الداوي: سيميائية السرد، ص 129

² - المرجع نفسه، ص 129

³ - المرجع نفسه: ص 129

و المخطط الآتى يوضح التقسيم الفاعلى الذى وضعه الناقد:



إلى جانب الفاعل الذى يستحوذ على العقدة اللغوية يرى محمد الداھى أنّ هناك مكوّنين تركيبين آخرين مضمّرين فى العنوان، هما الفعل و الظرف، و لكن دون تقديم تأويل ممكن لذلك. إنّ التحليل الدلالي و الأيقونى و التركيبى للعنوان (ذات) قاد الناقد إلى استخلاص النتيجة الآتية: " العنوان هو بمثابة مركز منظم يقضى على الاضطرابات و يجمع شتات ما تفرّق و تصدّع و يضفى الدينامية على الموقع و المتغيرات، و يمد الجسّرات بين البنيتين المتناوبتين، و يرتقى بما هو ذاتى خاص إلى ما هو جماعى عام لبيان ما عاشته مصر بعد وفاة جمال عبد الناصر من تحولات عميقة و سريعة مسّت نمط عيش الإنسان المصرى و رؤيته للعالم"¹. يعدّ هذا التحليل أول خطوة من الناقد فى محاولته إثبات التشاكل القائم بين الجذاذات و المقاطع السردية، بحيث يضطلع العنوان فى هذه المرحلة بعدة وظائف، لعلّ أبرزها الوظيفة التنظيمية و الوظيفة الدينامية فى دفع الخطاب الروائى إلى التدرج و الاكتمال.

¹ - محمد الداھى: سيمائية السرد، ص 129

2-التشاكل الدلالي بين البينتين المتناوبتين:

قبل الشروع في إجراء التشاكل على المتن السردى يقدم لنا محمد الداھى مثل سابقه تلخيصاً نظرياً عن التصورات الغريبية لمفهوم التشاكل انطلاقاً من التضييق الذي خصّ به غريماس و كورتيس هذا المصطلح وصولاً عند التوسيع الذي اقترحه راستي، أي توسيع مفهوم التشاكل على " صعيد العبارة (تردد وحدات لغوية) و على صعيد المحتوى (تردد كل الوحدات الدلالية و كذلك المقومّات الخاصة *Spécifiques* و المقومّات النووية *Nucléaires*"¹، و أثناء ذلك يشير الناقد إلى تبني بعض النقاد العرب المعاصرين هذا المفهوم و ملاقحته بما وافقه من التراث العربي القديم، و هو الجهد الذي قدّمه محمد مفتاح في كتابه تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ليصل في الأخير إلى أنّ تعدد التعاريف و تباينها حول هذا المفهوم لا يجعل التصورات تختلف فهي في أساسها تعتبر التشاكل " مبدأ منظّم و عنصراً أساسياً لضمان انسجام الخطاب و تناسله و نموه و تم التعبير عن هذا الانسجام بمفاهيم مختلفة في مقاصدها و متباينة في منطلقاتها المنهجية"²، و على سبيل المثال يذكر الناقد النماذج الآتية:

-القراءة الموحّدة (مدرسة باريس السيمائية)

-القراءة المتماسكة (كربات أوركشيويني)

-التماسك التأويلي (أمبرتو إيكو)

-التماسك التأويلي (بوتيني)

-التجانس الدلالي (أنولد)

-الاتساق النصي (فرانسوا راستي)

-انسجام الرسالة (محمد مفتاح)³.

و بناء على هذه التصورات النظرية يقدم لنا محمد الداھى التحليل التشاكلي المناسب لرواية (ذات)، و ذلك محاولة منه لإثبات الاتساق و الانسجام الموجود بين بنيتي الرواية، بحيث يقوم

¹ - محمد الداھى: سيمائية السرد، ص 146

² - المرجع نفسه: ص 146

³ - المرجع نفسه: ص 146

هذا التحليل على ثلاثة عناصر أساسية لاحظها الناقد عند فحصه المتن الحكائي، تتمثل هذه العناصر في: المدار ، تشاكل الملكية، تشاكل الصحة.

-المدار:

المدار ظاهرة تداولية و فرضية للقراءة أخذها الناقد عن أمبرتو إيكو لفهم المحتوى العام و ما تدور حوله المقاطع السردية، مما يسمح معه بإقامة تماسك تأويلي يوجّه الانتقاء السياقي للملائم و نتيجة لذلك يكون التشاكل الحصيللة النهائية لهذا التأويل. و في رواية ذات يتعلّق المدار بمسيرة الهدم و البناء ضمن كامل البنيتين المتناوبتين.

-البنية الأولى:

المسار التصويري للهدم يظهر في البنية السردية التي تتحدث عن سيرة ذات، و يتجلى ذلك في الوحدات المعجمية: التفسير، التحطيم، الاستبدال. هي كلمات مفتاحية أساسية تشيّد البنية السردية الخاصة بحياة ذات، أمّا المسار التصويري للبناء فيستقطب المعجميات: المعالجة، التثبيت الخلق، التحضير، الإصلاح.

-البنية الثانية:

توحي الأخبار الصحفية و مقاطع الإعلانات و الإشهار المنتشرة عبر الرواية بهذا المدار القائم على عمليتي البناء و الهدم من خلال الكلمات المفتاح:

-الخسران، الفيضان، الفساد، الوباء، التلوث: تشير إلى عملية الهدم.

-إعادة الترميم و البناء، الإنقاذ، تشجيع الاستثمار: تدل على مسيرة البناء.

و لتوضيح التعالق بين البنيتين يوزّع الناقد بعض الكلمات المفتاحية التي ترسم ملامح المسارين

التصويريين في جدول نوضحه نحن بدورنا في جدولين منفصلين كالآتي:

-البنية السردية الأولى (الفاعل المفرد)¹:

مرحلة الهدم	مرحلة البناء
<p>-لاح لها شبح عبد الناصر، منهمكا في تكسيورها ص62.</p> <p>-توقف عبد الناصر عن المجيء حاملا معول الهدم ص69.</p> <p>-صورة ربة منزل وهي تنهال بالمطرقة على جدرانها المغطاة ص54</p>	<p>-بعد تحضير طويل واتصالات مكثفة، انعقد الاجتماع الأول والأخير في تاريخ العمارة ص52.</p> <p>-وخلفه عكف أنوار السادات، في عناية شديدة،على تثبيت قطع السيراميك الملون الفاخر، ص63.</p> <p>-ظهر الباش مهندس...عارضاً خدماته، مؤكداً ضرورة فتح ملف الحمام لمعالجة الآثار الجانبية للعملية المحدودة ص63.</p> <p>-لكن أنوار السادات واصل زيارته الليلية وفي يمينه قطع السيراميك المعهودة ص69.</p> <p>..واستبدالها بالسيراميك الخلاب ص58،</p> <p>-بسبب انشغاله (الشنقيطي) بمشروعات من نوع آخر مرتبطة بتجميل حي مصر الجديدة.</p> <p>-تعددت في شأنه الاقتراحات ومنها إقامة نموذج مجسم من ساعة ستينز ص158</p>

¹ - محمد الداوي: سيميائية السرد، ص149-150

-البنية السردية الثانية الفاعل الجماعي¹:

مرحلة الهدم	مرحلة البناء
<p>-مستشفى عين شمس يخطو نحو الإفلاس... ص193.</p> <p>-انتشار الحمى القلاعية في الماشية، عن طريق الماشية المستوردة من أستراليا...ص221.</p> <p>-فلا هي(الدول النامية) استطاعت تسديد ديونها ولاهي تمكنت من زيادة معدل نموها بل وأصبحت معرضة لمزيد من التقهقر ص313.</p> <p>-عمليات الاختطاف واحتجاز الرهائن التي تقوم بها وزارة الداخلية شملت 400 شخصا.</p>	<p>-أعلنت الحكومة التقدم بعروض مبدئية للدخول في عملية إعادة بناء المستشفى ص103.</p> <p>-الحكومة تتدخل لإنقاذ شركات الانفتاح الخاسرة ص148.</p> <p>-من الضروري تشجيع المصدرين وحل مشاكلهم ص149.</p> <p>-نوي استثمار أموالنا في مصر، والمال متوفر والحمد لله...ص138</p> <p>-أحرزنا تقدما في التعاون مع الحكومة المصرية فزادت أسعار الكهرباء بنسبة 60%عام 1975 والجازولين 30%مرتين...ص313.</p>

يتوصّل الناقد بعد جدولة البنيتين و تفصيلهما إلى أنّ مدار الرواية هو مسيرة الهدم و البناء حيث يقوم هذا المدار باستقطاب البنيتين المتناوبتين حوله و جعلهما متلائمتين متكاملتين متعالتين كعلاقة الفرد بمجتمعه، إذ لا يمكن الحديث عن الثاني إلاّ بالأول، كما لا يتحقّق وجود الأول إلاّ ضمن الثاني، لأنّ البنية الأولى" تترصد انخراط أفراد المجتمع، فرادى أو جماعات في مشروعات وبرامج لمواكبة سياسة الانفتاح الاقتصادي، ولمسايرة إيقاع نمط العيش

¹ - محمد الداوي: سيميائية السرد، ص149-150

الاستهلاكسي (توفير وادخار المال، وحب الملكية الفردية، واستبدال الأثاث والمعدات القديمة بأخرى جديدة وفاخرة)¹، أمّا البنية الثانية فتتأسس على مستوى الفاعل الجماعي الذي يتعلّق "بمسيرة الدولة المصرية لاجتثاث جذور الاشتراكية، وطمس رواسبها ومخلفاتها، والحيلولة دون تفاقم المشاكل الاجتماعية والأمنية، واستنبات قيم جديدة قوامها تشجيع المنافسة الحرة، والاستثمار والإنتاج، والملكية الفردية. ونظرا لعدم نضج الشروط الموضوعية، فإنّ الانفتاح الاقتصادي -رغم بعض إيجابياته المتمثلة في جلب المستثمر الخارجي، والعناية بالبنيات التحتية، والحد من التضخم- زرع بذور الليبرالية المتوحشة التي عمقت الفوراق الطبقيّة، وأسهمت في استفحال الأمراض الاجتماعية، وما ترتبت عليها مظاهر الغش في تصنيع البضائع والأدوية..."².

و هكذا تظهر العلاقة الوطيدة بين البنيتين. فهي في أغلبها علاقة عموم و خصوص، يتحرّك الخاص ضمن إطار زمكاني عام يرتبط به، و يدور حوله. و كما لاحظنا سابقا في الجدول فإنّ كل عملية هدم على المستوى الكلي يتبعها قسرا لا اختيارا هدمًا على المستوى الجزئي، و كل إجراء بنائي على المستوى العام لا يتم إلا انطلاقا من القاعدة أي على المستوى الخاص.

إنّ عملية استخلاص المدار من رواية ما يمكن المحلّل من اكتشاف سلسلة التشاكلات التي يتضمنها كل مسار تصويري سردي، و التي تعمل على نسج التماسك و الانسجام بين الملفوظات السردية الخطائية، و تقييم مستوى تأويلها يوجّه المتلقي نحو قراءة موحّدة للخطاب الروائي.

انطلاقا من المدار يكشف الناقد تشاكليين دلاليين بارزين في رواية ذات، هما: تشاكل الملكية و تشاكل الصحوّة إذ يبدوان كعنصرين يتحكمان في جميع المسارات التصويرية للرواية، و مع ذلك نعتقد أنّ الناقد أغفل تشاكلات أخرى لها دور أساسي في تحريك البنية السردية للرواية، مثل التشاكلات السياسية و التشاكلات الاقتصادية ...

إنّ الفحص العمودي للناقد لمعجميات المسارات التصويرية للبنيتين قاده إلى نتيجتين هامتين:

- احتواء البنيتين على وحدات معجمية متقاربة دلاليا.

- تكرّر بعض الوحدات المعجمية لفظا و معنى في البنيتين السرديتين المتناوبتين.

¹ - محمد الداوي: سيميائية السرد، ص 151

² - محمد الداوي: سيميائية السرد، ص 151

و هو ما يمكن ملاحظته من خلال المسارات التصويرية التي تنطوي عليها كل بنية، إذ كلها تقوم- في اعتقاد الناقد- على تشاكلين أساسيين يتحكمان في السيرورة السردية..
أ- تشاكل الملكية:

يتشخص هذا التشاكل من خلال المسارات التصويرية للبنيتين المتناوبتين:
على مستوى البنية الأولى:

"- لم تكن بدعة التمليك قد ظهرت بعد ... ص14/13.
- مازلنا نتحدث عن عصر لم يكن فيه امتلاك سيارة خاصة أسهل من الحصول على شقة ص15.
- خلال ذلك كانت حكاية الجنيهاات العشرين التي تتحول إلى خمسة آلاف جنيه قد طواها النسيان، وحل محلها الأمن الغذائي... حسب الشنقيطي التكلفة والريح بالقلم والورقة، وبدأ يقوم هو و سميحة بزيارات ليلية سرية لذات التي تحمست للمشروع الجديد، وتطوّعت لمسؤولية المخلالات ص67"¹.

أما البنية الثانية فتركب من المسارات الآتية:

"- مجموعة من كبار المسؤولين السابقين والحاليين، يستولون على أراضي البحيرات بأسعار زهيدة رغم أنّها مملوكة للدولة وممنوع بيعها قانونا وبها منطقة عسكرية" ص112.
- سمو الأمير الفاسي: ننوي استثمار أموالنا في مصر. والمال متوفر والحمد لله. وهذا بخلاف ما كان يحدث في الماضي حين كنا نخشى استثمار رؤوس أموالنا في مصر خشية التأميم والمصادرة. لذلك كنا نعمل في تلك الفترة بالولايات المتحدة وأوروبا فقط ص138.
- مجموعة السعد للاستثمار. جناح نوم بالحمام + غرفتا نوم يتوسطهما حمام ثان+ معيشة وصالون وطعام ومطبخ وحمام ثالث وشرفة تطل على الأهرامات في مدينة السعد السكنية. لا تفكر كثيرا فالفرصة أمامك. وهاهي نظرية السعد للاستثمار في أبسط صورها: إذا كنت تساهم في إحدى شركاتنا بمبلغ 60.000 جنيه مثلا، ادفع فقط 6500 جنيه مقدّما واستلم فورا شقة فاخرة... ص257"².

¹ - محمد الداوي: سيميائية السرد، ص152

² - المرجع نفسه: ص152-153

فالوحدات (سيارة، شقة، مال، ربح، استثمار، شركة، مشروع) هي معجميات تضمنتها البنيتان السرديتان السابقتان تتمغنط كلها حول حقل واحد هو حقل الملكية الفردية مؤسّسة بذلك في السياق "مقوّمات سياقية متجانسة ضامنة لقراءة موحّدة للنص و مسهمة في تمطيته و توليده"¹ يحصر الناقد هذه المقوّمات السياقية في مقوم /+الفردانية/ و /+جمع المال/ و /+الاحتيايل/ و /+الطلب/ و /+العرض/، و هو ما أفرزته " مرحلة الانفتاح الاقتصادي التي حفّزت المواطنين على تبني برامج خاصة للتكيف مع التحولات الجديدة (البحث بشتى الطرق عن القنوات المفضية إلى قيم التبادل)، ودفعت الفاعلين الاجتماعيين والمنعشين العقاريين إلى استثمار أموالهم بمصر والمساهمة في ازدهارها و إرساء دعائم بنيتها التحتية. وهو ما أسهم في تفاقم مظاهر الفساد (على نحو التحايل على القانون، واللهث وراء المال، والمضاربات العقارية)"²..

و بدورنا يمكن استخلاص تشاكلين بارزين من خلال تراكم المقوّمات السابقة، هما تشاكل الانفتاح (على مختلف الأصعدة) و تشاكل الفساد، بحيث يظهران في المسارات التصويرية مترابطين، الثاني منهما حصيلة و نتيجة الأول، لأنّ الانفتاح الاقتصادي الأعمى ينجر عنه دوما عمليات استغلال و فساد منظمة و غير منظمة، سرية و علنية. و انطلاقا من ذلك يحتل تشاكل الملكية (التشاكل الذي استخلصه الناقد) و تشاكل الانفتاح و تشاكل الفساد (التشاكلان المستخلصان) مدار الرواية بأكملها، باعتبارها تشاكلات عامة منظمّة تتعلّق بمسيرة الهدم و البناء..

ب-تشاكل الصحوة:

يرتبط هذا التشاكل - في نظرنا - بتشاكلين عامين وسما البنية السردية العامة للرواية ككل، هما التشاكل الاجتماعي و التشاكل الثقافي، يمكن من خلالهما الاطلاع على التحولات الاقتصادية و السياسية و الثقافية العالمية التي طبعت تلك المرحلة التاريخية. و هذا ما شخّصه الناقد محمد الداوي في الملفوظات السردية للبنيتين المترابطين في الرواية، و التي تبرز كالآتي:

-ملفوظات البنية الأولى:

¹ - المرجع نفسه: ص 153

² - محمد الداوي: سيميائية السرد، ص 153

"-هداية عبد المجيد الذي قاطع الخمر) وأفرغ نصف زجاجة كان يحتفظ بها للمناسبات في (المرحاض) وانتظم في الصلاة كما انتظم في شراء مؤلفات الشيخ الشعراوي، وفي عدم قراءتها ص 157.

-أعلن عبدالمجيد فجأة من مرقد بلهجتة الحاسمة: "لازم تتحجى" ص 177

-ففي أحد الأيام، أحضرت أم عاطف معها شريطا من التراتيل الدينية، التمسث تشغيلة في مسجلة دعاء. لم تجذ ذات ما يضير، فهي رغم تحجبها لم تكن من المتعصبين الذين يجرمون التعامل مع العدو التاريخي ص 330¹.

-ملفوظات البنية الثانية:

"-الشيخ الشعراوي: المرأة يجب أن تكون محجة حتى لايشك الرجل في بنوة أبنائه منها ص 47.

-فضيلة شيخ الأزهر: لا يجوز أن يرى من المرأة المسلمة إلا وجهها وكفيها" ص 107.

-فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي: تجربة المصارف الإسلامية تستحق التنويه والتشجيع والتأييد ص 190².

يلاحظ الناقد تراكما و تواردا لبعض المقومات السياقية في الوحدات المعجمية للملفوظات السردية السابقة للبنيتين المتناوبتين في الرواية، بحيث كلها ترتبط بمقومات: /+الاستقامة/ و /+الاحتجاب/ و /+التوبة/ و /+التكافل/ و /الإيمان/ و /+الهداية/. تنسج هذه المقومات خيوطا رابطة بين بنيتي الرواية من خلال تشييد تشاكل الصحوة "الذي حفز القوى الفاعلة على التوبة إلى الدين الإسلامي (القيام بالصلاة، ومقاطعة الخمر، وتبرقع المرأة) ودفع الفواعل الجمعية الإسلامية (التنظيمات الإسلامية) إلى البحث عن أساليب و قنوات جديدة لهداية البشر و تعزيز أشكال التضامن الاجتماعي. وتعاضمت موجة الصحوة الإسلامية نتيجة عدم تلبية الاشتراكية الناصرية مطالب الجماهير العريضة وتوقعاتها، ونتيجة تعمق الفوارق الاجتماعية من جراء نهج سياسة الخصخصة واقتصاد السوق"³.

-خلاصة تقييمة:

¹ - المرجع نفسه: ص 154

² - محمد الداوي: سيميائية السرد، ص 154-155

³ -المرجع نفسه: ص 155

يعتبر هذا العمل النقدي الذي قدّمه الناقد المغربي محمد الداوي من الأعمال الإجرائية الهامة في ميدان التحليل السيميائي للخطاب الروائي، و بخاصة تطبيق فرعية التشاكل السيميائي على النصوص السردية و اكتشاف مدى انسجام و اتساق عالمها الحكائي الداخلي من جهة، و ترابطه بالواقع الذي يحيل إليه و يفارقه من جهة أخرى. و هو ما حاول الناقد إثباته من خلال رواية ذات لصنع الله إبراهيم، بتبديد كل الشكوك التي كانت تدور حول جنس هذا العمل و تنتقص من قيمته الإبداعية، بسبب التقنية السردية التي اعتمدها السارد، و التي تظهر فيها الرواية مشتتة بين عالمين حكايين منفصلين، يرتبط الأول بسيرة ذاتية للفتاة ذات في مرحلة تاريخية معينة من تاريخ مصر، بينما يعتمد العالم الحكائي الثاني على توثيق المرحلة التاريخية التي مرت بها مصر و انتقلت خلالها من النظام الاشتراكي و الملكية العامة إلى الانفتاح الاقتصادي و ما انجر عنه من نتائج إيجابية و عواقب سلبية كثيرة غيرت التركيبة الاجتماعية و الثقافية للبلد.

و لذلك جاءت هذه المقاربة التحليلية المعتمدة على خاصية التشاكل في إبراز التجانس و الاتساق القائم بين البنيتين السرديتين المتناوبتين، بحيث تظهر البنية الأولى كبنية سردية جزئية تتحرك في الإطار الزمكاني للبنية السردية الثانية، تتعالق معها تعالقا تاريخيا و اجتماعيا و ثقافيا. و مع ذلك تنفلت البنية الثانية عن الأولى أحيانا، و تستقل بحركتها السردية التاريخية، بسبب الاستطراد أحيانا، و التكرار في أحيان أخرى، مما يفقدها تجانسها و اتساقها في بعض المواقف السردية، و لكنه لا يؤثر في انسيابية الرواية في عمومها. هذا من جهة، و من جهة أخرى نسجل الملاحظات الآتية حول التحليل العام للرواية:

- اضطراب في استعمال بعض المصطلحات السيميائية، و مثال ذلك استعمال الناقد مصطلحين عربيين متغايرين في مقابل المصطلح الأجنبي *Classéme*، فمرة يقابله بالمقومات السياقية، و تارة أخرى بالمصانف، في مثل قوله " فجميع هذه المسارات التصويرية و غيرها تندغم في تشاكل /الملكية/ الذي يستقطب قسرا ألفاظا متعالقة فيما بينها دلاليا (سيارة و شقة و المال و الربح و الاستثمار و الشركة المشروع...) لكونها تُنسل مقومات سياقية متجانسة ضامنة قراءة موحّدة للنص و مسهمة في تمطيته و توليده، و ذلك على نحو

/+الفردانية/ و /+جمع المال/ و /+الاحتياىال/ و /+الطلب/ و /+العرض/.
 و هي كما يتّضح مصانف فرضتها مرحلة الانفتاح الاقتصادى¹.
 فكثير من باحثينا العرب المحدثين يقابل المصطلح الأجنى *Classéme* بالمصطلح العربى المقوم السياقى، بينما يقابل اللفظ الأجنى *Taxéme* باللفظ العربى مصانف.
 -الاقصان على التحلىل التشاكلى على مستوى البنىة السطحية للخطاب الروائى فقط و إهمال أهم مستوى فى التحلىل السىمىائى، و هو مستوى البنىة العميقة التى تتحكم فى تحريك البنىة السردىة، و تحدّد النموذج المنطقى التجردى الذى تنطلق منه التنويعات الحكائىة السردىة.
 -تبنى نظرىة التحلىل بالمقومات و اكتشاف الحقول الدلالىة دون غيرها من النظرىات الأخرى التى يمكن أن تثرى التحلىل التشاكلى و تناوله من جوانبه المختلفة، كالنظرىة الكارثىة الشعبىة و النظرىة الطبولوجىة.

3- سىمىائىة التشاكل فى المسرحىة الأمازىغىة (ثوافىت/الأحجىة) لجمىل حمداوى:

1.3- مسرحىة ثوافىت:

عرضت جمعىة أجاج² هذه المسرحىة بأمازىغىة الرىف المغربى فى التاسع من أكتوبر عام 2010 و تعنى (ثوافىت) باللغة العربىة (البحث) غير أنّ هناك من ىترجمها إلى (الأحجىة)، و حسب تحلىل المسرحىة نرى أنّ الترجمة الثانىة أقرب إليها من الأولى، ذلك أنّ مؤلفها عبد القادر أصبار قدّمها فى شكل أحجىة و ترك لجمهور المتلقىين فك شفرائها و استخلاص الرسالة التى تتضمنها، و قد ساعد على إضفاء هذا الطابع عليها المخرج عبد الواحد زوكى و المشخص محمد الأمين المدرسى و كرىمة لكبرى و تولى تنفيذ إنارتها جواد بوشرطة و إعداد موسىقاها نجىم بله، بينما قام بإعداد جانبها السىنوگرافى³ المخرج السابق ذكره.

¹ - عبد المجدى نوسى: سىمىائىة السرد، ص 153

² - جمعىة أجاج: جمعىة الرعد هى جمعىة أمازىغىة مغربىة نشأت بالناطور، تعنى بالعمل الثقافى و نشر الثقافة الأمازىغىة عن طريق الفن المسرحى.

³ - السىنوگرافىا: هى تصمىم و تنفيذ عناصر مشهدىة للسنىما و التلفزيون و المسرح، بالإضافة إلى تصمىم ملابس الممثلين و أزيائهم...

2.3- التحليل التشاكلي للمسرحية:

ينطلق الناقد المغربي جميل حمداوي في تحليله السيميائي من مبدأ فلسفي مشهور، مفاده: " أنّ الظواهر العالمية والأنشطة الإنسانية والبشرية تتحكم فيها بنية التشاكل بشكل من الأشكال، فإنّ الإبداع الأدبي والفني يخضع بدوره لهذه البنية سطحا وعمقا"¹. و باعتبار هذه المسرحية نشاطا إنسانيا من جهة، و إبداعا فنيا من جهة أخرى، فإنّها تخضع هي الأخرى للتشاكل الجامع بين الحدود المتقابلة، و القائم هو أيضا على الاختلاف المفضي عن طريق التدرج إلى طمس الحواجز الفاصلة بين هذه الحدود.

انطلاقا من هذا المبدأ حاول الناقد تطبيق سيميائية الشاكل على جنس المسرح متسائلا عن مظاهر سيميائية التشاكل الدلالي والتعبيري والتداولي في هذه المسرحية²، و للإجابة عن هذا السؤال إجرائيا يقدّم الناقد بداية التصورات النظرية التي اهتمت بفرعية التشاكل عند الغرب و العرب، مؤكّدا على أسبقية غريماس في هذا المجال، و الذي قام بنقل هذا المصطلح و أنساقه من الميادين العلمية إلى الميدان السيميائي.

و يمكن أن نلخص أهم هذه التصورات في المعالم الآتية:

-تصوّر غريماس:

"الغرض من دراسة التشاكل عند غريماس هو البحث عن الانسجام الخطابي، و التأكيد من صحة المقروئية، وخلق وحدة النص"³.

-تصوّر فرانسوا راستي:

"درس التشاكل من وجهة دلالية وشكلية مادام قد تعامل مع الشعر على سبيل الخصوص، في حين قد درسه غريماس من وجهة دلالية ومعجمية، وذلك في مجال السرد والحكاية"⁴.

¹ - جميل حمداوي: السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011م، ص: 563-543.

² - ينظر المرجع نفسه: ص 544

³ - المرجع نفسه: ص 546

⁴ - المرجع نفسه: ص 547

¹ - جميل حمداوي: السيميولوجيا بين النظرية و التطبيق، 548

² - المرجع نفسه: ص 549

-تصوّر جوزيف كورتيس:

"لا يخرج جوزيف كورتيس في تعريفه عن تصورات غريماش، وذلك باعتبار أنّ التشاكل هو تكرار لوحات دلالية عبر مسارات النص الحكائية أو السردية"¹.

-تصوّر جماعة (μ):

تناولت هذا المفهوم من وجهة منطقية تركيبية في كتابها (بلاغة الشعر) محتفية بالجانب التعبيري متعددة "الدلالة إلى الوحدات اللغوية الصوتية والصرفية والبلاغية والتركيبية والمنطقية، سواء أكانت تلك الوحدات المكررة تقع على مستوى السطح أم على مستوى العمق من النص"². و يشمل تحليلها سائر الخطابات الإنسانية (العلمية و الأدبية و السياسية ...).

-تصوّر جماعة أنثروفين (*Groupe D'Entrevernes*):

يعمل التشاكل عندها على تحقيق قراءة موحدة للرسالة، بتأسيس مستوى مشترك منسجم انطلاقا من تواجد بعض المقومات الدائمة و الثابتة على مستوى الجملة أو الخطاب³.

-تصوّر محمد مفتاح:

بالاستفادة من التصورات السابقة يشيّد محمد مفتاح صرح هذا المفهوم، و يصبغه بصبغة عربية أصيلة تنظيرا و تطبيقا في كتابه (تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص) الذي يحمل توسيعا نظريا يشمل الجوانب المعنوية و التعبيرية و التناصية و المنطقية و التداولية للمفهوم. و خلاصة التشاكل عند مفتاح تتضمّن "تمطيط وتوسيع وتكرار لنواة دلالية معينة أو تكرار لمقومات دلالية وسيميائية، قد تكون فكرة أو عنوانا أو مقوما أو بؤرة أو جملة محورية أو مستنسخا تناصيا. وتتسم هذه النواة بالتراكم داخل النص ترددا وتواترا. بيد أنّ هذا التراكم قد يكون اختياريا خاضعا لحرية المبدع أو قسريا إجباريا تفرضه ضرورات اللغة وإمكاناتها المحدودة. ومن ثم، يشمل التشاكل البنية والدلالة والوظيفة. أي: يمكن الحديث عن التشاكل الصوتي والصرفي والإيقاعي والتركيبى والبلاغي، كما يمكن الحديث عن التشاكل الدلالي والتداولي المتعلق بالمقصدية"⁴.

3- المرجع نفسه: ص 549

2- المرجع نفسه: ص 549

5- ينظر المرجع نفسه: ص 550

4- جميل حمداوي: السيميولوجيا بين النظرية و التطبيق، ص 554

بعد هذا العرض النظري يختبر الناقد جميل حمداوي هذا المفهوم على جنس المسرح، و بخاصة مسرحية (ثوفيت) بحيث يقوم برصد التشاكل على مستوى الدلالة، "بتتبع المسارات الدرامية و المشاهد الركحية، بغية تحديد المتواتر و المتردد من التيمات و الحوافز و المواضيع البارزة و الانتقال من التعيين نحو التضمين"¹، و تبعا لذلك يرصد التشاكل التعبيري على مستوى القلب و السينوغرافيا و التشخيص و الإخراج و التلقي و الكتابة و المقصدية.

3.3- التشاكل الدلالي في المسرحية:

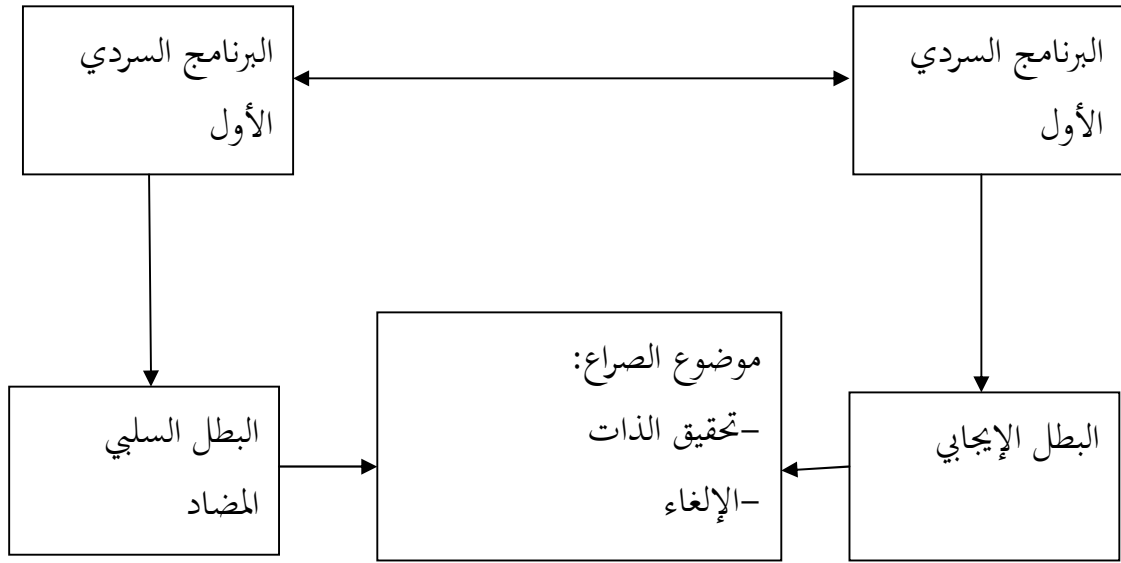
إنّ التتبع الواعي للدلالات المسرحية ساق الناقد إلى استكشاف حقول معجمية و دلالية تنحصر في:- حقل الذات (مواجهة و صراع بين شخصين)
- حقل اللون (مواجهة و صراع بين البياض و السواد)
- حقل الصراع (كل شيء على الخشبة قابل للصراع)
- حقل القيم (ترسيخ مجموعة من القيم)
كل حقل من هذه الحقول يؤسس مستوى يتضافر مع باقي المستويات الأخرى لتشكيل البنية الدلالية الكلية للمسرحية.

أ- مستوى الذات:

يرى الناقد أنّ هذا المستوى يتحكّم في جميع المستويات الأخرى، بحيث يتخذ موقعا طبولوجيا يشرف على تصدير الخطاب المسرحي، منه تنشظى مختلف المستويات و الدلالات المرتبطة به. يُظهر هذا المستوى صراعا بين شخصين " يحاول كل واحد منهما إثبات وجوده الكينوني و حضوره الهوياتي، وذلك عن طريق الصراع الدموي (الإيهامي)، والقتال الحركي (الكوريغرافي) فوق خشبة المسرح"²، و ذلك كلّه من أجل:- إلغاء الآخر و تحقيق استقلالية الذات أنفة و غرورا.
- الاستئثار بالحقوق و اكتساب الأولوية، تعزيز المكاسب الشخصية بطرق عديدة (إزهاق الروح، البطش، الاعتداء).

²- جميل حمداوي: السيميولوجيا بين النظرية و التطبيق، ص 556

إنّ البنية العميقة لهذا الفعل الدرامى تتجلى - في نظر الناقد- في الصراع بين ذاتين متعاكستين متجاذبتين حول الموضوع المرغوب فيه، " يظهر في شكل برنامجين سرديين متناقضين على المستوى الدرامى، فالبرنامج الأول يعيقه البرنامج الثانى. ويعني هذا أنّ هناك بطلا إيجابيا وبطلا سلبيا مضادا، بينهما صراع جدلي محفز بتحقيق الذات، وتحصيل الكينونة وكسب الانتصار والظفر على حساب الآخر"¹. و هذا ما يمكن اختصاره في الخطاطة الآتية:



و في الممارسة الركحية يخضع البرنامج السردى للعديد من الحالات:

- **حالة التطويق:** محاولة إثبات البطلين حضورهما وتحقيق وجودهما، و أثناء ذلك يخضع "الممثلان لصوت يهددهما بالموت المحتوم بعد انتهاء الذئب من عوائه النهائى، و ينالهما ذلك فعلا و قطعاً إذا لم يقوما بعملية الحفر للحصول على الحقيقة المتوارية في الأرض"².

- **حالة التأهيل:** تتجلى في القدرات القتالية الخارقة للبطلين اللذين يتجهان نحو موضوع الصراع للاتصال به أو الانفصال عنه.

- **حالة الإنجاز:** تتجسد في الصراع اللفظي و الحركي .

- **حالة التقويم:** و هي الحالة النهائية التي تقول إليها المسرحية، بحيث يتصالح البطلان و يتعاهدان على السلام بعد أن تم كشف عيوبهما و أخطائهما¹.

¹ - المرجع نفسه: ص 557

² - جميل حمداوي: السيميولوجيا بين النظرية و التطبيق، ص 558

ب- مستوى اللون:

يرى الناقد أنّ مسار المسرحية يتحكّم فيها لوان أساسيان تنبعث منهما دلالات مقصودة توجّه كفاية المتلقي لفك شفرات الأحجية و تتبّع الرحلة الدرامية للبطلين اللذين يبحثان عن البياض للتخلّص من السواد الذي يغمّرهما و يغشى المكان عبر الملفوظات و الأيقونات السينوغرافية (الخيمة السوداء، الماكياج الأسود، البشرة السوداء، الأزياء السوداء، الإنارة المعتمة التي تتخلها أضواء حمراء متوهجة)، و بذلك يسيطر اللون الأسود على المسار المسرحى ليقوم تشاكلا سياقيا و بصريا يصب في ثنائية الخير و الشر، و ثنائية المحبة و الكراهية و انطلاقا من ذلك يستخلص الناقد جملة من المقومات السياقية المتراكمة التي تساهم في تحديد هذا التشاكل:

اللون الأبيض	اللون الأسود
- الحرية	- العبودية
- السيادة	- النخاسة
- الجمال	- القبح
- التفوّق	- الكراهية
- التملّك	- الشرّ
- الاحترام	- الذلّ
- الانتصار	- الاحتقار
	- الازدراء
	- التهميش
	- الشقاء
	- الهزيمة

¹ - ينظر المرجع نفسه: ص 558

هذه المقومات المتراكمة و المتواردة عبر الخطاب المسرحي اللغوي و غير اللغوي تبني تشاكلا سيميائيا و دلاليا قائما على ثنائية السيادة و العبودية، و ثنائية الاحترام و الاحتقار، و ثنائية القبح و الجمال ضمن حقل القيم¹.

4.3-التشاكل التعبيري:

لا يقتصر الشكل التعبيري في المسرحية على الجانب اللغوي فقط، بل يضم إليه جوانب أخرى خاصة بجنس المسرح، مثل الجوانب الأيقونية والإيقاعية والنبرية والتنغيمية والموسيقية و التي تساهم كلها مجتمعة في تخصيص الدلالة و إضفاء الانسجام على الخطاب المسرحي في الخشبة. و بما أنّ مسرحية (ثوافيت) تندرج ضمن المسرح الرمزي التجريدي فإنّها ترتكز على علامات إحالية و أيقونات دالة تتجسد أساسا في المشاهد الفضائية و المشاهد الكوريفرافية.

-التشاكلات الفضائية:

تشكّل عند الناقد الخيمة السوداء صورة فضائية محورية لأحداث المسرحية " ترمز إلى مواطن الشر والحقد والكراهية، ومكان الصراع الدرامي والدينامي، وفضاء مأساويا وتراجيديا لإنجاز البرامج السردية الكارثية القائمة على الإقصاء والتهميش والموت. ويمكن أن تتحول الخيمة إلى خيال الظل لتجسيد فرجة بصرية قائمة على الإيهام والتخييل"².

إضافة إلى الخيمة -الديكور المحوري للمسرحية- يتحرّك المتواجهون في فضاء ركحي مقسّم إلى فضاءين متشاكلين:

- فضاء السواد الذي يتحرّك فيه ممثله.

- فضاء البياض الذي يتحرّك فيه ممثله.

من خلال هذين الفضاءين يحاول كل شخص السيطرة على فضاء الآخر بصراع حركي جسدي كوريفرافي³، اجتهد المخرج في إبرازه بتقسيم " الخشبة المشهدية إلى نطاقين فضائيين دراميين، فتم تقطيعهما بالحاجز الضوئي المبني على ثنائية الظلمة والنور أو ثنائية السواد والبياض"⁴.

¹ - جميل حمداوي: السيمولوجيا بين النظرية و التطبيق، ص559

² - المرجع نفسه: ص560

³ - الكوريفرافيا: فن حركة الجسد و الرقص.

⁴ - جميل حمداوي: السيمولوجيا بين النظرية و التطبيق، ص561

-تشاكل الفضاء الحركي:

الفضاء الحركي هو الفضاء الذي ينتج عن طريق التفاعل الحركي للممثلين حينما يقومون برسم الحدود الحقيقية لمناطق لعبهم الشخصية والجماعية من خلال أفعالهم وعلاقات القرب أو التباعد فيما بينهم.

الفضاء الحركي هو أيضا الطريقة التي يتصرف بها جسد الممثل في الفضاء، مشدودا إلى الأعلى أو إلى الأسفل، متقلصا أو مرتخيا، في حالة تمدد أو منكفئا على نفسه.

يتأسس هذا النوع من الفضاء انطلاقا من لعب الممثلين، ثم إن حدوده قابلة للتوسع وغير متوقعة، بينما الفضاء الركحي محدد بالبناء السينوغرافي للمسرح العام. لأنّ الفضاء الحركي يجعل نفسه - أكثر من الفضاء الركحي بكثير- قابلا لكل التعاقدات والاستعمالات. وهو ليس فضاء واقعيًا، لكنّه أداة ركحية في متناول الممثل والمخرج.

إنّ تشاكل هذه الحركات الفضائية المعكوسة تنشئ انطباع لعب أو تمثيل مسرحي يستعمل إمكانات المسرح بشكل أفضل¹، و انطلاقا من هذا رصد الناقد ساحة اللعبة الدرامية للمسرحية و التي اتخذت من وسط الخشبة ساحة لها ضمن المثلث الدرامي، " في المنطقة الوسطى المركزية بينما الممثلان يتواجدان على حوافي هذه المنطقة، فهناك من كان يتموقع في المنطقة الوسطى اليمينية من جهة الحديقة، وهناك من جهة أخرى من كان يتخذ في المنطقة الوسطى اليسارية من جهة الملعب، في حين خصص الوسط للجذب والصراع والمشاجرة القتالية التطاحنية. وكانت الانتقالات الحركية من اليمين إلى اليسار أو من اليسار إلى اليمين أو من هذين الموقعين أو الاتجاهين نحو فوندو الخشبة. ويعني هذا أنّ الحركات كانت أفقية وعمودية²، و كلّ هذه الحركات ساهمت في رسم تشاكلات دلالية تنتمي للموقعين المتجاذبين، بحيث تضفي على الصراع

¹ - Voir: Patrice Pavis : Dictionary of the Theatre: Terms, Concepts, and Analysis, University of Toronto Press, 1998, P161

² - جميل حمداوي: السيميولوجيا بين النظرية و التطبيق، ص 562

³ - ينظر المرجع نفسه: ص 561

⁴ - المرجع نفسه: ص 562

حركة دينامية متسارعة تزيد من دراميتها الإكسسوارات الوظيفية، فالمعول مثلا يتحوّل إلى سيف وأداة للقتل وممارسة الشر والكراهية، و الإضاءة تتأرجح بين الظلمة والنور، وبين السواد والبياض لتؤكد تشاكل الحب والكراهية. وهذا ما يظهر في الأزياء والملابس، ويثبته الماكياج¹.

تعتبر هذه الإكسسوارات الوظيفية- في نظر الناقد- علامات سيمائية تدل على أنّ الحقيقة التي يبحث عنها الممثلان تتجسّد في تحصيل تيمة البياض (الحب و الخير و السلام) التي لا يخلو منها أي قلب إنساني ينشد القيم الأخلاقية السامية، و ما سبق يوصل المتتبع للمسرحية إلى أنّ "الشكل التعبيري للمسرحية بكل تمفصلاته اللغوية والأيقونية والإيقاعية والنبرية والتنغيمية والموسيقية يؤشّر على ثنائية النور والظلمة، وثنائية البياض والأسود. بيد أنّ هذا التقابل الدلالي يتحوّل إلى تشاكل دلالي إيحائي يتمثل في الصراع بين الخير والشر أو بين الحب والكراهية"².

-التشاكل التداولي:

على خطى محمد مفتاح يسير جميل حمداوي في اهتمامه بالمقصدية المباشرة و غير المباشرة للخطاب الإبداعي، بتقصي كل الظروف السياقية و الحثيات الثقافية التي تحيط به. إنّ نظرة الناقد الفاحصة المتعمّقة في خطاب المسرحية ومقصديته المباشرة وغير المباشرة هدتته إلى اكتشاف الرسالة التي ينطوي عليها، و التي تدعو في مجملها "إلى الثورة على أوضاع الواقع المتردية على جميع الأصعدة والمستويات، كما تندد بانحطاط الإنسان بصفة عامة والإنسان الأمازيغي بصفة خاصة"³.

³ - جميل حمداوي: السيميولوجيا بين النظرية و التطبيق، ص 563

بعد هذا التحليل السيميائي التشاكلي للمسرحية يصل الناقد جميل حمداوي إلى النتائج الآتية:

-تمحور مسرحية ثوافيت حول التشاكل السيميائي: /الإنساني/ و/القيمي/.

- المسرحية تحث الإنسان على تمثل طريق الخير، واتباع منهج الفضيلة، والتشبث بفلسفة المحبة والخير والسلام، والابتعاد عن الشر والعنف والكراهية.

- تنتقد المسرحية كل أنواع التطرف والصراع والعنف مهما كان شكله أو كانت غايته.

- (ثوافيت) مسرحية رمزية سيميائية تتخذ من شعرية النور والظلمة موضوعا لها.

- "المسرحية ذات نسق أكسيولوجي وقيمي يدعو إلى تمثل فلسفة المثل العليا والفضائل النبيلة والتغني بقيم الخير والمحبة والسلام والصفاء. ومن جهة أخرى، ينتقد إيديولوجيا الصراع والإقصاء والتطرف والتهميش والعدوان والكراهية. لأنّ الخير والمحبة يتصلان بفلسفة الحياة، في حين يتصل الشر والكراهية بفلسفة الموت ليس إلا"¹.

-تركيب و تقييم:

لا نكاد نعثر - فيما وقع في يدينا- على دراسة أكاديمية جادة لسيميائية التشاكل في الخطاب المسرحي سوى هذه الدراسة التي تمتح من قنوات معرفية كثيرة اهتمت بفرعية التشاكل وعلاقته بانسجام و اتساق الخطاب الأدبي، و مع ذلك، و من خلال تتبعنا للتحليل السيميائي التشاكلي لمسرحية (ثوافيت) يمكننا إبداء الملاحظات الآتية:

- تأثر الناقد جميل حمداوي بمحمد مفتاح تنظيرا و تطبيقا، إذ نجد تمثلا واضحا لمنطلقاته و تحليلاته و استنتاجاته فيما قدّمه لنا الناقد من تحليل.

- الاهتمام الواسع بالتشاكل الدلالي على حساب التشاكل التعبيري، و الاقتصار على فحص و متابعة العناصر غير اللفظية المساهمة في تشكيل حركة الصراع الدرامي للمسرحية، و لو

¹ - المرجع نفسه: ص 563

أنّه تحدّث عن التشاكل التعبيري لكن دون استجلاء للبنية اللغوية الخاصة بالمرسحية، و التي لها دور كبير في التوصيل و التفاعل على مستوى الأصوات و المعجم و التركيب.

- استعمال منظومة مصطلحاتية خاصة بجنس المسرح من جهة، و بسيميائية التشاكل من جهة أخرى تحتاج في أغلبها للتعريف النظري و المنهجي و تحديد مسوِّغات اختيار المقابل العربي في حالة الاعتماد على المصطلح الأجنبي.

الختامة

خاتمة:

إنّ ما يمكن أن نخلص إليه من هذا البحث فضلا عن المتعة التي وفّرها لنا هو اكتشافنا عن قرب لثراء و اتّساع مفهومي التشاكل والتباين، إذ لا يمكن الإحاطة بمفاهيمهما ومصطلحاتهما وإجراء اتّهما التي تنهل من ينابيع ومشارب علميّة وفلسفيّة متنوعة، بالرغم من نشأتها في كنف السيميائيات، ومحاولة كثير من السيميائيين حصرها في حدود هذا المنهج دون غيره، ومع ذلك لمسنا في الدرس التشاكلي انفتاحا ونشاطا دلاليا مثيرا للقراءة باستمرار على مستويي التّنظير والتّطبيق.

إنّ أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث المتواضع تتمثل في النقاط الآتية:

- لا وجود لسيميائيات العلامة من دون سيميائيات للخطاب، لأنّ هذه الأخيرة هي التي تصف وتشرح الاستعمال الجماليّ للعلامات من خلال انتظامها في نصوص وخطابات. والسيميائيات بعد ذلك ليست علما للعلامات وحياتها في المجتمعات فحسب، و إنّما هي علم لتطوير الأمم وإصلاحها، وتحسين أدائها ودفعها نحو المعرفة والتحضّر والسّلام.

- بين ثقافة المطابقة و ثقافة الاختلاف يطالب نقادنا العرب المحدثون مطالبة حثيثة بضرورة ميلاد نظريّة نقدية عربيّة خالصة تراعي خصوصيّة الإبداع العربيّ، وتشدّد على اختلافه.

- نقادنا العرب المحدثون في بحث دائم عن كيفية تطوير النموذج التشاكلي المنفتح باستمرار و القابل للانخراط في مشكلات عصره.

- مفهومها التشاكل والتباين منظومة قائمة بنفسها، لا يزال يصاحب نشأتها وتبلورها الاختلاف والإبهام والالتباس، وتعميق الثقافة السطحية التي تغيب فيها الفرضيات الكبرى والأسئلة الجوهرية، ومع ذلك فإن توجيهها التوجيه السليم يمكن أن يحل العديد من المشكلات الإنسانية.

- المتشاكلات ما هي إلا خصائص خطاب معين يعكس وضعيّة ثقافية لمجتمع ما في زمن محدد.

- ثنائية التشاكل والتباين فرعية سيميائية يتضافر فيها الشكل والمضمون من أجل فكّ الكثير من الألغاز التي يخفيها النص بين وحداته وبنياته المضلّة، ومن أجل الكشف عن هندسة الخطاب الإنسانيّ وجماليته وبنائه الفنيّ المتفرد.

- يدلّ التشاكل على الانسجام على مستوى الجملة أو النصّ أو الخطاب، بأن تكون كلّ هذه المستويات حاملة لمعنى، متفاعلة مع نفسها و متلقيها و محيطها، غير متناقضة في ذاتها أو بواسطة غيرها (المتلقي)، لتصلّ إلى تحقيق نوع متميّز من الوحدة الداخلية.

- التراث العربيّ القديم تراث غنيّ ثرّ، فيه إشارات متفرقة مضيئة تمدّنا بقواعد لازالت سالمة قائمة تنتظر من يحفر عنها، ويرفعها من جديد. ولدرس التشاكل نصيب من ذلك حام من حوله القدامى، وبخاصة أولئك الذين امتزج عندهم الدرس النقدي والبلاغي بالمنطق والرياضيات والطبّ وباقي العلوم الأخرى.

- الاختلاف والاضطراب سمتان لا زالتا تطبعان المنظومة المفاهيمية و المصطلحاتية للنقد العربي الجديد وتعمق من هوة التفرق والتضعع والتأخر.

ولكن هذه النتائج ليست أحكاما نهائية نقف عندها و لا نزيد، بل على العكس من ذلك فالبحث هنا يرضخ بكل إذعان وتواضع إلى نسبية الحقيقة العلمية في مجاله، ويستدعي تكملة و إحاطة وتدقيقا، وليس له من الفضل سوى التنبيه إلى بعض الأفكار التي من الممكن أن تكون تمتاز بشيء من الجدة والتنسيق في الوصف والجمع، أو قد تدفع بالبحث إلى أن يتواصل ليفتح آفاقا أخرى في موضوعه على الأقل.

مسرد الأعلام

صنع الله إبراهيم ص 234، 235، 253، 258

خولة طالب الإبراهيمي ص 136

أبو تمام ص 147، 158

أبو حيان ص 167

عارف أبو شقرا ص 125

أنطوان أبو زيد ص 133

أبو نوّاس ص 35

فيصل الأحمر ص 76، 135

أدلر Alfred Adler ص 34

جان ميشال آدم Jean-Michel Adam ص 75

أرسطو ص 13، 51

أريفي Michel Arrivé ص 71، 80، 90، 97، 192

الأقشير الأسدي ص 163

غريب إسكندر ص 133

عز الدين إسماعيل ص 36، 38

واسيني الأعرج ص 31

الأصمعي ص 166، 183

أفلاطون 34

أندري أكون André Akoun ص 38

محمد العيد آل خليفة 26

امرؤ القيس ص 150، 151

أحمد أمين ص 31

أنجلس Friedrich Engles ص 29

كربرات أوركشيوني ص 262

أمبرتو إيكو Umberto Eco ص 117، 119، 262، 263

أوستين ص 218

ب

رولان بارت Roland Barthes ص 31، 47، 54، 216

البحثري ص 148، 155

سعيد حسن بحري ص 73، 132

أبو الفتح البستي ص 147

محمد برادة ص 31

جان ماري برادي Jean-Marie Pradier ص 71، 80

برتلانفي Luding Von Bertlanffy ص 57

بسام بركة ص 130، 133

كلود برنار Claude Bernard ص 18

مارسيل بروست Marcel Proust ص 10

فرديناند برونتيير Ferdinand Bruntiere ص 9، 10، 11، 44، 46، 51،

52، 53، 63

فلاديمير بروب Vladimir Propp ص 46، 49، 55، 56

جاك بريفار Jacques pervert ص 71

البطلوسي ص 177

أبو الفتح البعلي ص 140

بلزاك Balzak ص 9

بليخانوف Plékhanov ص 29

بكر بن حماد ص 204

ابن الأثير ص 157، 185

ابن تيمية ص 13، 14

ابن جني ص 152، 177، 178، 183

ابن حجة الحموي ص 154، 155، 164

ابن خلدون ص 15

ابن دريد ص 183

ابن الرومي ص 35، 36

ابن السراج ص 153

ابن سينا ص 166

ابن طفيل ص 193، 227

ابن عبدون ص 180، 184، 185، 226، 227

ابن القيم ص 142

ابن المعتز ص 164، 168

ابن مسعود ص 140

- رشيد بن مالك ص 130، 132
ابن منظور ص 139
أسامة بن منقذ ص 170
مسلم بن الوليد ص 158
ابن يعقوب المغربي ص 143، 144، 145، 153، 154، 155، 156، 161
سعيد بنكراد ص 64، 133
محمد بنيس ص 31
جان بياجي Jean Piaget ص 57، 59
جان بيتيتو Jean Petitot ص 71، 80، 249
شارل سندر س بيرس ص 216
ش.أ. سانت بيف Charl Augustin Saint-beuve ص 22، 23، 24، 63
فرنسيس بيكون Francis Bacon ص 13، 14
ت
تامين ص 177، 220
تشومسكي CHomski ص 44، 45
تودوروف Todorov ص 45، 47، 216
تولستوي Léon Tolstoï ص 43
روني توم René Thom ص 71، 80، 249
توماشفسكي Tomachevski ص 42، 43
ألان تيت Allen Tate ص 63

ث

الثعالبي ص 168

ج

الجاحظ ص 197

جاكوبسون Jacobson Roman ص 97، 193، 216، 219

الشريف الجرجاني ص 140

أنطوان جميل ص 126

جوديل Etienne Jodelle ص 52

أحمد الجوة ص 135

لوسيان جولدمان Goldman Lucien ص 21، 30، 31

جونسون ص 189

جونكور Goncourt، ص 8

جيمس جويس James Joyce ص 47

الطائي الجياني ص 139

أندري جيد André Gide ص 10

ح

طه حسين ص 14، 31

توفيق الحكيم ص 36

جميل حمداوي ص 271، 273، 279، 280

خ

عابد خازندار ص 134

الخطابي ص 139

صالح خرفي 26

محمد خلف الله أحمد ص 36

الخليل بن أحمد ص 166

د

داروين Ch. R. Darwin ص 52، 59

غابريال داننيزيو Gabriele D'annunzio ص 10

محمد الداھي ص 234، 253، 255، 256، 257، 259، 261، 268، 269

جاك دريدا Jacques Derrida، ص 54

جاك دريدا Jacques Derrida، ص 54

دودي Alphonse Daudet ص 10

جيل دولوز ص 259

جان ديبوا ص 68، 76، 96، 216، 221

دي سوسير 11، 140، 141، 216

روني ديكارت René Descarte ص 14، 15، 16

ديلبويل ص 177

ديوي John Dewey ص 60، 83

ر

أبو بكر الرازي ص 138

فرانسوا راستي François Rastier ص 71، 89، 90، 93، 94، 96، 97،
108، 109، 110، 112، 113، 114، 115، 116، 119، 173، 174، 199،
226، 261، 262، 272

بيرتراند راسل Bertrand Arthur William Russell ص 16

راسين Jean Racine ص 35

جون كرو رانسوم John Crowe Ransom ص 63

عبد الله الركيبي ص 26

بروك روس ص 188

ريفاتير ص 219

ياك ريفي ص 253

بول ريكور Paul Ricœur ص 96

ريني ريلك Rainer Rilke ص 10

ز

زهير بن أبي سلمى ص 164

إيميل زولا Emile Zola ص 17

لطيف زيتونة ص 128

جرجي زيدان ص 124

س

محمد ساري ص 32

السجلماسي ص 145، 147، 148، 149، 153، 161، 163، 164، 165،
166، 168، 169

أبو القاسم سعد الله ص 26

أنيس سلوم ص 124

سورل ص 189، 218

مصطفى سويف ص 35

السياب ص 227

سيف الدولة ص 149، 151

السيوطي ص 158

ش

أبو القاسم الشابي ص 227

شاتوبريان Chateaubriand ص 23

جميل شاکر ص 134

محمد رضا الشبيبي ص 128

ليفى شتروس c.levi strauss ص 70، 259

أحمد شفيق ص 126

شكسبير William Shakespeare ص 25

روبرت شولز Robert E. Scholes ص 45، 47

ص

صبحي الصالح ص 128

محيي الدين صبحي ص 33

أحمد الصمعي ص 133

حمادي صمود ص 134

فيليب صوبوليت ص 253

إبراهيم بن العباس الصولي ص 161

ط

جورج طرابيشي ص 36

ع

محمود أمين العالم ص 31

شاكر عبد الحميد 29

كمال عبد الغني ص 153، 154، 156، 157، 158، 160

جمال عبد الناصر ص 261

فالح بن شبيب العجمي ص 132

محمد ناصر العجمي ص 135

أبو الدلف القاسم بن عيسى العجلي ص 158

أبو هلال العسكري ص 140

عباس محمود العقّاد ص 35

جابر عصفور ص 33

سعيد علوش ص 131

أحمد مختار عمر ص 72

محمد عناني ص 135

لويس عوض ص 31

يمنى العيد ص 31

غ

عبد الله الغدامي ص 136

غريماس Algirdas Julien Greimas ص 49، 67، 68، 71، 73، 80، 83،
84، 85، 86، 87، 89، 90، 92، 93، 96، 97، 102، 104، 105، 108، 109،
116، 119، 173، 174، 192، 193، 196، 197، 203، 216، 219، 220،
221، 224، 226، 229، 233، 261، 272

الغزالي ص 9

مارون غصن ص 125

غوته Johann Wolfgang Von Goethe ص 55

ف

نورثروب فراي Northrop frye ص 33، 34

فريزر James George Frazer ص 60

سيغموند فرويد Sigmund Freud ص 32، 38، 59، 94

فشنر Gustav Theodor Fechner ص 103

صلاح فضل ص 27 ، 37 ، 253 ، 255

فلوبير Gustave Flaubert ص 24

عبد القادر الفاسيّ الفهريّ ص 73 ، 134

ميشال فوكو Michel Foucault ص 74

فولتير Voltaire ص 52

عبد القادر فيدوح ص 130 ، 132

الفيروز أبادي ص 140

ق

قدامة بن جعفر ص 166

سيّد قطب ص 38

ك

جان كوهين ص 220

كثير ص 168

كرامون ص 177

كرايس ص 218

كروتشه Benedetto Croce ص 54

كورتيس Joseph Courtés ص 71، 68، 80، 83، 92، 93، 95، 119، 196،

216، 219، 221، 224، 261، 272

كورني Pierre Corneille ص 52

جوليا كريستيفا ص 216

ل

لافونتان Jean de La Fontaine ص 93

جاك لاكان Jacque Lacan ص 37، 38

لاكوف ص 189

غستاف لانسون Gustave Lanson ص 11، 25، 54، 65

الطاهر لبيب ص 31

والتر لوفينو ص 253

جورج لوكاتش Georg Lukács ص 21، 27، 30

جول لوميتير Jules Lemaitre ص 11، 63

لينين Lénine ص 29

م

محمد الماكري ص 133

كارل ماركس Karl Marx ص 29، 59

إبراهيم عبد القادر المازني ص 36

ماركوف markov ص 42

ماركوف markov ص 42

مبارك مبارك ص 72، 131

مسرد الأعلام

عبد الملك مرتاض ص 27، 30، 130، 36، 131، 173، 196، 197، 198،
199، 200، 201، 206، 208، 209، 210، 212، 213، 214، 215، 217،
221، 222، 223، 224، 227، 228، 229

أنور المرتجي ص 130، 134

المتنبي ص 149، 150، 151، 165، 168

سمير المرزوقي ص 134

عبد السلام المسدي ص 126، 127، 133

محمد مفتاح ص 50، 64، 73، 86، 109، 130، 132، 144، 173، 174،
175، 176، 177، 178، 181، 182، 184، 186، 187، 188، 189، 190،
192، 193، 195، 203، 215، 217، 218، 222، 223، 224، 226، 227،
228، 262، 273، 279، 280

عبد العزيز المقالح ص 208

نجاة المطوع ص 128

ستيفان ملارمي Stéphane Mallarmé ص 10، 29، 34، 93، 110

عبد الرؤوف المناوي ص 140، 141

محمد مندور ص 26، 31، 54، 63

عمر بن مسعود المنذري ص 197، 198

عبد القادر المهيري ص 134

جورج مور George Moore ص 10

شارل مورون Charle Mauron ص 34

موريس ص 218

سلامة موسى ص 31

مسرد الأعلام

أبو الفتح ضياء الدين الموصللي ص 143

مولينو ص 177، 220

موريس ميترلنك Maurice Maeterlinck ص 10

ميلر George A. Miller ص 45

ن

علي سامي النشار ص 14

محمد النويهي ص 36

عبد المجيد نوسي ص 135، 235، 237، 238، 244، 248، 252،

هـ

ستانلي إدغار هايمان Stanley Edgar Hyman ص 19، 59، 62، 63

فكتور هوغو Victor Hugo ص 23، 52، 113

هيجل Georg Wilhelm Friedrich Hegel ص 24

هيردر Johann Gottfried Herder ص 24

و

الوأواء ص 187

ستيفن واينبرج Steven Weinberg ص 44

بنيامين لي وورف Benjamin Lee Whorf ص 70

فرجينيا وولف Virginia Woolfe ص 10

ويبر Karl Emil Maximilian Weber ص 103

ي

سعيد يقطين ص 12، 64

يلمسليف L. Hjelmslev ص 92، 193

كارل يونج Carl Gustav Jung ص 33

.

ثَبَّتِ المصطلحات

ثبت المصطلحات

		A	
Claire	بيّن	Acte	فعل
Classe	قسم	Actant	عامل
Code	سنن	Actes du langage	أفعال اللغة
Combinaison	توليف	Actualisation	تحيين
Communication	تواصل	Afférent	وارد
Discours	خطاب	Affirmation	إثبات
Distribution	توزيع	Allomorphe	تباين صرفي
Dissimilation	مخالفة	Allophone	تباين صرفي
Classème	مقوم سياقي	Allotopie	تباين
Commutation	إبدال	Ambiguïté	غموض
Comparaison	مقارنة	Anagramme	جناس تصحيفي
Composantes	مكونات دلالية	Analogie	تماثل
	sémantiques	Anaphore	تكرار
Compétence	كفاءة	Anisosémie	تباين مقومي
Concept	متصور	Antonymie	تضاد
Conceptuel	مفهومي	Arbitraire	اعتباطي
Conditionnel	تشارطي	Articulation	تقطيع
Contenu	مضمون	Autoréglage	الضبط الذاتي
Connecteur	رابط	Axe Syntagmatique	المحور المركبي
Connotation	إيحاء		
Corpus	متن		
Constante	ثابتة		
Contexte	سياق		
Coréférence	إحالة متصاحبة		
Corrélation	تعالق		
		C	
		Cas	حالة
		Catégories	مقولات
		Carré sémiotique	مربع سيميائي
		Cathaphore	استباق
		Circonstance	ظرف

ثبت المصطلحات

		D	
Formalisation	شكلنة	Dénotation	تقرير
Forme	شكل	Déplacement	تحويل
G		Dérivation	اشتقاق
Généralisation	تعميم	Désignation	تعيين
Générique	عام	Destinateur	مرسل
Glossématique	نظرية اللغة	Destinataire	مرسل إليه
Grammaire	نحو	Différence	اختلاف
Grammaire Générative	نحو توليدي	Diachronie	تعاقية
Grammaire transformationnelle	نحو تحويلي	Dialecte	لهجة
H		E	
Hétérotopie	تباين فضائي	Encyclopédie	موسوعة
Hiérarchie	مراتبية	Ellipse	حذف إضماري
Hiérarchisation	تراتب	Enoncé	ملفوظ
Homonymie	مجانسة لفظية	Expression	تعبير
Hypothèse	فرضية	Ethnolittéraire	الآداب الأجناسية
I		Essence	ماهية
Icone	إيقونة	Extension	ماصدق
Identité	تطابق	F	
Idiolecte	لهجة فردية	Fable	حكاية
Implication	استلزام	Figure	صورة
Implicite	ضمني	Figure	صور سيميولوجية
Impressionnisme	الانطباعية	Sémiologique	
Indice	مؤشر	Fond Sémantique	أرضية الدلالة

ثبت المصطلحات

Logique modale	منطق الجهة	Locale	موضعي
S		M	
Sémantique	علم الدلالة	Macrogénérique	الدلالة النوعية الكبرى
Sème	مقوّم	Milieu	الوسط
Sémes	مقوّمات عامة كبرى	Monème	لفظم
macrogénérique		Morphème	مورفيم
Sémes	مقوّمات نوعية متوسطة	Métoplasmes	تغيرات صوتية ومورفولوجية
misogénérique	مقوّمات نوعية صغرى	Métataxes	تغير الصور
Sémes Microgénériques		Métasémèmes	شكل أسلوبى
Sémiologie	سيمولوجيا	Métalogsim	صورة منطقية
Sémantique	سيمائية	Mésosémantique	الدلالة الوسطى
Sémème	معنم	Mésogénérique	الدلالة النوعية الوسطى
Sémantème	وحدة دلالية صغرى	Microgénérique	الدلالة النوعية الصغرى
Sémiosis	توليد الدلالة		
Sens	معنى	R	
Signifie	مدلول	Race	العرق
Signifie	دال	Récepteur	متلق
Signe	علامة	Référent	مرجع
Situation	مقام	Référence	إحالة
Structure	بنية	Renvoi	إرجاع
Stylistique	أسلوبيات	Transformation	تحويل
Substitution	استبدال	Trope	مجاز
Syllogisme	قياس	Tonème	وحدة تنغيمية
Synchronique	آنى	Type	نمط

ثبت المصطلحات

Symétrie	تناظر	Synecdoque	مجاز مرسل
		Synérèse	إدغام
		Syntagme	مركب
		Syntaxe	تركيب
		Système	نسق
		T	
		Temps	الزمان
		Théorie des chaines	نظرية السلاسل
		Totalité	الكلية
		Transformations	التحويلات
		Taxème	مصناف/سمة نحوية
		Thème	موضوع
		O	
		Opposant	معارض
		Oxymoron	تضاد
		Z	
		Zeugma	فأ
		V	
		Valeur	قيمة

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم (رواية ورش).

* باللغة العربية:

- 1- أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، ج1، دار العلم و الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة مصر
- 2- أحمد حمد النعيمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر الأردن، ط1، 2004
- 3- أحمد زين: حركة التجديد في نقد الشعر العربي، ج2، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 2004
- 4- أحمد يوسف: القراءة النسقية، سلطة البنية و وهم المحايثة، منشورات الاختلاف، ط1، 2007 .
- 5- أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، تح: أحمد أحمد بدوي حامد عبد المجيد، ج1، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي الإمارات العربية المتحدة
- 6- أنور المرتجي: سيميائية النص الأدبي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1987
- 7- بسّام بركة: مرجع الطلاب، قاموس فرنسي عربي، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، ط1، 2002.
- 8- نفسه: معجم اللسانيات، دار ومكتب الهلال، بيروت لبنان.
- 9- البعلبي أبو الفتح: المطلع على أبواب المقنع، تح: محمد بشير الأدلبي، ج1، المكتب الإسلامي بيروت لبنان، 1981.
- 10- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج2، المكتبة العصرية للطباعة و النشر، بيروت لبنان، 1420هـ
- 11- ابن بدر عبده عبد الله،: الشكّ بين الغزالي و ديكرت، مركز عبادي للدراسات و النشر، 2005.
- 12- ابن جنّي: الخصائص، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، ط4.
- 13- ابن حجة الحموي: خزانة الأدب و غاية الأرب، تح: عصام شقيو، ج1، دار و مكتبة الهلال، دار البحار، بيروت لبنان، 2004.

- 14- ابن السراج: الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، ج1، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان
- 15- ابن القيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، ج4، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 27
- 16- ابن منظور جمال الدين: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1995
- 17- ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، تح: إميل بديع يعقوب، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2001 .
- 18- الجرجاني الشريف: كتاب التعريفات، دار الفكر، بيروت لبنان، ط1، 2005.
- 19- جرجي زيدان: اللغة العربية كائن حي، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة مصر 2012
- 20- جمال بندحمان: الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري، التشعب و الانسجام، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2011.
- 21- جميل حمداوي: السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011
- 22- حاتم الصكر: ما لا تؤديه الصفة، المقاربات اللسانية والأسلوبية والشعرية، ط1، دار كتابات معاصرة، لبنان، 1993.
- 23- حسام الآلوسي: مدخل إلى الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت لبنان، ط1، 2005
- 24- حسان تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994.
- 25- حنون مبارك: مدخل إلى لسانيات سوسير، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1987.
- 26- الخطابي السبتي: غريب الحديث، تح: عبد الكريم العزباوي، ج1، جامعة أم القرى مكة المكرمة.
- 27- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، ج2 دار و مكتبة الهلال، مادة (ن ظ ر).
- 28- خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصة، ط2، 2006

- 29- الرازي محمد بن أبي بكر : مختار الصحاح، تح: محمود خاطر، ج1، مكتبة لبنان ناشرون بيروت لبنان، 1995
- 30- رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، فيفري 2000.
- 31-زهير الخوالدي: شذرات فلسفية، العولمة و حالة الفكر في حضارة اقرأ، دار أي كتب، 2012
- 32- السجلماسي أبو محمد القاسم: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تح: علال الغازي مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 1980.
- 33- سعيد بنكراد: السيميائيات، مفاهيمها و تطبيقاتها، دار الزمان، 2003.
- 34- نفسه: السيميائيات السردية، منشورات الزمن، 2001
- 35- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، منشورات المكتبة الجامعية، الدرا البيضاء، 1984
- 36- سعيد يقطين: النقد العربي، مسارات و آفاق (آفاق نقد عربي معاصر)، دار الفكر، دمشق سوريا.
- 37- سمير المرزوقي و جميل شاكر: مدخل إلى نظرية القصة تحليلا و تطبيقا، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد.
- 38- شوقي ضيف: البحث الأدبي، طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره، دار المعارف، مصر، ط6
- 39- صلاح فضل: (ذات ...لصنع الله إبراهيم)، أساليب السرد في الرواية العربية، دار سعاد الصباح، ط1، 1992
- 40- الطائي الجياني أبو عبد الله: الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، تح: محمد حسن عواد، ج1 ، دار الجيل ، بيروت لبنان، ط1.
- 41- طه حسين: خصام ونقد، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط7.
- 42- عبد الحميد عبد الواحد: اللسان العربي: الحاضر و الآفاق ضمن كتاب اللسانيات و إشكاليات التلقي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007
- 43- عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1984
- 44- نفسه: الأسلوبية والأسلوب ، الدار العربية للكتاب، تونس ليبيا، ط3، 1982.

- 45- نفسه: مباحث تأسيسية في اللسانيات، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر و التوزيع تونس، 1997
- 46- عبد القادر فيدوح: الرؤيا والتأويل، مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة، دار الوصال، ط1، 1994.
- 47- عبد الله محمد الغدامي: المشاكلة والاختلاف، قراءة في النظرية النقدية العربية و بحث في الشبيه المختلف، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1، 1994.
- 48- عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، البنيات الخطائية-التركيب-الدلالة، شركة النشر و التوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2002
- 49- عبد الملك مرتاض: ا-ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992.
- 50- نفسه: الأدب الجزائري القديم (دراسة في الجذور) دار هومه، 2001.
- 51- نفسه: ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية "حَمَّال بغداد"، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993.
- 52- نفسه: التحليل السيميائي للخطاب الشعري، تحليل مستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجلي، دار الكتاب العربي، أفريل. 2001.
- 53- نفسه: السبع المعلقات، مقارنة سيميائية أنثروبولوجية لنصوصها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998.
- 54- نفسه: شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية، دار المنتخب العربي، بيروت لبنان، ط1، 1994.
- 55- نفسه: نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، دار هومه، 2001.
- 56- نفسه: نظرية القراءة، تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية، دار الغرب للتوزيع و النشر.
- 57- عبد النور جبور و عبد النور عواد: معجم عبد النور المفصل فرنسي عربي، دار العلم للملايين بيروت لبنان، 2006.
- 58- علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام و اكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1984

- 59-علي لبن: الغزو الفكري في المناهج الدراسيّة، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع.
- 60-عماد الجبوري: التناقضات دراسة تحليلية للفكرين الديني و الفلسفي، مؤسسة الكتاب.
- 61-عواد محمد جاسم التميمي: طرائق التدريس العامة، شركة دار الحوراء، بغداد، 2010
- 62- غريب إسكندر: الاتجاه السيميائي في نقد الشعر، المجلس الأعلى للثقافة، 2002
- 63- فاضل جهاد: أسئلة النقد، حوارات مع النقاد العرب، الدار العربية للكتاب، تونس وليبيا.
- 64- الفيروز أبادي محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تح: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، دار المعرفة، لبنان.
- 64- فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
- 65-كمال عبد الغني: مراعاة النظر في كلام الله العلي القدير، دراسة بلاغية في إعجاز الأسلوب القرني، دار الوفاء لندنيا الطباعة الأسكندرية، مصر، 2005
- 66-مبارك مبارك: معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1995.
- 67- مجاهد عبد المنعم مجاهد: جدل الجمال والاعتراب، القاهرة، مصر، 1965.
- 68-مجمدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب ، مكتبة لبنان، ط2 بيروت، 1984.
- 69- محمد بن يزيد المبرد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، ج1، عالم الكتب، بيروت لبنان
- 70- محمد حناش: البنيوية في اللسانيات، دار رشاد الحديثة، المغرب،، ط1، 1980.
- 71-محمد الداوي: سيميائية السرد، بحث في الوجود السيميائي المتجانس ، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2009
- 72- محمد السرغيني: محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة للتوزيع والنشر، الدار البيضاء المغرب.
- 73-محمد على الصابوني: صفوة التفاسير، ج2، دار الصابوني للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 1997.
- 74-محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوندمان، 1996

- 75- محمد الماكري: الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1، 1991
- 76- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2.
- 77- نفسه: التشابه و الاختلاف، نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، ط1، 1992.
- 78- نفسه: التلقي والتأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2001.
- 79- نفسه : في سيمياء الشعر القديم، دراسة نظرية و تطبيقية، دار الثقافة، المغرب، 1989.
- 80- محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط2، 1990
- 81- محمد مندور: في الميزان الجديد، دار نهضة مصر، القاهرة ، دت.
- 82- محمود السمرة: محمد مندور شيخ النقاد في الأدب الحديث، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت لبنان، ط1، 2006.
- 83- المغربي ابن يعقوب: شرح مواهب الفتاح على تلخيص المفتاح، تح: عبد الحميد هندراوي، ج2، بيروت، لبنان، ط1.
- 84- المناوي محمد عبد الرؤوف: التوقيف على مهمات التعاريف، تح: محمد رضوان الداية ج1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.
- 85- الموصلبي ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج1، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، 1995.
- 86- نهاد التكرلي: اتجاهات النقد الأدبي الفرنسي المعاصر، دار الحرية للطباعة، 1979
- 87- نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، دار هومه، الجزائر، 1997
- 88- يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، ط1، 2008
- 89- نفسه: الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، 2002
- 90- نفسه: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر و التوزيع، الجزائر، ط3، 2010.
- 91- نفسه: النقد الجزائري المعاصر من اللانسوتية إلى الألسنتية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، 2002

* المراجع المترجمة إلى العربية:

- 1- آن إينو: تاريخ السيميائية، تر: رشيد بن مالك، منشورات مخبر الترجمة و المصطلح، جامعة الجزائر، دار الآفاق، 2004
- 2- إيكو أمبرتو: السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة بيروت لبنان، ط1، 2005.
- 3- نفسه: القارئ في الحكاية، تر: أنطوان أبو زيد، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996
- 4- تودوروف تزفيتان: الأدب والدلالة، ترجمة: محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب 1996.
- 5- تزفيتان تودوروف، ميخائيل باختين: المبدأ الحوارية، تر فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط2
- 6- جان بياجى: البنيوية، تر: عارف منيمنة و بشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط4، 1985
- 7- جوزيف كورتيس : مدخل إلى السيميائية السردية و الخطائية، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007
- 8- دومينيك مانقولو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يجياتن، منشورات الاختلاف، ط1، 2005
- 9- دي سوسير فرديناند: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي مجيد النصر، دار نعمان للثقافة، لبنان، 1984.
- 10- جيرالد برنس: المصطلح السردية، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003
- 11- رمان سلدان: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر القاهرة مصر، 1998.
- 12- روبرت شولز: السيميائية و التأويل، تر سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 1994
- 13- رولان بارت: التحليل النصي، تر: عبد الكبير الشرقاوي، دار التكوين، سوريا، 2009

- 14- زتسيسلاف واوزرنياك: مدخل إلى علم النص، تر: سعيد حسن بحري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 2003
- 15- ستانلي هايمن: النقد الأدبي و مدارسه الحديثة، تر: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط1، 1958
- 16- غوستاف لانسون : منهج البحث في تاريخ الأدب، تر محمد مندرو ضمن كتابه : النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر للطبع و النشر، القاهرة.
- 17- فلاديمير بروب: مورفولوجيا القصة، تر: عبد الكريم حسن و سميرة بن عمرو، شرع للدراسات و النشر و التوزيع، دمشق، ط1، 1996.
- 18- فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي و المطابع، المملكة العربية السعودية، 1996
- 19- كوهين جان: بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي و محمد العمري، دار توبقال للنشر المغرب، ط1، 1986.

* المجلات والدوريات:

- 1- أحمد شفيق الخطيب: منهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة، مجلة اللسان العربي، م 19
- 2- نفسه: منهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة ، مجلة اللسان العربي، م 19، ج1، 1982،
- 3- أحمد الجوة: مشاكلة القصيدة لنصوص العقيدة في "وادي النمل" لجمال الصليحي، مجلة سيميائيات، ع2، جامعة وهران الجزائر، خريف 2006
- 4- أنطوان جميل: مجمع اللغة العربية القاهرة، 1971
- 5- الجابري محمد عابد: في حوار أجراه معه جهاد فاضل، مجلة الجيل، العدد 6 ، جوان 1986، بيروت لبنان
- 6- جميل حمداوي: السيميوطيقا و العنوان، مجلة عالم الفكر ، مجلد25 رقم3، الكويت.
- 7- رشاد الحمزاوي: مشاكل وضع المصطلحات اللغوية، مجلة اللسان العربي، ع 18 ج1، الرباط 1980

- 8- سالم يفوت: مفهوم الواقع في الفكر العلمي المعاصر- مظاهر النزعة الاختيارية لدى الوضعيين الجدد و شتروس، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الأطروحات و الرسائل7، 1980
- 9- سعيد يقطين: حوار مع الناقد المغربي سعيد يقطين، جريدة الثورة، (كتابات)، العدد 16084، 2008/11/24، ص14
- 10- عارف أبو شقرا: التعريب والمطاوعة ، مجلة الآداب، س4، ع1، 1956
- 11- عبد الجليل منقور: المقاربة السيميائية للنص الأدبي، أدوات و نماذج، محاضرات الملتقى الوطني الأول (السيميائية و النص الأدبي) قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2001
- 12- علي القاسمي: النظرية العامة و النظرية الخاصة في علم المصطلح، مجلة اللسان العربي، ع29، الرباط، 1987
- 13- قادة عقاق : إشكالية ترجمة المصطلح السيميائي في النقد العربي المعاصر، الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي مارس 2011.
- 14- مجمع اللغة العربية: معجم الرياضيات ، ج3، القاهرة، 2001
- 15- محمد رضا الشبيبي: المصطلح اللغوي العربي من البناء إلى التوحيد مجلة اللسان العربي، م19، ج1، 1982
- 16- محمد مجيد السعيد: دور مؤسسات التعليم العالي في توحيد المصطلح و إشاعته، مجلة اللسان العربي، ع29
- 17- محمد مفتاح: أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، مجلة عالم الفكر، م35، الكويت، مارس 2007
- 18- محمد الملاخ، ابيستمولوجيا اللسانيات، نماذج النظريات، مجلة فكر و نقد، www.aljabriabed.net
- 19- محمد ناصر العجمي: موقع السيميائيات من مناهج البحث الغربي الحديث، مجلة سيميائيات، ع2، جامعة وهران الجزائر، خريف 2006

- 1-Auzou Philippe : Dictionnaire encyclopédique, Éditions Auzou Paris 2010
- 2-Bussman, hadumod : Rutledge dictionary of language and linguistics, Translated by: Gregory Trauth and Kerstin Kazzari, London and New York.
- 3-Christopher Clapham, and James Nicholson : Oxford, Concise dictionary of mathematical , 2 edition , New York, p435, 436.
- 4-Cohen Jean: Structure du langage poétique, Flammarion, 1966.
- 5-De Roquefort et J.J. Champollion-Figeac : Dictionnaire étymologique de la langue française, tome 2, Paris, 1829, P178
- 6-François Rastier: Tropes et sémantique linguistique in langue française, Larousse, 1994.
- 7-Ibid: Sémantique interprétative , PUF , 1987
- 8-Greimas, A. J., Courtes: Sémiotique, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette Supérieur.
- 9-Ibid : Du sens 2 op, cit
- 10-Ibid : Sémantique structurale , op, cit,
- 11-Groupe μ : Rhétorique de la poésie, lecture linéaire, lecture tabulaire, édition Du Seuil, 1990.
- 12-Hachette encyclopédique illustre, Paris.
- 13-Jean Dubois et autres: Grand dictionnaire linguistique et sciences du langage, Larousse.
- 14-Jean-François Staszak et Michel Lussault : Dictionnaire de la géographie et de l'espace des sociétés , Belin, Paris, 2003
- 15-Jean-Michel Adam : La linguistique textuelle , 3^{ème} édition, Armand Colin, Paris , 2011
- 16-Ibid: Elements de linguistique textuelle : Théories et pratique de l'analyse textuelle, Pierre Mandaga, Liège, 1990
- 17-J. Jourdan : Dictionnaire des termes usités dans les sciences naturelles, tome 1, Paris, 1834
- 18-Larousse de poche, dictionnaire de la médecine, Paris.

- 19-Pierre Brémand: Initiation aux probabilités et aux chaînes de Markov, 2^éditions, Springer, Berlin
- 20- Prandi. M : Grammaire philosophique des tropes , Minuit, 1992.
- 21-Ricoeur. P: La métaphore vive, Seuil, 1975.
- 22- Ibid: The rule of metaphor, the creation of meaning in language, translated by: Robert Czerny and others, London and New York, Routledge classics.
- 23- Schifko. P : L'interprétation sémantico-pragmatique de l'écart in le français Moderne, d'Artey, 1988.
- 24- Tamine. J: Métaphore et syntaxe, In langage 1979 Larousse.
- 25- Todorov. T : Les anomalies sémantiques in langages, Larousse, 1966.
- 26- Umberto Eco: Sémantique de la métaphore in tel quel, 1973.

المحتويات

المحتويات

مقدمة:

المدخل:

أولاً: الدراسات النقدية الغربية من الانطباعية إلى التأسيس العلمي و المنهجي.....08

ثانياً: الروافد العلمية للنقد الأدبي في الثقافة الغربية.....20

1-العلوم الإنسانية و الاجتماعية.....20

1.1-الدراسات التاريخية.....20

1.2-الدراسات الاجتماعية.....27

1.3-التحليل النفسي.....32

1.4-علم النفس التجريبي.....38

1.5-علم النفس الإكلينيكي.....38

1.6-علم النفس الاجتماعي.....39

1.7-الأثنوبولوجيا.....39

2-العلوم العقلية و التجريبية.....39

1.2-القضايا المنطقية و الرياضية.....40

2.2-النقد الأدبي و القضايا التجريبية.....51

المحتويات

63.....موقف النقاد و الباحثين من علمنة الأدب.....

الفصل الأول:

67.....تطور مفهوم التشاكل من الميادين العلمية إلى الميدان اللساني و السيميائي.....

67.....أولا: الدلالة التأثيلية و العلمية لمصطلحي (Isotopie ,Allotopie).....

67.....1-تأثيل المصطلحين.....

77.....2-الدلالة العلمية للتشاكل.....

80.....ثانيا: تأسيس منظومة التشاكل في الخطاب السيميائي الغربي.....

83.....1-سيميوطيقا السرد و تصورهما النظري للتشاكل.....

83.....1.1-غريماس و خاصية انسجام الخطاب.....

90.....2.1-التشاكل الدلالي و السيميولوجي عند كورتيس.....

95.....2-تطور مفهوم التشاكل و تطبيقاته عند جماعة (μ).....

96.....1.2-تعريف الجماعة للتشاكل.....

97.....2.2-تشاكل المحتوى و تشاكل التعبير.....

101.....3.2-شروط التشاكل.....

106.....4.2-درجات التشاكل.....

المحتويات

- 107.....5.2- الإفراط في التراكم و التكرير إفساد للمعنى.....
- 108.....3- توسيع مفهوم التشاكل عند فرانسوا راستي.....
- 108.....1.3- توسيع حدود التشاكل.....
- 109.....2.3- تشاكل التعبير و تشاكل المحتوى.....
- 110.....3.3- أنواع التشاكل الدلالي عند راستي.....
- 115.....4.3- التشاكل التركيبي و الشرط الدلالي.....
- 116.....5.3- تأويل التشاكل الدلالي.....
- 117.....4- التشاكل و المحور الدلالي عند أمبرتو إيكو.....

الفصل الثاني:

- 122.....تلقي مصطلح التشاكل و أنساقه في الخطاب النقدي العربي الجديد.....
- 122.....أولا: وضعية المصطلح اللساني ف الثقافة العربية المعاصرة.....
- 123.....1- موقف الباحثين العرب من المصطلحات اللسانية الوافدة.....
- 128.....2- أسباب الاختلاف في وضع المصطلح.....
- 129.....3- طرق نقل مصطلحي التشاكل و التباين إلى الثقافة العربية.....
- 138.....ثانيا: التشاكل و التباين في التراث النقدي العربي.....

المحتويات

1- دلالة التشاكل و التباين ف المعاجم العربية.....138

2- دلالات التشاكل و التباين في الدراسات النقدية و البلاغية.....141

الفصل الثالث:

الممارسة النقدية العربية للتشاكل في الخطاب الشعري.....173

أولاً: نموذج محمد مفتاح.....173

1- تعريف التشاكل.....173

2- مستويات التشاكل.....176

ثانياً: نموذج عبد الملك مرتاض.....196

1- ماهية التشاكل.....196

2- التشاكل و التراث العربي.....196

3- تعريف التشاكل.....197

4- أسس التشاكل.....199

5- إجراء التشاكل.....200

6- أنواع التشاكل.....204

ثالثاً: حدود العلاقة بين النموذجين.....215

المحتويات

- 1-التشاكل و التباين و إشكالية التأصيل.....215
- 2-تأسيس مفهوم التشاكل و المصطلحات المرتبطة به.....222
- 3-تعريف التشاكل و روافد التحديد لدى الناقدین.....224
- 4-أنواع التشاكل.....225
- 5-مجال تطبيق التشاكل عند الناقدین.....226

الفصل الرابع:

- 231.....سيمائية تشاكل الخطاب السردی
- أولاً: التشاكل كمعيار تقطيعي في الخطاب الروائي.....231
- 1-آلية التراكم و التوارد في الخطا السردی.....232
- 2-التشاكل و الخطاب الروائي.....234
- ثانياً: نماذج تحليلية لتشاكل الخطاب السردی.....235
- 1-المقاربة التشاكلية لرواية (اللحنة) لعبد المجید نوسی.....235
- 1.1-المستوى التركيبي لعنوان الرواية (اللحنة).....237
- 2.1-المستوى الدلال للعنوان.....239
- 3.1-الإطار العام المنظم للخطاب (تشاكل اللحنة).....243

المحتويات

244.....	4.1-آليات تولد التشاكل.....
248.....	5.1-التشاكل الدلالي و نظرية الكوارث.....
253.....	2-النموذج التشاكلي فب رواية (ذات) للناقد محمد الداھي.....
253.....	أ-التشاكل الخارجي (الثقافي).....
253.....	ب-التشاكل الداخلي.....
256.....	1-بنية التشاكل الحكائي.....
262.....	2-التشاكل الدلالي بين البنيتين المتناوبتين.....
271.....	3-سيمائية التشاكل في المسرحية الأمازيغية (ثوافيت/الأحجية).....
271.....	1.3-مسرحية ثوافيت.....
271.....	2.3-التحليل التشاكلي للمسرحية.....
273.....	3.3-التشاكل الدلالي في المسرحية.....
276.....	4.3-التشاكل التعبيري.....
282.....	<u>خاتمة</u>
286.....	<u>ثبت المصطلحات</u>
292.....	<u>فهرس الأعلام</u>

المحتويات

308.....قائمة المصادر و المراجع

319.....المحتويات

